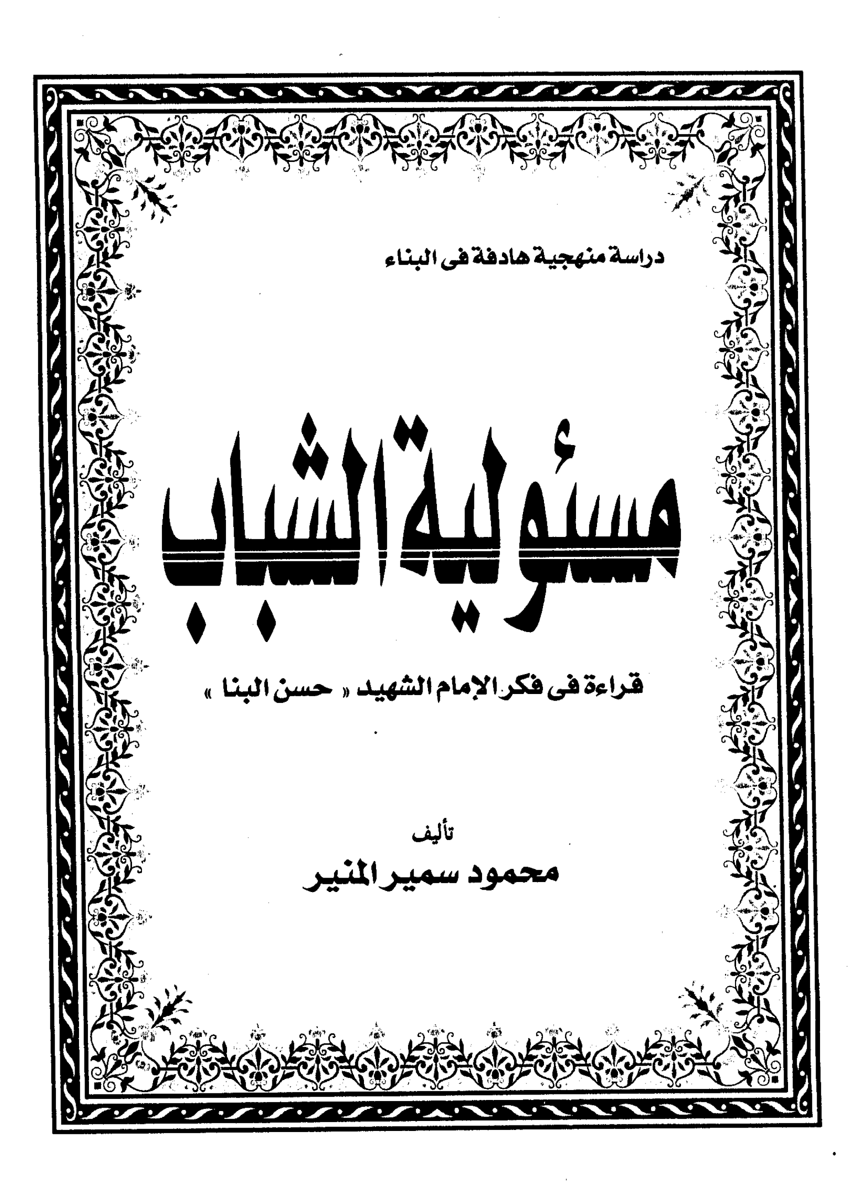

دراسة منهجية هادفة فى البناء
مسئولية الشباب
قراءة فى فكر الإمام الشهيد « حسن البنا »
تأليف
محمود سمير المنير



الموضـــــــوع : قراءة فى فكر الإمام الشهيد « حسن البنا » .

إسم الكتـــــاب : مسئولية الشباب .

التـــــأليف : محمود سمير المنير.

الصف التصويرى : الندى للتجهيزات الفنية .

عدد الصفحات : ٢٦٤ صفحة .

قياس الصفحة : ١٧ ×٢٥

عـــــدد النسخ : ٢٠٠٠ نسخة (الطبعة الأولى)

التـوزيع والنشـر : دار البشير للثقافة والعلوم .

طنطا ـ 23 ش الجيش عمارة الشرق للتأمين

تليفاكس040/3305538ـ 040/3321744

تليفون 040/3316316

الإيداع القــانونى : 2003/3240

التــرقــيم الدولى : I. S. B. N . 977 - 278 - 229- 4

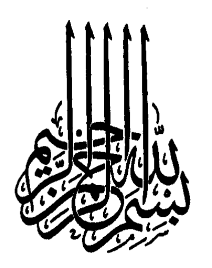
Web Site : www . Dar elbasheer.com.eg

E-mail / Dar-elbasheer@hotmail.com
Dar-elbasheer@maktoob.com

2003 م

1424 هـ

مسئولية الشباب





بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى روح « الإمام » الشهيد تنتفض كلماته حية ..
وتعيش بين الأحياء .. تتغلغل فى القلوب فتحركها وتجمعها
وتدفعها نحو البناء .. لتربى جيل التمكين نبشره :

كلماتك تحيا فى ضمير الملايين .. لأنها ولدت حية
وغذيت بدمائك يا شهيد .. فتركت لنا نبراساً .

فمت شهيداً وعاشت الكلمات تحرك الأحياء ..

وهذا هو الدليل ..

قراءة في فكر الإمام الشهيد ،

المؤلف

محمود سمير المنير

لمن هذه الرسالة ؟!

إلى الشباب الظامىء للمجدالتليد . .
إلى الأمة الحيرى على مفترق الطرق . .
إلى ورثة الدم القانى الذى سطر على هام الزمان آيات الفخار . .
إلى كل مسلم يؤمن بالسيادة فى الدنيا والسعادة فى دار القرار نقدم . . .

رسالة إلي الشباب ..

رسالة الماضى القوى الملتهب إلى الحاضر الفتى المضطرب . .
وعُدَّة الحاضر الثائر للمستقبل الزاهر .

أيها الشباب . . أيها الهائم يبغى الحياة . .

أيها التائق لنصر دين الله . .
أيها المقدم روحه بين يدى مولاه .

هنا الهداية والرشاد . .
هنا الحكمة والسداد . .
هنا نشوة الذل ولذة الجهاد . .

فلتسارع إذن إلى الكتيبة الخرساء . .
ولتعمل تحت راية سيِّد المرسلين . .

﴿ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾

صاحب الرسائل ،



بطاقة تعارف للشباب

« أنا سائح يطلبُ الحقيقة ..

وإنسان يبحث عن مدلول الإنسانية بين الناس ..

ومواطن ينشد لوطنه الكرامة والحرية والاستقرار ..

والحياة الطبيعية في ظل الإسلام الحنيف ..

أنا متجرد أدرك سر وجوده فنادى :

﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢)
لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾

هذا أنا .. فمن أنت ؟!

الإمام الشهيد

حسن البنا

حسن البنا الشاب

- ـ متبتلُ عابدُ لا يرتقُ له دمع ولا تجف له عين
- شغوف بقهر تطلعات النفس



وتربية الإرادة حتى بلغ به الأمر
أن كان يفرض على نفسه أياماً كاملة
لا يكلم فيها أحداً ولا يجيب إلا بذكر
أو آيـة . .
كل هذا وهو بعد مراهق غض
فى فجر الشباب . .

- ـ وما أن بلغ أشده حتى أثبت

أنه داعية مشاكس لا يكف عن
إثارة المتاعب فى تصميم وعناد
لا يعرف الكلل . . .
معتمداً على الله فى كل أحوالـــه . .
ـ غير أن عينيه بقيتا مسمرتين

- على هدف واحد لايحيد عنه . .

نصرة الإسلام والقضاء التام
على من نـــاوأه . . .
غير عابىء بالعواقب الوخيمة التى تنتظره . .



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه .

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ
ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ
يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (٤٦) قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ
أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٤٧) قُلْ إِنَّ رَبِّي
يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (٤٨) قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ
الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ (٤٩) قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي
وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾

(سورة سبأ : 46 : 54) .

رسالة إلى الشباب

أيها الشباب :

أحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو ، وأصلى وأسلم على سيدنا محمد إمام المصلحين وسيد المجاهدين ، وعلى آله وصحبه والتابعين .

أيها الشباب :

إنما تنجح الفكرة إذا قوى الإيمان بها ، وتوفر الإخلاص فى سبيلها ، وازدادت الحماسة لها ، ووجد الاستعداد الذى يحمل على التضحية والعمل لتحقيقها ، وتكاد تكون هذه الأركان الأربعة : الإيمان ، والإخلاص ، والحماسة ، والعمل ، من خصائص الشباب . لأن أساس الإيمان : القلب الذكى ، وأساس الإخلاص : الفؤاد النقى ، وأساس الحماسة : الشعور القوى ، وأساس العمل : العزم الفتى ، وهذه كلها لا تكون إلا للشباب . ومن هنا كان الشباب قديماً وحديثاً فى كل أمة نهضتها ، وفى كل نهضة سر قوتها ، وفى كل فكرة حامل رايتها ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ (الكهف : 13) .

ومن هنا كثرت واجباتكم ، ومن هنا عظمت تبعاتكم ، ومن هنا تضاعفت حقوق أمتكم عليكم ، ومن هنا ثقلت الأمانة فى أعناقكم ، ومن هنا وجب عليكم أن تفكروا طويلاً ، وأن تعملوا كثيراً ، وأن تحددوا موقفكم ، وأن تتقدموا للإنقاذ ، وأن تعطوا الأمة حقها كاملاً من هذا الشباب .

قد ينشأ الشباب فى أمة وادعة هادئة ، قوى سلطانها واستبحر عمرانها ، فينصرف إلى نفسه أكثر مما ينصرف إلى أمته ، ويلهو ويعبث وهو هادىء النفس مرتاح الضمير . وقد ينشأ فى أمة جاهدة عاملة قد استولى عليها غيرها ، واستبد بشؤونها خصمها فهى تجاهد ما استطاعت فى سبيل استرداد الحق المسلوب ،

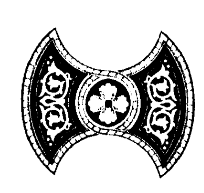
والتراث المغصوب ، والحرية الضائعة والأمجاد الرفيعة ، والمثل العالية ، وحينئذ يكون من أوجب الواجبات على هذا الشباب أن ينصرف إلى أمته أكثر مما ينصرف إلى نفسه . وهو إذ يفعل ذلك يفوز بالخير العاجل فى ميدان النصر ، والخير الآجل من مثوبة الله ، ولعل من حسن حظنا أن كنا من الفريق الثانى فتفتحت أعيننا على أمة دائبة الجهاد مستمرة الكفاح فى سبيل الحق والحرية .

فاستعدوا يا رجال فما أقرب النصر للمؤمنين وما أعظم النجاح للعاملين الدائبين .

أيها الشباب :

لعل من أخطر النواحى فى الأمة الناهضة ـ وهى فى فجر نهضتها ـ اختلاف الدعوات ، واختلاط الصيحات ، وتعدد المناهج ، وتباين الخطط والطرائق ، وكثرة المتصدين للتزعم والقيادة . وكل ذلك تفريق فى الجهود وتوزيع للقوى يتعذر معه الوصول إلى الغايات . ومن هنا كانت دراسة هذه الدعوات والموازنة بينها أمراً أساسياً لابد منه لمن يريد الإصلاح .

ومن هنا كان واجبى أن أشرح لكم فى وضوح موجز دعوة الإسلام فى القرن الهجرى الرابع عشر .



دعوة الإخوان المسلمين
أو دعوة الإسلام في القرن الهجري الرابع عشر

يا شباب :

لقد آمنا إيماناً لا جدال فيه ولاشك معه ، واعتقدنا عقيدة أثبت من الرواسى وأعمق من خفايا الضمائر ، بأنه ليس هناك إلا فكرة واحدة هى التى تنقذ الدنيا المعذبة وترشد الإنسانية الحائرة وتهدى الناس سواء السبيل ، وهى لذلك تستحق أن يضحى فى سبيل إعلانها والتبشير بها وحمل الناس عليها بالأرواح والأموال وكل رخيص وغال ، هذه الفكرة هى الإسلام الحنيف الذى لا عوج فيه ولا شر معه ولا ضلال لمن اتبعه :

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (آل عمران : 18) .

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ (المائدة : 3) .

ففكرتنا لهذا إسلامية بحتة ، على الإسلام ترتكز ومنه تستمد وله تجاهد وفى سبيل إعلاء كلمته تعمل . لا تعدل بالإسلام نظاماً ، ولا ترضى سواه إماماً ، ولا تطيع لغيره أحكاماً :

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ (آل عمران : 85)

ولقد أتى على الإسلام والمسلمين حين من الدهر توالت فيه الحوادث وتتابعت الكوارث ، وعمل خصوم الإسلام على إطفاء روائه وإخفاء بهائه وتضليل أبنائه وتعطيل حدوده ، وإضعاف جنوده ، وتحريف تعاليمه وأحكامه تارة بالنقص منها وأخرى بالزيادة فيهاوثالثة بتأويلها على غير وجهها ، وساعدهم على ذلك ضياع سلطة

الإسلام السياسية وتمزيق إمبراطوريته العالمية وتسريح جيوشه المحمدية ووقوع أممه فى قبضة أهل الكفر مستذلين مستعمرين .

فأول واجباتنا نحن الإخوان أن نبين للناس حدود هذا الإسلام واضحة كاملة بينة لا زيادة فيها ولا نقص بها ولا لبس معها ، وذلك هو الجزء النظرى من فكرتنا ، وأن نطالبهم بتحقيقها ونحملهم على إنفاذها ونأخذهم بالعمل بها ، وذلك هو الجزء العملى فى هذه الفكرة .

وعمادنا فى ذلك كله كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والسنة الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ ، والسيرة المطهرة لسلف هذه الأمة ، لا نبغى من وراء ذلك إلا إرضاء الله وأداء الواجب وهداية البشر وإرشاد الناس .

وسنجاهد فى سبيل تحقيق فكرتنا ، وسنكافح لها ما حيينا وسندعو الناس جميعاً إليها ، وسنبذل كل شىء فى سبيلها ، فنحيا بها كراماً أو نموت كراماً ، وسيكون شعارنا الدائم : الله غايتنا ، والرسول زعيمنا ، والقرآن دستورنا ، والجهاد سبيلنا ، والموت فى سبيل الله أسمى أمانينا .

أيها الشباب

إن الله قد أعزكم بالنسبة إليه والإيمان به والتنشئة على دينه ، وكتب لكم بذلك مرتبة الصدارة من الدنيا ومنزلة الزعامة من العالمين وكرامة الأستاذ بين تلامذته :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (آل عمران : 110) ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ (البقرة : 143) .

فأول ما يدعوكم إليه أن تؤمنوا بأنفسكم ، أن تعلموا منزلتكم وأن تعتقدوا أنكم سادة الدنيا وإن أراد لكم خصومكم الذل ، وأساتذة العالمين وإن ظهر عليكم غيركم بظاهر من الحياة الدنيا والعاقبة للمتقين .

فجدّدوا أيها الشباب إيمانكم ، وحددوا غاياتكم وأهدافكم ، وأول القوة الإيمان ونتيجة هذا الإيمان الوحدة ، وعاقبة الوحدة النصر المؤزر المبين ، فآمنوا وتآخوا واعملوا وترقبوا بعد ذلك النصر . . وبشر المؤمنين .

إن العالم كله حائر يضطرب ، وكل ما فيه من النظم قد عجز عن علاجه ولا دواء له إلا الإسلام ، فتقدموا باسم الله لإنقاذه ، فالجميع فى انتظار المنقذ ، ولن يكون المنقذ إلا رسالة الإسلام التى تحملون مشعلها وتبشرون بها .

أيها الشباب

إن منهاج الإخوان المسلمين محدود المراحل واضح الخطوات ، فنحن نعلم تماماً ماذا نريد ونعرف الوسيلة إلى تحقيق هذه الإرادة .

(1) ـ نريد أولاً **الرجل المسلم** فى تفكيره وعقيدته ، وفى خلقه وعاطفته ، وفى عمله وتصرفه . فهذا هو التكوين الفردى .

(2) ونريد بعد ذلك **البيت المسلم** فى تفكيره وعقيدته وفى خلقه وعاطفته وفى عمله وتصرفه ونحن لهذا نعنى بالمرأة عنايتنا بالرجل ، ونعنى بالطفولة عنايتنا بالشباب وهذا هو تكويننا الأسرى .

(3) ونريد بعد ذلك **الشعب المسلم** فى ذلك كله أيضاً ، ونحن لهذا نعمل على أن تصل دعوتنا إلى كل بيت ، وأن يسمع صوتنا فى كل مكان ، وأن تتيسر فكرتنا وتتغلغل فى القرى والنجوع والمدن والمراكز والحواضر والأمصار ، لا نألوا فى ذلك جهداً ولا نترك وسيلة .

(4) ونريد بعد ذلك **الحكومة المسلمة** التى تقود هذا الشعب إلى المسجد وتحمل به الناس على هدى الإسلام من بعد كما حملتهم على ذلك بأصحاب رسول الله ﷺ أبى بكر وعمر من قبل . ونحن لهذا لا نعترف بأى نظام حكومى لا يرتكز على أساس الإسلام ولا يستمد منه ، ولا نعترف بهذه الأحزاب السياسية ، ولا بهذه

الأشكال التقليدية التى أرغمنا أهل الكفر وأعداء الإسلام على الحكم بها والعمل عليها ، وسنعمل على إحياء نظام الحكم الإسلامى بكل مظاهره ، وتكوين الحكومة الإسلامية على أساس هذا النظام .

(5) ونريد بعد ذلك أن نضم إلينا كل جزء من وطننا الإسلامى الذى فرقته السياسة الغربية وأضاعت وحدته المطامع الأوروبية ، ونحن لهذا لا نعترف بهذه التقسيمات السياسية ولا نسلم بهذه الاتفاقات الدولية ، التى تجعل من الوطن الإسلامى دويلات ضعيفة ممزقة يسهل ابتلاعها على الغاصبين ، ولا نسكت على هضم حرية هذه الشعوب واستبداد غيرها بها . فمصر وسورية والعراق والحجاز واليمن وطرابلس وتونس والجزائر ومراكش وكل شبر أرض فيه مسلم يقول : لا إله إلا الله كل ذلك وطننا الكبير الذى نسعى لتحريره وإنقاذه وخلاصه وضم أجزائه بعضها إلى بعض .

ولئن كان الرايخ الألمانى يفرض نفسه حامياً لكل من يجرى فى عروقه دم الألمان فإن العقيدة الإسلامية توجب على كل مسلم قوى أن يعتبر نفسه حامياً لكل من تشربت نفسه تعاليم القرآن . فلا يجوز فى عُرف الإسلام أن يكون العامل العنصرى أقوى فى الرابطة من العامل الإيمانى . والعقيدة هى كل شىء فى الإسلام ، وهل الإيمان إلا الحب والبغض ؟

(6) ونريد بعد ذلك أن تعود راية الله خافقة عالية على تلك البقاع التى سعدت بالإسلام حيناً من الدهر ودوى فيها صوت المؤذن بالتكبير والتهليل ، ثم أراد لها نكد الطالع أن ينحسر عنها ضياؤه فتعود إلى الكفر بعد الإسلام . فالأندلس وصقلية والبلقان وجنوب إيطاليا وجزائر بحر الروم ، كلها مستعمرات إسلامية يجب أن تعود إلى أحضان الإسلام . ويجب أن يعود البحر الأبيض والبحر الأحمر بحيرتين إسلاميتين كما كانتا من قبل . ولئن كان السنيور موسولينى يرى من حقه أن يعيد الإمبراطورية الرومانية ، وما تكونت هذه الإمبراطورية المزعومة قديماً إلا على

أساس المطامع والأهواء ، فإن من حقنا أن نعيد مجد **الإمبراطورية الإسلامية** التى قامت على العدالة والإنصاف ونشر النور والهداية بين الناس .

(7) نريد بعد ذلك ومعه أن **نعلن دعوتنا على العالم** وأن نبلغ الناس جميعاً ، وأن نعم بها آفاق الأرض ، وأن نخضع لها كل جبار ، ﴿ **حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ** ﴾ (البقرة : 193) ، ﴿ **وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ④ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ** ﴾ (الروم : 4 ، 5) .

ولكل مرحلة من هذه المراحل خطواتها وفروعها ووسائلها ، وإنما نجعل هنا القول دون إطالة ولا تفصيل ، والله المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل .

ليقل القاصرون الجبناء أن هذا خيال عريق ووهم استولى على نفوس هؤلاء الناس ، وذلك هو الضعف الذى لا نعرفه ولا يعرفه الإسلام . ذلك هو الوهن الذى قذف فى قلوب هذه الأمة فمكن لأعدائها فيها ، وذلك هو خراب القلب من الإيمان وهو علة سقوط المسلمين . وإنما نعلن فى وضوح وصراحة أن كل مسلم لا يؤمن بهذا المنهاج ولا يعمل لتحقيقه لا حَظَّ له فى الإسلام ، فليبحث له عن فكرة أخرى يدين بها ويعمل لها .

يا شباب :

لستم أضعف ممن قبلكم ممن حقق الله على أيديهم هذا المنهاج ، فلا تهنوا وتضعفوا ، وضعوا نصب أعينكم قوله تعالى :

﴿ **الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ** ﴾ (آل عمران : 173) .

سنربى أنفسنا ليكون منا الرجل المسلم ، وسنربى بيوتنا ليكون منها البيت المسلم وسنربى شعبنا ليكون منه الشعب المسلم ، وسنكون من بين هذا الشعب المسلم ، وسنسير بخطوات ثابتة إلى تمام الشوط ، وإلى الهدف الذى وضعه الله لنا لا الذى

وضعناه لأنفسنا ، وسنصل بإذن الله وبمعونته ، ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (التوبة : 32)وقد أعددنا لذلك إيماناً لا يتزعزع ، وعملاً لا يتوقف ، وثقة بالله لا تضعف ، وأرواحاً أسعد أيامها يوم تلقى الله شهيدة فى سبيله .

فليكن ذلك من صميم السياسة الداخلية والخارجية ، فإنما نستمد ذلك من الإسلام ، ونجد بأن هذا التفريق بين الدين والسياسة ليس من تعاليم الإسلام الحنيف ولا يعرفه المسلمون الصادقون فى دينهم الفاهمون لروحه وتعاليمه ، فليهجرنا من يريد تحويلنا عن هذا المنهاج فإنه خصم للإسلام أو جاهل به ، وليس له سبيل إلا أحد هذين الوضعين .

أيها الشباب :

يخطىء من يظن أن جماعة الإخوان المسلمين (**جماعة دراويش**) قد حصروا أنفسهم فى دائرة ضيقة من العبادات الإسلامية ، كل همهم صلاة وصوم . وذكر وتسبيح . فالمسلمون الأولون لم يعرفوا الإسلام بهذه الصورة ، ولم يؤمنوا به على هذا النحو ، ولكنهم آمنوا به عقيدة وعبادة ، ووطناً وجنسية ، وخلقاً ومادة ، وثقافة وقانوناً ، وسماحة وقوة . واعتقدوه نظاماً كاملاً يفرض نفسه على كل مظاهر الحياة وينظم أمر الدنيا كما ينظم الآخرة ، اعتقدوه نظاماً عملياً وروحياً معاً فهو عندهم دين ودولة ، ومصحف وسيف . وهم مع هذا لا يهملون أمر عبادتهم ولا يقصرون فى أداء فرائضهم لربهم ، يحاولون إحسان الصلاة ويتلون كتاب الله ، ويذكرون الله تبارك وتعالى على النحو الذى أمر به وفى الحدود التى وضعها لهم ، فى غير غلو ولا سرف ، فلا تنطع ولا تعمق ، وهم أعرف بقول رسول الله ﷺ : « **إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ، إن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقي** » ، وهم مع هذا يأخذون من دنياهم بالنصيب الذى لا يضر بآخرتهم ، ويعلمون قول الله تبارك وتعالى : ﴿ **قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ** ﴾ (الأعراف : 32) . وإن الإخوان ليعلمون أن خير وصف لخير جماعة هو وصف

أصحاب رسول الله ﷺ : (رهبان فى الليل فرسان فى النهار) ، وكذلك يحاولون أن يكونوا والله المستعان .

ويخطىء من يظن أن الإخوان المسلمين يتبرمون بالوطن والوطنية ، فالمسلمون أشد الناس إخلاصاً لأوطانهم وتفانياً فى خدمة هذه الأوطان واحتراماً لكل من يعمل لها مخلصاً ، وها قد علمت إلى أى حد يذهبون فى وطنيتهم وإلى أى عزة يبغون بأمتهم . ولكن الفارق بين المسلمين وبين غيرهم من دعاة الوطنية المجردة أن أساس وطنية المسلمين العقيدة الإسلامية . فهم يعملون لوطن مثل مصر ويجاهدون فى سبيله ويفنون فى هذا الجهاد لأن مصر من أرض الإسلام وزعيمة أممه ؛ كما أنهم لا يقفون بهذا الشعور عند حدودها بل يشركون معها فيه كل أرض إسلامية وكل وطن إسلامى ، على حين يقف كل وطنى مجرد عند حدود أمته ولا يشعر بفريضة العمل للوطن إلا عن طريق التقليد أو الظهور أو المباهاة أو المنافع ، لا عن طريق الفريضة المنزلة من الله على عباده . وحسبك من وطنية الإخوان المسلمين أنهم يعتقدون عقيدة جازمة لازمة أن التفريط فى أى شبر أرض يقطنه مسلم جريمة لا تغتفر حتى يعيدوه أو يهلكوا دون إعادته ، ولا نجاة لهم من الله إلا بهذا .

ويخطىء من يظن أن الإخوان المسلمين دعاة كسل أو إهمال ، فالإخوان يعلنون فى كل أوقاتهم أن المسلم لابد أن يكون إماماً فى كل شىء ، ولا يرضون بغير القيادة والعمل والجهاد والسبق فى كل شىء ، فى العلم وفى القوة وفى الصحة وفى المال . والتأخر فى أية ناحية من هذه النواحى ضار بفكرتنا مخالف لتعاليم ديننا ، ونحن مع هذا ننكر على الناس هذه المادية الجارفة التى تجعلهم يريدون أن يعيشوا لأنفسهم فقط وأن ينصرفوا بمواهبهم وأوقاتهم وجهودهم إلى الأنانية الشخصية ، فلا يعمل أحدهم لغيره شيئاً ولا يعنى من أمر أمته بشىء والنبى ﷺ يقول : « **من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم** » ، كما يقول : « **إن الله كتب الإحسان علي كل شيء** » .

ويخطىء من يظن أن الإخوان المسلمين دعاة تفريق عنصرى بين طبقات الأمة فنحن نعلم أن الإسلام عنى أدق العناية باحترام الرابطة الإنسانية العامة بين بنى الإنسان فى مثل قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا** ﴾ (الحجرات : 13) ، كما أنه جاء لخير الناس جميعاً ورحمة من الله للعالمين ، ودين هذه مهمته أبعد الأديان عن تفريق القلوب وإيغار الصدور ، وبهذا جاء القرآن مثبتا لهذه الوحدة مشيداً بها فى مثل قوله تعالى ﴿ **لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ** ﴾ (البقرة : 285) وقد حرم الإسلام الاعتداء حتى فى حالات الغضب والخصومة فقال تعالى ﴿ **وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ** ﴾ (المائدة : 8) .

وأوصى بالبر والإحسان بين المواطنين وإن اختلفت عقائدهم وأديانهم ﴿ **لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ** ﴾ (الممتحنة : 8) . كما أوصى بإنصاف الذميين وحسن معاملتهم : « **لهم ما لنا وعليهم ما علينا** » نعلم كل هذا فلا ندعوا إلى فرقة عنصرية ، ولا إلى عصبية طائفية ولكننا إلى جانب هذا لا نشترى هذه الوحدة بإيماننا ولا نساوم فى سبيلها على عقيدتنا ولا نهدر من أجلها مصالح المسلمين ، وإنما نشتريها بالحق والإنصاف والعدالة وكفى ، فمن حاول غير ذلك أوقفناه عند حده وأبنا له خطأ ما ذهب إليه : ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين .

ويخطىء من يظن أن الإخوان المسلمين يعملون لحساب هيئة من الهيئات أو يعتمدون على جماعة من الجماعات . فالإخوان المسلمون يعملون لغايتهم على هدى من ربهم ، وهى الإسلام وأبناؤه فى كل زمان ومكان ، وينفقون مما رزقهم الله ابتغاء مرضاته ، ويفخرون بأنهم إلى الآن لم يمدوا يدهم إلى أحد ولم يستعينوا بفرد ولا هيئة ولا جماعة .

أيها الشباب :

على هذ القواعد الثابتة وإلى هذه التعاليم السامية ندعوكم جميعاً . فإن آمنتم بفكرتنا ، واتبعتم خطواتنا ، وسلكتم معنا سبيل الإسلام الحنيف ، وتجردتم من كل فكرة سوى ذلك ، ووقفتم لعقيدتكم كل جهودكم فهو الخير لكم فى الدنيا والآخرة وسيحقق الله بكم إن شاء الله ما حقق بأسلافكم فى العصر الأول ، وسيجد كل عامل صادق منكم فى ميدان الإسلام ما يرضى همته ويستغرق نشاطه إذا كان من الصادقين .

وإن أبيتم إلا التذبذب والاضطراب ، والتردد بين الدعوات الحائرة والمناهج الفاشلة ، فإن كتيبة الله ستسير غير عابئة بقلة ولا بكثرة : ﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾(آل عمران : 126) .

حسن البنا



لماذا الكتابة في هذا الموضوع ؟

الشباب هو القوة ، فالشمس لا تملأ النهار ، آخره كما تملؤه فى أوله ، وفى الشباب نوع من الحياة تظهر كلمة الموت عنده كأنها أخت كلمة النوم ، وللشباب طبيعة أول إدراكها الثقة بالبقاء ، فأول صفاتها الإصرار على العزم ، وفى الشباب تصنع كل شجرة من أشجار الحياة ثمارها ، وبعد ذلك لا تصنع الأشجار كلها إلا خشباً . . . *

وللشباب صفات يمتاز بها تجعله عماد المجتمع والأساس الذى تُبنى عليه الدعوات ، صفات حميدة تجعلهم أهلاً لحمل أعباء الدعوة وتكاليفها والصبر عليها، صفات خرجت من مشكاة النبوة كتلك التى كانت فى خليل الرحمن سيدنا إبراهيم عليه السلام فجعلته لا يطيق أن يرى قومه يعبدون الأصنام من دون الله ، فعندها راغ إليهم ضرباً باليمين ثأراً لدينه وإعزازاً لمبدئه وهو حينذاك ما زال فتى يافعاً يقول عنه قومه :

﴿ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴾ (1) .

وتلك الصفة نجدها فى الشباب الذى تثور ثائرته عندما تنتهك حرمة من حرمات الله أو حين تغتصب مقدساته وتستباح دياره .

وكذلك فى الشباب قبُس من إحسان يوسف عليه السلام وعفته وتقواه ، هذا النبى الذى ارتقى بإيمانه وسما بإسلامه لله رب العالمين وأبى أن تجرفه الشهوات ولو قيد شعرة ، ورفض أن يرتكس فى حمأة الخطيئة والفاحشة وهو بعد فى ريعان الشباب والفتوة ونضارة الجسد ، وفوران الشهوة ، تصفه الآيات بقوله تعالى :

(*) مصطفى صادق الرافعي وحي القلم جـ 2 .
(1) سورة الأنبياء 60 .

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ﴾(1) .

وتلك الصفة الحميدة السامقة الشأن تظل نبراساً مضيئاً للشباب تشيد بعز التقوى وعفة وطهارة الأخلاق فى غياهب وحمأة الرذيلة والفاحشة وهذا سلوك شباب الأمة العفيف الطاهر أمام مفريات الفتن والشهوات .

وجمع كذلك الشباب ونهل قبس من سلوك فتية الكهف الذين زادهم ربهم هدى فأشهروا إيمانهم بربهم ودعوا قومهم إلى المحجة البيضاء وأرادوا أن يأخذوا بأيد قومهم إلى الله وعندما علموا أنهم سيفتنونهم وأنهم لن يقبلوا إلا أن يرجموهم أو يعيدوهم فى ملتهم بعد إذ أخرجهم الله من الظلمات إلى النور ، حين علموا ذلك فروا إلى الله ولجئوا إليه وآووا إلى الكهف راجين أن ينشر لهم ربهم رحمة منه ورضواناً ويهيىءلهم من أمرهم رشداً ، فأرادت حكمة الله أن يصير فتية الكهف آية وعجيبة يتعجب منها الناس ويتصابرون على الثبات بروايتها ويتناشدون فى الصلاة بقصتهم ، وخلد ذكرهم المولى عز وجل فقال :

﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾(2) .

ويظل ركب النبوة يفيض من عطائه الزاخر على كل من اتبع هداه فتتابع قوافل الحق تترا من شباب الهدى حتى جاء حادى الركب المصطفى (ﷺ) فيناصره الشباب ويخذله الشيوخ فيقول (ﷺ) :

« أوصيكم بالشباب فإنهم أرق أفئدة ، بعثت بالحنيفية السمحة فخذلني الشيوخ وحالفني الشباب »(3) .

فكان معظم أصحابه (ﷺ) شباباً نصروا الدين وحملوا لواء الدعوة ، وضحوا فى سبيلها بالغالى والنفيس وباعوا أنفسهم لله بأن لهم الجنة فهى مبتغاهم ، وتنافسوا

---

(1) سورة يوسف : 30 .
(2) سورة الكهف : 13.
(3) رواه أحمد .

فى طلبها فكان سيف الله خالد ، وسفير الإسلام مصعب ، وغسيل الملائكة حنظلة والشهيد الطائر جعفر ، وفتى خيبر الأغرّ على ، وقاتلى أبو جهل ابنى العفراء معوذ ومعاذ ، وتجمعوا تترا على ذلك حتى كان منهم القراء حملة القرآن

« كان شباب من الأنصار سبعين رجلاً يقال لهم القراء »

وما زالت المسيرة مستمرة ، وحداه الركب فى كل زمان يتتابعون فى حمل أعباء هذا الدين ولن تقف هذه المسيرة أبداً ولن ينقطع مدد هذه الثلة المباركة من ورثة الأنبياء مادام هناك شباب يعمل ، وما دام هنا دعوة تحمل ، وما دام هناك صوت ينادى :

« سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله .. وشاب نشأ في عباده الله »(1)

. . .

ما دام كل ذلك موجوداً فسينبرى الشباب يسير فى قوافل الحق ليضرب أروع الأمثال ليعلن أنه بطل الملحمة والفارس المغوار الذى لا يُشق له غُبار ، ويصدق فيه قول الإمام الشهيد : إن الشباب فى كل أمة عماد نهضتها ، وفى كل نهضة سر قوتها وفى كل فكرة حامل رايتها

﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ (الكهف : 13)

لذا كانت الكتابة فى الموضوع ضرورة ملحة ونحن نخطو نحو الخلافة والعالم كله حائر مضطرب ينتظر جيل النصر المنشود .

المؤلف

محمود سمير المنير

---

(1) متفق عليه في (اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان) .

عود على بدء ..

هذه الصفات التى ألمحنا لها آنفاً والتى تجمعت فى الشباب هى التى ميزته عن غيره وجعلته يستحق هذه المكانة العالية التى رأيناها والتى تحدث عنها الإمام الشهيد فقال : إن من أجّل صفاتهم الفؤاد النقى، والشعور القوى، والعزم الفتى .

* **فؤاد نقي + شعور قوي + عزم فتي = شباب**

تأملات فى الصفات : ـ

(1) **الفؤاد النقي** :

فالشباب صافى الذهن مما ينشغل به غيره واستعداده للتأثر بالحق أقوى وللدعوة المخلصة الصادقة أحرى فمن شب على شىء شاب عليه ، لذا لو تأملنا فى سير من حاد الله ورسولُه نجدهم كانوا من الشيوخ الذين تأصل فى نفوسهم الضلال وطبعت سليقتهم على العناد والانحراف ورتعوا فى حمئة الضلال . وعلى الجانب الآخر نجد أن من حمل لواء الدعوة وناصر هذا الدين هم الشباب اليافع حديث السن سليم الفطرة خَيّر الطباع فنقش أول ما نُقش فى قلبه حب الله ورسوله ، فلم يحجب بينه وبين داع الحق حب دنيا ولا مال فانبرى الشباب بهذا الفؤاد النقى حملة مشاعل الهدى وهداة الدنيا ، فتحوا آفاق الأرض ، وسادوها فأنعم بهم من ذوى أفئدة نقية تقية .

(2) **الشعور القوي** :

فالشباب حين تتغلغل فى حناياه المبادىء وتنطوى ضلوعه على الإيمان ينطلق معه بكل شعوره وإحساسه ويتجاوب معه بكل مشاعره كأنه عظم اختلط بلحم ، فيصبح عندئذ مرهف الحس على استعداد لتقبل كل توجيه وتكليف وترجمته إلى واقع عملى ولعل هذا ما عرفناه من الشعور المرهف الذى نراه عند صحابة

المصـطفى (ﷺ) فى سرعة تنفيذهم للأوامر النبوية والتى كانت تنقل إليهم كالسهم النافذ أصاب الهدف فكانوا يتلقون عن الرسول (ﷺ) كأرض جرداء تستقبل الغيث بعد طول جفاف فى هجير شديد وقيظ متأجج ، فلا يكادون يسمعون الأمر بتحريم الخمر حتى تمتلىء طرقات المدينة بالخمر المسكوبة تنفيذاً لهدى السماء ويُسلم أحدهم القيادة للمصطفى (ﷺ) قائلاً له : يا رسول الله إنما أنا سهم من سهام الله فأنفذنى كيف شئت وأنى شئت » وما كان هذا السلوك إلا لشعور قوى تدفق بين الحنايا والضلوع ، وعميق أثر للشعور القوى بحب الله ورسوله والولاء لهذا الدين الذى علموا منزلته يقيناً بقول القائل « دينك دينك ، لحمك ودمك » فكانوا كذلك بحق حتى استحقوا رضوان المولى عز وجل .

(3) **العزم الفتي** :

أول القوة : الإيمان ثم الوحدة والإرتباط ثم قوة الساعد والسلاح فبهذا الفؤاد النقى الذى استقر فيه الإيمان وبهذا الشعور القوى الذى عمق روابط الوحدة والارتباط فكانت قوة الأبدان ، وحماسة القلوب ، ورهافة الشعور ، مما يجعلهم لا يهدءون ولا يفترون ساعة من نهار ، رهبان بالليل فرسان بالنهار ، راحتهم الجهاد جابوا آفاق الأرض دون كلل أو تعب ،أجاد الإمام البنا فى وصف هذا العزم الفتى حين وصف المجاهد الذى يبغيه فى الشباب فقال

« **أتصور المجاهد شخصاً قد أعد عدته وأخذ أهبته ، وملك عليه التفكير فيما هو فيه جوانب نفسه ونواحي قلبه ، ... علي قدم الاستعداد أبداً إن دعي أجاب أو نودي لبي ...** »

وحسبنا بذكر شباب الدعوة الأوائل أن تتحرك الهمم بذكر من كانوا فوق الجبال جبالاً ولربما صاروا على ماء البحار بحاراً .

لأجل ذلك كان اهتمام الدعوات وقادتها ينصب دائماً على الشباب ، ولهذا

يفرد لهم الإمام الشهيد رسالة خاصة لهم يوجههم فيها ويبين لهم مكانتهم فى دعوته، لذا كان لزاماً علينا أن نقف عند معالم هذه الرسالة وننظر لها نظرة المتأمل لسطورها وحروفها بل حركاتها وسكناتها وخفقات قلب الشهيد التى نلمحها فى طياف سطوره التى سطرها بدمه ، فترك للأجيال أعظم وثيقة ، وأبى إلا أن يوقع بالدم .

ولأجل هذا كانت الكتابة فى هذا الموضوع ،




1
الفصل الأول

منهجية إعداد الدراسة

موضوع الدراسة :

دراسة وصفية تحليلية لرؤية الإمام الشهيد لمسئولية الشباب ودوره فى حمل رسالة الإسلام . من خلال الأطروحة الماثلة فى (رسالة إلى الشباب) . ومن خلال ربط الرسالة ببقية ما كتب الإمام الشهيد سواء فى المذكرات أو الرسائل .

أهداف الدراسة :

تسعى هذه الدراسة بخطى حثيثة إلى تحقيق الأهداف التالية :

(1) ـ رسم صورة متكاملة ومترابطة لرؤية الإمام الشهيد لمسئولية الشباب .

(2) ـ تعميق شعور الشباب بضخامة العبء المنوط به فى مشروع نهضة الأمة .

(3) ـ خطوة على طريق وضوح الرؤية حول الغايات والأهداف والوسائل للسير فى طريق الدعوة من خلال الرسالة .

مجال وحدود الدراسة :

ركزت الدراسة على ثلاث محاور هامة :

أولا : الحديث عن الرسائل لغة وفناً وطبيعة

ثانيا : طرح لقطات من حياة الإمام الشهيد كنموذج عملى للشباب لا سيما فى فترة شبابه .

ثالثا : ترتيب وتركيب مقولات الشهيد دون مراعاة ترتيبها فى الرسالة بما يخدم الموضوع مع ذكر بعض الإشارات البسيطة لما فهمته من الرسالة ورؤية بعض رواد الحركة فى التنظير لهذه المقولات الفكرية والحركية دون تحميل النص أكثر مما يحتمل .

مكونات الدراسة

تتكون الدراسة من مقدمة وستة فصول أساسية . ويتناول **الفصل الأول** ثلاث نقاط هامة ، المنهجية التى سرنا عليها فى إعداد الدراسة لشرح (رسالة إلى الشباب) ثم عرض لأهداف الدراسة ومكوناتها ويعرض **الفصل الثاني** بعرض النموذج التجربة للشباب وعرض نموذج الإمام البنا كنموذج معاصر وكصاحب الرسالة والدعوة ونتعرض فيه لأربع نقاط : من هم الشباب ؟ !والشباب بين تجربة الماضى وآفاق المستقبل ، ومعالجة ونداء من خلال موضوع الشباب ألم وأمل ، ثم عرض لصور مشرقة من حياة الإمام الشهيد شاباً ويتناول **الفصل الثالث** تنظير الرسائل وإحصاءات كمية وبيلوجرافيا لبيان مكان (رسالة إلى الشباب) بين هذه الرسائل وعرض للثوابت فى شكل خطة منهجية عن طريق الرسوم والأشكال التوضيحية .

ويبدأ **الفصل الرابع** فى شرح الرسالة متناولاً فيه خصائص الشباب الأربعة (الإيمان والإخلاص والحماسة والعمل)وفى **الفصل الخامس** نعرض فيه لنقاط تماثل واجبات ونداءات للشباب وهى أربع نقاط :

(1) ـ **حددوا غايتكم وأهدافكم .**

(2) ـ **آمنوا وتآخوا واعملوا .**

(3) ـ **اعلموا منزلتكم .**

(4) ـ **أوجب الواجبات .**

وفى **الفصل السادس** نعرض فيه للشبهات والرد عليها مكتفين برد الإمام الشهيد عليها وتصدير ذلك بمنهج الإخوان المسلمين فى الرد على الشبهات وبعض الهوامش التى تحيل القارىء لمعرفة المزيد من التفاصيل .

وتنتهى الدراسة بخاتمة تلخص عناصر الرسالة من خلال رؤية الإمام الشهيد لمسئولية الشباب ، وكذلك عرض للمنهاج التربوى والإصلاحى .

أهداف الدراسة

(1) رسم صورة واضحة لرؤية الإمام البنا لمسئولية الشباب :

فى دعوة الإمام البنا لنهضة الأمة ارتكز على قوانين للنهضة فكان من هذه القوانين (مقومات نجاح الأفكار) - الشباب - ويقول د / عبد الحميد الغزالى فى كتابه (أصول أساسيات المشروع الإسلامى لنهضة الأمة) أن الأستاذ البنا ركز بحق على العمود الفقرى لإحداث النهضة وهم الشباب وأكد على الخصائص الأربعة اللصيقة بالشباب والكفيلة باحداث نهضة قوية مستدامة قوامها (الإيمان والإخلاص والحماسة والعمل) وهنا تأتى نقطة البدء الصحيحة التى من أجلها حاولنا أن نستقرأ فكر الإمام الشهيد لبيان رؤيته لمسئولية الشباب ودورهم فى مشروع النهضة ومعتمدين على ما كتب فى (رسالة إلى الشباب) دون أن نحمل النصوص أكثر مما تحتمل ولكن اعتمدنا فى تبيان هذه الصورة على الاستشهاد على كلام الأستاذ البنا بفقرات أخرى من رسائله .

(2) الإحاطة بطبيعة الدعوة وجوانبها ومعالم هذا الدور المنوط بالشباب :

وتبدو هذه الضرورة حتمية خاصة وأن الشباب بحاجة إلى تفهم الدور الملقى على عاتقهم فى مشروع النهضة ، وقعود الشباب عن القيام بهذا الدور هو بمثابة ارتكاسة لدعائم هذا المشروع وإحداث خلل فى آلية الحركة نحو تحقيق الأهداف المنشودة . وفى هذا يقول الأستاذ / البنا « هذه الدعوة لا يصلح لها إلا من أحاطها من كل جوانبها » فإحاطة الشباب بدوره وتكامل أبعاد الصورة فى ذهن هذا القطاع الدافق بالحيوية ضرورة لتحقيق المساعى الحميدة نحو الريادة وغياب هذه الرؤية خطر ماحق حذر منه الأستاذ البنا فى أحد قوانينه التى اشتقها من دراسة حركات النهضة المختلفة حيث يقول :

« إن تكوين الأمم وتربية الشعوب وتحقيق الآمال ومناصرة المبادىء تحتاج من الأمة التى تحاول ذلك أو من الفئة التى تدعو إليه على الأقل إلى قوة نفسية عظيمة ـ الشباب ـ تتمثل فى عدة أمور :

(1) إرادة قوية لا يتطرق إليها ضعف (إرادة) .

(2) وفاء ثابت لا يعدو عليه تلون ولا غدر (الوفاء) .

(3) وتضحية عزيزة لا يحول دونها طمع ولا بخل (التضحية) .

(4) معرفة بالمبدأ وتقديرله (المعرفة) .

(أ) يعصم من الخطأ فيه (ب) والانحراف عنه .

(جـ) والمساومة عليه (د) والخديعة بغيره[1] **.**

ويقول الأستاذ البنا :

« على هذه الأركان الأولية التى هى من خصوص النفوس وحدها ، وعلى هذه القوة الروحية الهائلة تُبنى المبادىء ، وتتربى الأمم الناهضة ، وتتكون الشعوب الفتيَّة وتتجدد الحياة فيمن حرموا الحياة زمناً طويلاً .

وكل شعب فقد هذه الصفات الأربعة أو على الأقل فقدها قواده ودعاة الإصلاح فيه فهو شعب عابث مسكين لا يصل إلى خير ولا يحقق أملاً وحسبه أن يعيش فى جو من الأحلام والظنون هذا هو قانون الله تبارك وتعالى وسنته فى خلقه ولن تجد لسنه الله تبديلاً .

﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد : 11] .

وهكذا يشير الأستاذ البنا إلى أن وضوح الرؤية ، والإحاطة بكل جوانب الدعوة

---

(1) انظر : أساسيات المشروع الإسلامي لنهضة الأمة د/ عبد الحميد الغزالي / 7 ط دار التوزيع .

هو لب وخطوة البدء الصحيحة فى الحركة وقاية من العثرات المميتة ، وعلل التساقط وظنون الحيرة والتشكك وأدواء الاغترار بكل طرح جديد .

(3) تعميق الثقافة فى المشروع النهضوى لا سيما ما يخص الشباب :

وهنا لابد من تحديد الأهداف ، ووضوح الغايات ، وذلك لأمرين :

* أولاً : لتأكيد الإمام البنا على هذا الهدف فى خطابه - فى رساله إلى الشباب - بقوله [حددوا غايتكم وأهدافكم] [1] .

* ثانياً : العمل فى هذا الطريق على بصيرة لقوله عز وجل : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي . . . ﴾ (يوسف : 108) .

وهو أمر هام لتأصيل العمل للإسلام حتى ينطلق الشباب نحو الغاية فى إرادة قوية ، ووفاء ثابت ، وتضحية عزيزة ، من منطلق المعرفة العميقة بهذا المبدأ .

(4) تعميق شعور الشباب بمسئوليته تجاه الإسلام :

عن طريق تبيان طبيعة الهجمة على الإسلام من خلال طرح الإمام الشهيد فى حديثه إلى الشباب خاصة وأن الظروف المحيطة بهذا الجيل تتزاحم فيه الأمم بالمناكب وتتنازع البناء أشد التنازع ، والغلبة دائماً للقوى السابق ، والشباب عليه أن يواجه أغاليط الماضى وعليه كذلك رأب الصدع وجبر الكسر بين شتات هذه الأمة التى مزقها أعداؤها وعليه كذلك استرداد عزتها ومجدها وإحياء حضارتها وتعاليم دينها ولن تبعث الحركة لتحقيق هذه الأهداف إلا عن شعور عميق بالمسئولية تجاه هذا الدين .

ومن قبل جابه الإمام الشهيد هذا القدر المقدور ، ووقف كشجرة السنديان الصامدة تلفحها الريح العاصفة والأنواء العاتية من كل جانب فى جو ملبد بالغيوم ،

---

(1) رسالة إلي الشباب ط دار الدعوة ، اسكندرية .

وسماء غاضبة ممطرة ، ووحشه هائلة مخوفة ، فجعل يصرخ بأعلى صوته ، من أهوال الرسالة ، وأهوال الصبر المرير ، وأهوال الفتن الكاسحة المتلاطمة .

فالظروف التى نشأ فيها البنا ـ رحمه الله ـ قريبة الشبه باليوم ـ فما أشبه الليلة بالبارحة وتحدث عن هذا الواقع المرير فقال :

« شاءت لنا الظروف أن نخوض لجة عهد الانتقال الأهوج حيث تلعب العواصف الفكرية ، والتيارات النفسية ، و الأهواء الشخصية بالأفراد والأمم ، وبالحكومات والهيئات وبالعالم كله ، وحيث يتبلبل الفكر وتضطرب النفس ، ويقف الربان وسط اللجة يلتمس الطريق ، ويتحسس السبيل وقد اشتبهت عليه الأعلام ، وانطمست أمامه الصور ، ووقف على رأس الطريق داع يدعو إليه فى ليل دامس معتكر ، وظلمات بعضها فوق بعض حتى لا تكاد تجد كلمة تعبر بها عن نفسية الأمم من قبل هذا العهد أفضل من (الفوضى) ، كذلك شاءت لنا الظروف أن نواجه كل ذلك وأن نعمل على إنقاذ الأمة من الخطر المحدق بها من كل ناحية » [1]

وبعد عرض هذا الواقع الدامى تكون قد وضحت الرؤية واستبانت معالم التبعة المثقلة بالهموم والأعباء وهذا هدف ننشده أن نجد من يحمل هم الإسلام ونفتش فى هذه الأمة عن إنسان يتألم ويدفعه الألم للحركة والعمل وسط هذه اللجّة وانطماس الصور ولكن على بصيرة من سبيلنا .

***

(1) مجلة الدعوة : (يصدرها المركز الثقافي الإسلامي بالنمسا) العدد 95 ـ لسنه 34 ذو الحجة 1404 هـ ـ سبتمبر 1984 .

مكونـــات وملامـــح الرســـالة

تتألف رسالة إلى الشباب من أربعة أقسام :

(1) القسم الأول منها فى خصائص الشباب الأربعة (الإيمان ـ الإخلاص ـ العمل) .

(2) القسم الثاني دعوة الإخوان المسلمين أو دعوة الإسلام فى القرن الرابع عشر الهجرى

وتناول فيها : **طبيعة الهجمة على الإسلام .**

ـ طبيعة الطريق وحجم التحديات .

ـ واجبات الشباب تجاه ← نفسه .

← أمتـــه .

← دعوته .

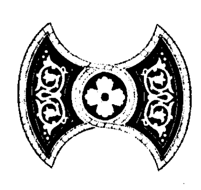
(3) القسم الثالث : وتناول فيه منهاج الإخوان المسلمين سباعى الخطوات (إصلاح الفرد ـ تكوين البيت المسلم ـ إرشاد المجتمع ـ إصلاح الحكومة ـ تحرير الوطن ـ تكوين الخلافة ـ إستاذية العالم) .

(4) القسم الرابع : عرض للشبهات التى طرحت حول الجماعة والرد عليها لوضوح الرؤية .

* ولقد استطاع الإمام الشهيد من خلال الرسالة أن يوضح الرؤية للشباب لينطلق نحو تحقيق أهداف الإسلام انطلاقة سليمة ، ولذلك فإن الرسالة أخذت طابع التوجيه الدقيق الجماعى وأكد فيها على ثوابت الحركة ، وزاد الشباب لتحقيق منهج الدعوة المرسوم لها لأن الشباب إذا لم تكن رؤيته واضحة فى كل شىء فإن قدرته على الانطلاق المستمر فى صف منضبط مستقر تكون ضعيفة وغير مثمرة

إن نطقة البداية التى طرحها الإمام الشهيد هى تفعيل خصائص الشباب الأربعة واستغلال طاقاته ، كذلك أبان أن الشباب بحاجة إلى وضوح الرؤية حتى يستطيع التلاؤم مع الصف والإسهام بفاعلية فى البناء . .

والرسالة على ضآلة سطورها وقلة صفحاتها إلا أنها حققت هدفها المنشود فى وضوح الرؤية وهذا مظهر من مظاهر التوفيق والإلهام الربانى للأستاذ الملهم رحمه الله .




2
الفصل الثانى

من هم الشباب

إن الحديث عن الشباب يفرض علينا محاولة تحديد ماهية مرحلة الشباب ، وهل هى سن معينة وفق مسار زمنى محدد ، أو مرحلة من الحياة تطول أو تقصر تبعاً لإحساس الإنسان بشبابه ، ولا شك أن الحديث عن تحديد هذه الماهية يدفعنا إلى التعرف على طبيعة كل مراحل نموه والمؤثرات التى تترك انطباعها عليه ، وإن كان هذا ليس من صميم بحثنا ولكن هى رؤية لإمعان النظر فى تحديد الشريعة المنوط بها الرسالة التى كتبها الإمام الشهيد حسن البنا ، حتى لا يقفز إلى ذهن القارىء تصور خاطىء يعطى انطباع بمرحلة عمرية محددة تكون هى المعنية بحديث الإمام الشهيد .

والذى لاشك فيه من الناحية السيكولوجية أن الشباب مرحلة تتوسط الطفولة والكهولة ، أو بمعنى أصح تحتل مرحلة الطفولة المتأخرة وقدراً من مرحلة الرجولة ، ويذهب بعض علماء النفس والتربية إلى قصر مرحلة الشباب على سن معينة من الثالثة عشر تقريباً حتى قرابة الأربعين ، والواقع أن تحديد هذه المرحلة بعمر زمنى ليس بالأمر السهل ، إذ تختلف خصائص هذه الفترة من بلد إلى آخر وفى البلد الواحد من بيئة لأخرى ، فشباب الحضر غير شباب الريف كما يتفاوت هذا التحديد انكماشاً وامتداداً فى ضوء الأوضاع السائدة ، وتحت الضغوط الاجتماعية المختلفة ، وقد نرى شيخاً فى الثلاثين ، وقد نرى شاباً وهو ابن الستين بما لديه من روح معنوية عالية وصحة نفسية مناسبة ، وبعد عن أوضار المرض والكهولة والمعاناة والواقع يشهد بذلك لاسيما أصحاب الدعوات الذين يمتد بهم العمر وهم يضربون أروع الأمثلة على العطاء فى الدعوة إلى الله دون كلل أو ملل أو ركون إلى كهولة سن أو طوارىء وصروف الأقدار مقتدين فى ذلك بالرسول (ﷺ) الذى كانت بعثته على رأس الأربعين ولحق بالرفيق الأعلى فى الثالثة والستين وظل جهاده متواصل وكفاحه دائم طوال عمره المبارك وتأتى غزوة العسرة بما فيها من مشقة وعنت

وقائدها الأعظم ﷺ عمره جاوز الستين عاماً وكان معه فيها رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه .

﴿ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ آل عمران 3/ 146 .

ويقول سائر علماء النفس والتربية أن مرحلة الشباب ترتبط بالسن إلى حد كبير ويمكن تقسيمها إلى فترتين :

* **الأولي** : من سن الثالثة عشر إلى سن الحادية والعشرين وتبدأ من البلوغ الجنسى وتعرف بمرحلة الفتوة أو الشباب الأولى .

* **الثانية** : تبدأ من سن الحادية والعشرين تقريباً إلى سن الأربعين وليس هناك اتفاق قاطع على بداية مرحلة الشباب أو نهايتها ، وعموماً فكلها تقديرات لايوجد بينها حدود فاصلة ، ولا يمكن أن نذكر يوماً بعينه أو سنة بذاتها تبدأ فيها مرحلة الشباب أو تنتهى عندها هذه المرحلة .

ويقول الدكتور محمد خلف الله أحمد فى محاضرة له بعنوان :

« الدين وحماية الشباب من الانحراف السلوكى والفكرى »[1] .

« إن مرحلة الشباب بوجه عام هى تلك المرحلة التى تمتد من أوائل العشرة الثانية إلى أواخر العشرة الثالثة من العمر والتى تشهد فى بدايتها نهاية الطفولة والانتقال إلى المراهقة والبلوغ ، وتتسم فى أواخرها بالنضج الجسمانى والتطلع إلى وظيفة ومركز ملائمين والإتجاه إلى الاستقرار وتكوين أسرة والقيام بدور فعال فى خدمة المجتمع» .

---

(1) د/ محمد خلف الله أحمد/ محاضرة الدين وحماية الشباب من الانحراف السلوكى والفكرى بحث عن مجمع البحوث الإسلامية سنة 1391 هـ .

والذى أميل إليه بعدما تقدم عرضه :

أن الشباب حالة ذهينة ونفسية قبل كل شىء تتسم بتصور خاص للحياة وتتميز بطاقة وقوة وميل إلى المغامرة وتتصف بالإقدام والجرأة والتحرر ، ويمكن للإنسان حتى ولو تخطى سن الشباب أن يظل متجدداً ومفعماً بالحيوية والنشاط الروحى والجسمى والعقلى ، ولا أدل على ذلك من ذلك العالم الذى جاوز عمره المائة وقفز قفزة ، فلامه من حوله فى ذلك فقال : جوارح حفظناها لله فى الصغر فحفظها لنا فى الكبر ، وسيدنا أبو أيوب الأنصارى الذى يجاهد وعمره جاوز الثلاثة والثمانين عاماً ويشارك فى فتح القسطنطينية بعد هذه السنون التى أكهلته وما لان لها .



تنظير المرحلة

الشباب والفتى فى المدلول اللغوى :-

لم ترد كلمة شباب بحروفها فى القرآن الكريم وإنما وردت كلمة فتى وفتيات فى قوله تعالى :

﴿ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴾ (1) .

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ . . . ﴾ (2) .

﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ ﴾ (3) .

وقوله : ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ ﴾ (4) .

وقوله : ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ (5) .

وأما عن الفتيات يقول سبحانه وتعالى :

﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ﴾ (6) .

﴿وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ . . . ﴾ (7) .

وعند النظر فى معاجم وقواميس اللغة العربية نجدها تذكر أن لفظة فتى تستخدم بمعنى شاب لأن الفتوه معناها الشباب وتستعمل للدلالة على القوة لأن الشباب عنوان القوة .

وتستعمل بمعنى الشجاعة والفروسية ـ والفتوة فى اللغة من الفتاء وهو الشباب

---

(1) سورة الأنبياء : 61 .
(2) الكهف : 60 .
(3) يوسف : 30 .
(4) الكهف : 10 ، 13 .
(5) الكهف : 13 .
(6) النساء : 25 .
(7) النـور : 33 .

والفتى فى الأصل الشباب واشتقاق الفتوة من الفتاء بمعنى الشباب وتدل على أن الفتى يكون قوياً شجاعاً فيه عزم وفضاء وهذه صفات الشباب .

وفى المعجم الوسيط :

الشباب هو من أدرك سن البلوغ إلى سن الرجولة

والشباب هو الحداثة وشباب الشيء أوله .

وقال القتيبى فى لسان العرب :

ليس الفتى بمعنى الشاب والحدث ، وإنما هو بمعنى الكامل الجزل

ويقول طرفة بن العبد :

إذا القوم قالوا من فتى خلت أننى . .

دُعيـــت فلـــم أكســـل ولـــم أتبـــلد

ويقول ابن عربى : أن الفتى ما بين الثامنة عشرة والأربعين من العمر ويتصف بالقوة والأخلاق الحميدة ويستخدم قوته فى خدمة الله ونصرة الضعيف وليس له عدو ولكن له حساد ومنافسون .

وقال ابن نجيم فى الأشباه والنظائر / باب أحكام الصبيان :

« هو جنين ما دام فى بطن أمه فإذا انفصل ذكراً فصبى . .

فغلام إلى تسع عشرة ، فشاب إلى أربع وثلاثين . .

فكهل إلى إحدى وخمسين فشيخ إلى آخر عمره »

وهناك إجماع من علماء المسلمين على أن الطفل بمجرد احتلامه يصبح مكلفاً والفتاة إذا احتلمت أو حاضت أو حملت فقد بلغت سن التكليف أيضاً ويؤكد هذا المعنى ما روى عن النبى (ﷺ) :

« **رفع القلم عن ثلاثة : عن المجنون المغلوب علي عقله حتي يبرأ ، وعن النائم حتي يستيقظ ، وعن الصبي حتي يحتلم** » [1] .

ويقول أبو منصور الثعالبى فى كتابه / فقه اللغة :

« فإذا كان يبلغ الحلم أو بلغه فهو يافع ومراهق . . فإذا اخضرَّ شاربه وأخذ عذاره يسيل[2] قيل : بقل وجهه فإذا صار ذا فتاء فهو فتى وشارح فإذا اجتمعت لحيته وبلغ شبابه فهو مجتمع ثم ما دام بين الثلاثين والأربعين فهو شاب ثم هو كهل إلى أن يستوفى الستين » .

كما روى أن الرسول (ﷺ) **أمر بقتل من يُقتل إذا جرت عليه الموسى وفى رواية أخرى من اخضر عذاره** (أى من نبت شعر عانته) أما قبل هذه المرحلة أى [3]

﴿ **وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ** ﴾ فإنما يؤمرون بفعل الشرائع وينهون عن ارتكاب القبائح على وجه التعليم والتأديب ليعتادوا أداء الفرائض ويتمرنوا عليها فى مقتبل حياتهم فيكون ذلك عند البلوغ ويؤكد هذا المعنى ما روى عن رسول الله (ﷺ) « **مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع** » [4] .

وفى القرآن الكريم إشارة إلى مراحل نمو الإنسان فى قوله سبحانه وتعالى :

﴿ **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ** ﴾ [5] .

---

(1) رواه البخارى . وروى غيره بألفاظ مختلفة

(2) اخضر عذاره (أى نبت شعر عانته) .

(3) الشباب ومشكلاته من منظور اسلامى / محمد توفيق إبراهيم زناتى . الندوة العالمية للشباب الإسلامى دراسات إسلامية للشباب (5) .

(4) سنن أبى داود / كتاب الصلاة .

(5) الروم (54) .

وهذه إشارة إلى أن الإنسان يمر بأطوار ثلاثة فى حياته :

* طور الطفولة ثم الشباب ثم الشيخوخة .

* والطور الأول والأخير يتمثل فيه ضعف الإنسان وعجزه وانعدام حيلته ، بينما طور الشباب يتسم بالقوة والحيوية والنشاط .

ونجد فى القرآن الكريم صورة أخرى واضحة عن تطور الخلق فى سورة (الحج) إذ يقول المولى سبحانه وتعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ (1) .

وهكذا نرى مرحلة الطفولة وبلوغ الأشد وأرذل العمر وهناك خلاف حول البلوغ أوسن الرشد فيرى البعض أنها بلوغ الحُلم وظهور الرشد .

ويحصرها آخرون فى سن الخامسة والعشرين حتى الثلاثين .

وفى قول ربنا تعالى :

﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾(2) .

ما يجعل البعض الآخر يميل إلى ترجيح أن بلوغ الرشد يتراوح بين الثلاثين والأربعين وهى غاية النضج العضوى والعقلى والعاطفى وفيها تكتمل جميع القوى والطاقات ويتهيأ للإنسان لأن يزن تصرفاته وأعماله بميزان العقل والحكمة فى اكتمال

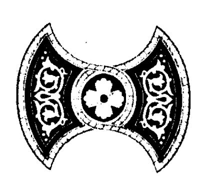
---

(1) الحج (5) .

(2) الأحقاف : (5) .

وهدوء ، وكلما اتجه الخط البيانى للعمر إلى الصعود ، كلما بدأت القوى الجسمية تعانى من أوضار الشيخوخة ، ولا يمنع ذلك أن هناك كثيراً من الناس يحافظون على قوة ذاكرتهم وسلامة حواسهم إلى سن متأخرة ، ولكنها محافظة على الوضع القائم وليست نمواً له أو زيادة فيه .

ومن هنا نفهم لماذا آتى الله سبحانه وتعالى العلم والحكمة لمعظم الأنبياء عندما بلغوا أشدهم وكيف أن رسول الله (ﷺ) قد استنبىء على رأس الأربعين [1] .



(1) محمد توفيق / الشباب ومشكلاته من منظور اسلامى سبق الإشارة إليه .

الشباب بين تجربة الماضى وآفاق المستقبل

منذ بعثة الرسول (ﷺ) وللشباب دوره الفعال فى دعوته وتربيته ، وفى حمل رسالة الإسلام بين أقطار الأرض ، وصاغ الرسول (ﷺ) منهم جيلاً قرآنيا فريداً وكانوا يمثلون جميع شرائح طبقات المجتمع المسلم فكان منهم من تقدم بإسلامه قبل الفتح وكان منهم المهاجرة إلى الحبشة ، وأصحاب بيعة العقبة الأولى والثانية ، وكان منهم السابقين بالهجرة ، وكذلك أهل بيعة الرضوان ، وهكذا . .

والمتأمل فى تجربة الماضى التى أخرجت هذا الجيل يجد أنها أفرزت بالتربية بمحاورها المتعددة أفذاذاً استطاعوا أن يبسطوا رقعة المد الإسلامى فى جنبات المعمورة وأنشأوا حضارة سامقة ، قادت البشرية إلى النور لعهد قريب غير أنها دائرة الأيام التى لا تحابى أحداً فتقذف بالضعيف إلى ذيل القافلة وتلك سنة الله فى خلقه .
ونحن بحاجة لعرض تجربة الماضى محاولين أن نستشف منها آفاق المستقبل .

(1) معالم التجربة النموذج :

* دار الأرقم محضن التربية :

وهنا يتضح لنا اهتمامه (ﷺ) على بناء الإنسان (الفرد) المؤهل للقيام بكل المهام التى توكل إليه لبناء الحضارة من روح وعقل وثمار للعقل مادية ومعنوية والحركة بالإسلام كمنهج حياة ، وهنا يسأل سائل : أين خطط التنمية التى تديرها الدول لإنشاء حضارتها ، نقول أنه (ﷺ) اعتمد على تنمية (الفرد) الذى لا يملك أية وسائل مساعدة ولا آية إمكانات أرضية منظورة . . إنه يملك إلهام رب ومعرفة وحى يأتيه من السماء وحسب . .

وهو بهذا الوحى ، وبدون مساعدة خارجية يملكها ، يصنع الرجال ، وينشىء جيلاً من المؤمنين الربانيين المبدعين ، ويظل محضن الأرقم هو مصنع الرجال لمدة ثلاثة عشرة عاماً كاملة ، تعلقت فيها أرواح هذه الثلة المباركة بخالقها أيما تعلق وتبتلت في محراب الصلاة لتقدر على سابحة النهار لأن ناشئة الليل هى أشد وطأ

وأقوم قيلاً . ومع تهالك الأسباب بل وانعدامها فى تلك الفترة المكية إلا من الزاد الروحى . فقد كان من الضرورى أن يكون بناء هذا الفرد الإنسان . . المجرد تقريباً من كل الوسائل المادية والذى يلقى التعسف ويقع تحت أسر الحصار فى شعب أبى طالب ، ويمتهن لا لشىء إلا أنه صاحب عقيدة ملأت عليه جوانحه . . من الضرورى أن يكون بناء هذا الإنسان (عقديا وفكرياً ومعنوياً وخلقياً) قوياً محكماً بحيث يتجاوز كل هذه المحن ويتصدى لها ، وبحيث يجد فى نفسه التعويض ، وفى قيمه البديل والسلوان .

(2) بيعة من الشباب على العمل ..

لم تكن الإسهامات والمسئوليات العظام التى قام بها شباب عهد النبوة ، لتتم من فراغ أو بعاطفة مشبوبه تخبو وتظهر بين حين وآخر ولكنها كانت نابعه من بيعة موثقة وعلى عين الله عز وجل .

أخرج الطبرانى عن محمد بن على بن الحسين (رضي الله عنه) أن النبى (ﷺ) بايع الحسن والحسين وعبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر - رضى الله عنهم - وهم صغار ولم يبقلوا [1] ولم يبلغوا ، ولم يبايع صغيراً إلا منا »

وأخرج الطبرانى أيضاً عن عبد الله بن الزبير وعبد الله بن جعفر (رضى الله عنهما) أنهما بايعا رسول الله (ﷺ) وهما ابنا سبع سنين ، فلما رآهما رسول الله (ﷺ) تبسم وبسط يده ، فبايعهما .

« ونحن ندرك أن البيعة لا تقبل إلا مما يعى شروطها ومسئوليتها ، وأنها عمل خطير يوجه العمر كله فى طريق واحد محدد ، والنكث بها خيانة لله ورسوله . . ولو لم يكن الرسول (ﷺ) يدرك أهلية هؤلاء الصبيان المبايعين الذين لم يحتلموا لتحمل المسئولية لما بايعهم ، فالبيعة فى نهاية الأمر - عقد بين اثنين مبايع (بالكسر)

---

(1) أى لم تنبت لحيتهم (بقل وجهه : نبتت لحيته) .

ومبايع (بالفتح) ، ويتأكد لنا هذا من سلوك الرسول (ﷺ) نفسه ، مع غلمان آخرين غير هؤلاء ، وفى أعمارهم الزمنية نفسها ، وقد حاولوا مبايعه الرسول ، لكن الرسول رفض بيعتهم . .

فقد أخرج النسائى عن الهرماس بن زياد (رضي الله عنه) قال : مددت يدى إلى النبى (ﷺ) وأنا غلام ليبايعنى فلم يبايعنى [1] .

إننا عندما نقف أمام هذا النص وغيره فى بيعة الصبيان ، نرى أن الشعور بالمسئولية ودفعة الروح تتفوقان كثيراً عن العمر الزمنى ، ونرى أن الرسول (ﷺ) يقيس الأمور بهذا المقياس الروحى والعقلى والتربوى ، أكثر مما يقيسها بالمقياس الحسابى . . ولا أدل على ذلك من دفعه لأسامة بن زيد إلى تخوم الروم لتأديبهم ولم يُعر حداثة السن وزناً بل خطب فى الناس وبين لهم مقياسه هو ، وقال عليه الصلاةَ والسلام :

« أيها الناس ، أنفذوا بعث أسامة ، فلعمري لئن قلتم في إمارته لقد قلتم في إماره أبيه من قبل ، وإنه لخليق للإمارة ، وإن كان أبوه لخليقا لها » .

وهكذا كانت البيعة خط أصيل دائماً قبل العمل وأخذها (ﷺ) من الشيوخ والشباب بل والصبيان وما خلت بيعة له (ﷺ) من شباب مبايعين على العمل فى سبيل الله عز وجل والتاريخ الإسلامى فى عصر النبوة ذاخر بهذه النماذج المبايعة والمجاهدة فى سبيل الله .

(3) الشباب حملة القرآن وفرسان الميدان :

حينما نزل جبريل الأمين بالوحى على قلب سيد المرسلين وجاء التكليف الربانى بأن يصدع بالدعوة إلى نبذ عبادة كل ما سوى الله وإفراد الله سبحانه وتعالى

---

(1) انظر الشباب المسلم بين تجربه الماضى وآفاق المستقبل د / عبد الحليم عويس 12 ـ 13 .

بالعبودية هُرول بالاستجابة إليه شباب أطهار ، ثلة مباركة من خيرة أهل الأرض بايعوه من أول لحظة على نصره الله وإعلاء كلمته وأعطوا صفوة قلوبهم وثمرة أفئدتهم لهذا الدين مضحين بالنفس والمال فى سبيل إعلاء كلمة الله عز وجل ، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور وكانوا بحق رهباناً بالليل فرساناً بالنهار وهذه النخبة الممتازة كانت كما قال أمير الشعراء أحمد شوقى ـ رحمه الله ـ :

هل كان حول محمد من قومه ... إلا صبى واحد ونساء

فدعا فلبى فى القبائل عصبة ... مستضعفون قلائل أنضاء

ردوا بأس العزم عنه من الأذى ... ما لا ترد الصخرة الصماء

والصبر والإيمان إن صبا على ... برد ففيه كتيبة خرساء

وقد غير الإسلام كل شيء فى حياة هؤلاء الشباب وجعلهم نموذجاً رفيعاً لأخلاق حملة القرآن وفرسان الميدان فصاروا كما قال الرافعى :

« إن هؤلاء المسلمين هم العقل الجديد الذى يضع فى العالم تمييزه بين الحق والباطل وإن نبيهم أطهر من السحابة فى سمائها وأنهم جميعاً ينبعثون من حدود دينهم وفضائله لا من حدود أنفسهم وشهواتها وإذا سلوا السيف سلوه بقانون وإذا أغمدوه أغمدوه بقانون ، ولأن تخاف المرأة على عفتها من أبيها أقرب إلى أن تخاف عليها من أصحاب هذا النبى ، فإنهم جميعاً فى واجبات القلب وواجبات العقل سواء ويكاد الضمير الإسلامى فى الرجل منهم أن يكون حاملاً سلاحاً يضرب صاحبه إذا هَمَّ بمخالفته »[1] .

قائمة شرف المرحلة :

وبدراسة متأنية لأفراد هذه النخبة الممتازة التى تجمعت فى دار الأرقم من صحابة

(1) وحى القلم / مصطفى صادق الرافعى .

الرسـول (ﷺ) نخـرج بانطبـاع واضح أن جلهـم إن لم يكن كـلهـم مـجـمـوعـة من الشباب : فأبوبكر رضي الله عنه عندما أسلم كان فى السابعة والثلاثين من عمره وعمر رضي الله عنه كان فى السابعة والعشرين ، وعلى بن أبى طالب كان فى التاسعه ، وأبو عبيدة بن الجراح فى السابعة والعشرين ، وطلحة بن عبيد الله كان عمره إحدى عشرة سنة ، ومسعود بن ربيعة كان لديه سبع عشرة سنة ، وعثمان بن عفان كان ابن عشرين سنة وعبد الرحمن بن عوف كان فى الثلاثين ، وبلال بن رباح كان فى الثلاثين أيضاً ، وأسماء بنت أبى بكر كانت فى العاشرة من عمرها ، والزبير بن العوام اعتنق الإسلام فى الثامنة ، والأرقم بن أبى الأرقم اعتنق الاسلام فى سن الحادية عشرة وسعد بن أبى وقاص فى سن السابعة عشرة ، وجعفر بن أبى طالب فى سن الثامنة عشرة ، وصهيب الرومى أسلم فى سن التاسعة عشرة »[1] .

يقول مونتجمرى وات فى كتابه (محمد فى مكة) « لقد انتمى إلى الإسلام شباب ينحدرون من أفضل العائلات وأشهر القبائل وأن أهم فكرة نستخرجها من تاريخ المسلمين الأوائل هو أن الإسلام كان فى الأساس حركة شباب » .

*** سباق الشباب نحو الجنان :**

والمتأمل فى سيرة هذه الثلة المباركة لشباب الدعوة الأولى يجد من بين العشرة المبشرين بالجنة خمسة شباب بارزون :

● فتى الهجرة وفارس خيبر الأغَرّ ، الإمام على بن أبـى طـالب (رضي الله عنه) ولد فى العـام الثالث والعشـرين قبل الهجرة ، واستشهد فى العام الأربعين بعد الهجرة (601 ـ 661 م) أى أنه عاش شبابه كله فى فترة إقامة الدعوة وبناء الدولة ، وكان أول من أسلم من الصبيان فى تاريخ الإسلام [2] وكان عمره حين أسلم عشر سنين ،

(1) الشباب ومشكلاته من منظور إسلامى / محمد توفيق 24 .
(2) ابن سعد : الطبقات الكبرى 3/ 13 ـ29 .

وحين هاجر ثلاثاً وعشرين سنة ، وحين توفى الرسول (ﷺ) ثلاثاً وثلاثين وحين استشهد (رضي الله عنه) ثلاثاً وستين سنة .

وكانت لعلى بن أبى طالب (رضي الله عنه) مواقف رائعة فى الذود عن الإسلام منذ صغره وعلى امتداد سنوات شبابه (1) .

أخرج ابن جرير عن طريق ابن إسحاق عن عروة وعبد الله بن كعب بن مالك الأنصارى (رضى الله عنهم) قالا : لما كان يوم الخندق خرج عمرو بن عبد ود معلماً يُرَى مشهده . فلما وقف هو وخليله قال له على : يا عمرو ، إنك قد كنت تعاهد الله لقريش ، ألا يدعوك ـ رجل إلى خُلّتين إلا اخترت إحداهما . قال : أجل . قال : فإنى أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام . قال : لا حاجة لى فى ذلك . قال : فإنى أدعوك إلى المبارزة . قال : لم يا ابن أخى ؟ فو الله ، ما أحب أن أقتلك . قال على (رضي الله عنه) : ولكنى والله أحب أن أقتلك . فحمى عمرو عند ذلك .

وأقبل إلى على رضي الله عنه فتنازلا ، فتجاولا : فقتله على رضي الله عنه ويرى أن معاوية بن أبى سفيان قال لضرار وهو من أصحاب سيدنا على : يا ضرار صف لى عليا ، فقال الرجل : اعفنى يا أمير المؤمنين قال معاوية لتصفنَّه قال :

أما إذ لابد من وصفه فكان والله بعيد المدى شديد القوى ، يقول فصلاً وينطق عدلاً يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه ويستوحش من الدنيا وزهرتها ويستأنس بالليل ووحشته وكان فينا كأحدنا يجيبنا إذا سألناه وينبئنا إذا استنبأناه ونحن ـ والله مع تقريبه إيانا وقربه منا ـ لا نكاد نكلمه هيبة له ، يعظم أهل الدين ويقرب المساكين ، لا يطمع القوى فى باطله ، ولا ييأس الضعيف من عدله

(1) د/ سيد الجميلى : العشرة المبشرون بالجنة ، دار الكتاب العربى ، بيروت جـ 1 / 1404 هـ صـ 101 ـ 145 .

وأشهد أنى قد رأيته فى بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه قابضاً على لحيته يتململ تململ السليم (أى الذى لدغته عقرب) ويبكى بكاء الحزين ويقول :

يا دنيا غُرّى غيرى إلى تعرضت أم إلى تشوقت ؟ هيهات ؟ قد باينتك ثلاثاً لا رجعة فيها فعمرك قصير وخطرك كثير ؟

آه من قله الزاد وبعد السفر ووحشه الطريق »، فبكى معاوية حتى اخضلت لحيته وقال : رحم الله أبا الحسن كان والله كذلك هذا هو على : إمام الهدى وهو ابن تسع وأول مسلم صلى وصام والذى اشتهر بمواقفه البطولية فى الذب عن دين الله ومقارعة أعدائه حتى قالوا « لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا على » .

ولم يكن الإمام علىٌ وحده على هذا المستوى من الوصف ولكن كان ضمن ثلة مباركة صاغهم محمد بن عبد الله (ﷺ) أحسن صياغة وأخرج من بين رعاة الغنم قادة للأمم .

« . . وإلى جانب على بن أبى طالب من العشرة المبشرين بالجنة يأتى سعد بن أبى وقاص ، المولود فى السنة الثالثة والعشرين قبل الهجرة ، والمتوفى فى السنة الخامسة والخمسين بعد الهجرة [1] وهو بطل معروف ، ومن المبشرين بالجنة ، وقائد القادسية ، وأول من أراق دماً للأعداء فى الإسلام . . وهو ثالث ثلاثة سارعوا إلى الإسلام بإقناع أبى بكر لهم .

* ومن العشرة المبشرين بالجنة ـ من الشباب أيضاً ـ سعيد بن زيد ، المولود سنة (22 قبل الهجرة) ، والمتوفى سنة (50 هـ) [600 ـ 670 م] وقد كان سعيد بن زيد ،

---

(1) انظر : سليمان الندوى : الرسالة المحمدية ، طبع الهند ، 153 ود/ سيد الجميلى ،العشرة المبشرون بالجنة ، صـ 157 .

وزوجته من السابقين فى الإسلام وقد شهد الغزوات كلها مع الرسول (ﷺ) عدا غزوة بدر ، ويلحق بركب العشرة المبشرين بالجنة حوارى الرسول (ﷺ) الزبير بن العوام الذى وهب شبابه للإسلام وقد كان إسلامه مبكراً ، فكان من السبعة المبكرين فى الدعوة ، وكان عمره يوم أسلم خمس عشرة سنه ، ولمهارتة الفائقة فى الجهاد أطلق عليه (أول سيف شهر فى الإسلام) والزبير من الصحابه الذين لم يسجدوا لصنم قط ، ولم يأت فعلاً مشيناً من أفعال الجاهلية .

وقد أخرج صاحب حلية الأولياء ونقله عنه الكاندهلوى فى « حياة الصحابة » عن أبى الأسود قال : أسلم الزبير وهو ابن ثمانى سنين ، وهاجر وهو ابن ثمانى عشرة سنة ، وكان عم الزبير يعلقه فى حصير ويدخن عليه بالنار وهو يقول : ارجع إلى الكفر .

فيقول الزبير : لا أكفر أبداً . وأخرجه الطبرانى أيضاً [1] .

ورفيق الزبير دعوة وجهاداً واستشهاداً ومن قبل ذلك ميلاداً يأتى طلحة بن عبيد الله أحد شباب الدعوة ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، ولد فى العام الذى ولد فيه سابقه الزبير ومات معه ـ أيضاً ـ فى عام واحد (28 ق هـ ـ 36 هـ) . .

وفى غزوة أحد كان لطلحة القدح المعلى والنصيب الأوفر ـ وماذكرت أحد إلا وذكر طلحة وفداؤه للرسول (ﷺ) فلقد ضم رسول الله (ﷺ) إلى صدره ، وأمسك سيفه بيمناه ، وأخذ يقاوم جحافل المشركين حتى ردهم عن رسول الله وأيأسهم منه ، وقد أصيب ببضع وسبعين طعنة وضربة ، وكان رحمه الله من أجود الناس بماله على الإسلام ، وقد كان يفرق ماله على المسلمين ، ثم ينميه الله له حتى يعود أكثر مما كان ، فكانت كثرة المال تؤرقه . . وفى ذلك تقول له زوجته سعدى :

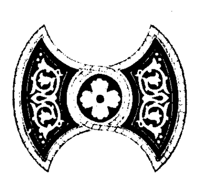
(1) أبو نعيم : حليه الأولياء 1/ 89 ، والكاندهلوى : حياة الصحابة 1/ 268 ، والهيثمى فى مجمع الزوائد 9/ 154 وقال : « رواه الطبرانى ورجاله ثقات إلا أنه مرسل » نقلا عن الشباب المسلم بين تجربة الماضى وآفاق المستقبل د/ عبد الحليم عويس ط 1 / دار الوفاء صـ 28 .

دخلت على طلحة يوما فرأيته مهموماً ، فسألته : ما شأنك ؟ فقال : المال الذى عندى كثر حتى أهمنى وأكربنى . . فقلت له : ما عليك : اقسمه . . فقام ودعا الناس ، وأخذ يقسمه عليهم حتى ما بقى منه درهم (1) .

هؤلاء - يا شباب - خمسة شباب من العشرة المبشرين بالجنة ، كانوا دعائم من دعائم دعوة الإسلام . . وهم لم يبشروا بالجنة لحسب ولا نسب ، بل بُشّروا بها لأعمال جليلة قاموا بها قبل البشارة بالجنة وبعدها . . وما ينطق (ﷺ) عن الهوى . . ﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى ﴾ (النجم : 40)

وتلك صورة مقتضبة من تجربة الماضى المشرق لشباب الدعوة فسلام الله على شباب دعوتنا دائماً فى الخالدين .

* * *



(1) الجميلى : المرجع السابق ، 119 ، 123 .

الشباب ألم وأمل

لا يختلف اثنان على أن مستقبل الإسلام من غير الشباب لا يساوى شيئاً . إن الشباب هم عصب الرسالة ، وأتباع الرسل ، ومحك الجهاد ، إنهم شوكة الله على أرضه ، وهم عزة الإسلام ونصرة الرسالة ، وإهمال الشباب وتجاهل مشاكله ، ووضع العراقيل ، كان ولم يزل أبشع جناية يرتكبها أولئك المنشغلون بمكاسبهم الرخصية ، وأطماعهم الشخصية عن أمتهم حاضرها ومستقبلها ، المهمومون بغصبهم وسرقاتهم عن جراح وأحزان شعوبهم .

واقع أليم :

إننى لأعجب كيف يسيغ هؤلاء الناس لحياتهم طعماً ، وقد علقت بأعناقهم أمة بأسرها ، هل فكروا فى حاضر هذه الأمة ؟ هل فكروا فى مستقبلها ؟ لقد استفرغوا كافة جهودهم لملذاتهم وشهواتهم وانتقالاتهم الرخيصة فى الإستراحات والقصور ، وقضاء الليالى الطوال فى الحفلات والراقصات .

وولوا ظهورهم تماماً إلى الشباب الذى يئن فى صورة مؤلمة تحت سياط اليأس والإحباط والتمزق .

أين العقيدة التى تربى هذه الحكومات الشباب عليها ؟؟

أين المنهاج الذى أعدته لهؤلاء الشباب ؟

أين الآمال التى حققتها ؟؟

لقد انهارت الأمة تحت سياط حكمهم الكئيب حتى صار الشباب صفراً من أية وظيفة أو مسكن أو أمل مأمول فى الحاضر أو المستقبل .

كل ما يسمعه أغانى وأمنيات معسولة ، وكلام محفوظ ، وشعارات كاذبة حتى

فقد الثقة فى أمته وفى ولائه وفى نفسه وفى قادته ، فكفر بكل شىء وانـزوى جانباً لا يريد مشاركة ولا التزاماً .

أليست السلبية المطلقة التى أصابت شباب أمتنا هى أكبر استفتاء على فشل هذه الأنظمة الممسوخة الشائهة ، المتفرغة لنفسها ، المضيعة لأمانى أمتها .

ماذا أعدت للشباب ؟ وكيف خططت للشباب ؟؟لا شئ.

قطعان هائمة على وجوهها ، فاقدة الثقة فى كل شئ .

التغرير بشباب الأمة :

لقد كانت البداية براقة غير أنها كاذبة ، بأن الجامعة هى التى سوف تقفز بالشباب إلى عتبة العصر ، ومن ثم ترتقى بالأمة بأسرها .

« ولكن السفاح القاتل هو نفسه الحارس الساهر »

فحينما أرادوا صرف الجامعة والشباب نحو الوجهة الغربية تارة والشرقية تارة ، فقد عزموا من البداية على تدمير احترام الإسلام فى قلوب الشباب ، وهز قداسته فى صدورهم ، حتى أتى علينا اليوم الذى سمعنا فيه الشاب الجامعى يصرخ بأعلى صوته ، ومن غير ما خجل أو تلعثم ، وهو يقول أين الله ؟؟

وخرجوا جيل ممسوخ (عباد شيطان)حتى بلغوا بنسل المهاجرين والأنصار إلى الحضيض الأوهد فما قام قائم يدافع فى مرارة عن الإسلام الجريح وكم صرخ صارخ وما من منتبه وما من مجيب !!.

الحصاد المر :

الآن وقد برزت النتيجة على صورتها الشنعاء التى دمرت الشباب قلوباً وعقولاً ونفوساً وأرواحاً . . التى دمرت الشباب حاضراً ومستقبلاً

نريد تفسيراً من دعاة التحرر الفكرى للشباب وللمرأة وللأمة

- فسروا لنا عدوان الشباب على الفتيات فى الشوارع .
- فسروا لنا حوادث الاغتصاب المشين الجماعى .
- فسروا لنا استغراق الشباب وتكالبه على المخدرات
- فسروا لنا قتل الآباء ، قتل الأبناء ، قتل الأزواج .
- فسروا لنا جرائم الشذوذ والفجور

أيها الجهابذة الأغبياء !! والفلاسفة التافهون . .

- فسروا لنا دمار الأمة على أيديكم !!

هذا حصاد فكركم ، وهذه ثمرة غرسكم المريرة . .

كم دمرتم . . وكم هدمتم

ماذا تراهم يريدون بعد أن عادوا بالأمة إلى قاع سحيق مظلم لم تبلغه فى تاريخها إلا على أيديهم ؟! لقد شوهوا سمعة أمتهم فى عيون الشباب .

لقد لبسوا عليهم الأمور حتى عادت أمجد أيام أمتنا عاراً مقززاً لا ينبغى للمسلم أن يفخر بها أو يعتز بحدوثها . ثم صوروا عار عصرهم وسخائم أنظمتهم نصراً مبيناً وفجراً جديداً . فاختلطت الأمور وتداخلت القضايا وإذا بالهزيمة نصراً كاسحاً والفقر غنى ورفاهية ، والإستبداد والتسلط حرية و ديمقراطية ، والجوع والحرمان كفاية وعدالة ، هكذا قلبت الأمور وعكست القضايا والمعانى .

هكذا تباروا بالمصطلحات والألفاظ وتشدقوا بالأمانى والأمنيات حتى لم يتركوا خيراً من ورائهم إلا محقوه ، ولا مجداً إلا نبذوه . فأعجب إن شئت من أمة تتوارى عاراً وخزياًمن عصور سيادتها واستمكانها من الأرض جميعاً شرقاً وغرباً ، و تعد ذلك رجعية وهمجية وإرهابا وتخلفاً .

وأعجب من ذات الأمة وهى تتيه فخراً بحاضرها الأسود الكئيب ، بكل ما فيه

من خزى وهوان ، بكل ما فيه من عار شهد عليه كل أعمى وأصم ، حيث فقدت شرفها وأرضها ومالها وتسلط على مقدراتها وأرزاقها ، وثرواتها الأمم المستبدة المستكبرة ، هذه هى الحالة البائسة التى انتهينا إليها ، وهذا هو الطريق المسدود الذى سلكنا فيه ، وتلك القاع المريرة التى ارتكست فى حمأتها الأمة وهذا الحصاد المر الذى حصدناه !!!

أين ولاء الشباب ؟؟

أين هوية الشباب ؟؟

أين شوكة الشباب ؟؟

تم تدميرها تدميراً . .

أمل وفجر جديد ..

لذا كان لابد أن تقوم الحركة وتنهض الأمة من جديد ، من نقطة الصفر التى أوردونا إليها ، ومن أول الطريق على أسس متضافرة متعاونة تنشىء الشباب وتبعث الأمل الوضىء وتربى الأمة وتلم الشعث وتحيط بالشتات وتبرز نفسها فى استعلاء وظهور تام رغم ما يحيطها به العالم من بغض عام وكان هذا الأمل والفجر الجديد هو صيحة الإمام الشهيد فى الشباب . .

« إن أساس الإيمان : القلب الذكى ، وأساس الإخلاص : الفؤاد النقى وأساس الحماسة : الشعور القوى ، وأساس العمل : العزم الفتى » .

وهذه كلها لا تكون إلا للشباب ومن هنا كان الشباب فى كل أمة عماد نهضتها ، وفى كل نهضة سر قوتها . وفى كل فكرة حامل رايتها .

﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ (الكهف : 13) .

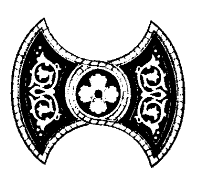
ومن هنا كثرت واجباتكم وعظمت تبعاتكم ، وتضاعفت حقوق أمتكم عليكم وثقلت الأمانة فى أعناقكم ، ومن هنا وجب عليكم أن تفكروا طويلاً ، وأن تعملوا

كثيراً ، وأن تحددوا موقفكم ، وأن تتقدموا للإنقاذ ، وأن تعطوا الأمة حقها كاملاً من هذا الشباب . .

والإمام الشهيد ـ رحمه الله ـ قام بجهد كبير ودراسات عميقة وقراءات كثيرة لتوضيح الطريق الصحيح للعمل للإسلام فى هذا العصر فكراً وحركة ، وقد سجل ذلك فى رسائله وكتاباته وقام بممارسته مع الشباب أيام حياته ونمت البذرة وتعمقت جذورها وامتدت فروعها .

وشباب الأمة اليوم بحاجة ماسة إلى الاقتداء بهذا المنهاج الذى رسمه الإمام الشهيد والميراث الضخم الذى تركه ـ رحمه الله ـ وحمل الشباب عبء رد الأمة إلى الله وقيادتها نحو الريادة والعزة والسيادة ، وهذا ما سنحاول بسطه من خلال (رسالة الشهيد إلى الشباب) .

***



صفحات مشرقة من حياة حسن البنا الشاب

(1) حسن البنا فى الإعدادية :

كيف كان يقضى وقته ؟

يقول عن نفسه « كان الغلام طالباً بالمدرسة الإعدادية يقسم وقته بين الدرس نهاراً ، وتعلم صناعة الساعات التى أغُرم بها بعد الانصراف من المدرسة إلى صلاة العشاء ، ويستذكر هذه الدروس بعد ذلك إلى النوم ، ويحفظ حصتة من القرآن الكريم بعد صلاة الصبح حتى يذهب إلى المدرسة

(مذكرات الدعوة والداعية / 15)

(2) حسن البنا طالب مدرسة الرشاد الدينية : (نشاطه):

رئيس مجلس إدارة جمعية الأخلاق الأدبية

أهم أهدافها :

(1) التمسك بالدين .

(2) أداء الصلاة فى أوقاتها .

(3) الحرص على طاعة الله والوالدين ومن هم أكبر مقاماً وسناً .

(مذكرات الدعوة والداعية 16 بتصرف)

(3) حسن البنا وغيرته على الدين :

يحكى عن نفسه فيقول :

« مررت ذات يوم على شاطىء نهر النيل حيث يشتغل عدد كبير من العمال فى بناء السفن الشراعية ، وهى صناعة كانت منتشرة فى محمودية البحيرة ، فلاحظت أن أحد أصحاب هذه السفن المنشأة قد علق على ساريتها تمثالاً خشبياً عارياً على

صورة تتنافى مع الآداب ، وبخاصة وأن هذا الجزء من الشاطىء يتردد عليه السيدات والفتيات يستقين منه الماء . فهالنى ما رأيت وذهبت فوراً إلى ضابط النقطة ولم تكن المحمودية قد صارت مركزاً إدارياً بعد وقصصت عليه القصص مستنكراً هذا المنظر وقد أكبر الرجل هذه الغيرة وقام معى من فوره حيث هدد صاحب السفينة وأمره أن ينزل هذا التمثال فى الحال وقد كان »

(مذكرات الدعوة والداعية)

(4) حسن البنا يعتاد حلقات المساجد ودروس العلم :

يقول عن نفسه :

« وفى المسجد الصغير رأيت ، الإخوان الحصافية » يذكرون الله تعالى عقب صلاة العشاء من كل ليلة ، وكنت مواظباً على حضور درس للشيخ زهران رحمه الله بين المغرب والعشاء ، واجتذبتنى حلقة الذكر بأصواتها المنسقة ونشيدها الجميل وروحانيتها الفياضة ، وسماحة هؤلاء الذاكرين من شيوخ فضلاء وشباب صالحين ، وتواضعهم لهؤلاء الصبية الصغار الذين اقتحموا عليهم مجلسهم ليشاركوهم ذكر الله تبارك وتعالى ، فواظبت عليها هى الأخرى »

(المذكرات / 19)

(5) حسن البنا من يُصاحب ؟

يقول متحدثاً عن الشيخ « حسن خزبك » رحمه الله ـ وكان مدرساً بدمنهور ـ أنه كان يعقد كثيراً من الإجتماعات العلمية والوعظية فى بيته ، وكان يدرس الإحياء قبل صلاة الفجر من رمضان فى مسجد الجيش ، وكان ـ الحاج حلمى ـ يصحبنى معه إلى تلك الإجتماعات فأجد فى نفسى وأنا الطالب الصغير مع رجال كبار فيهم الأساتذة الذين يدرسون لى فى المدرسة وغيرهم من العلماء الفضلاء ، وكلهم يشجعوننى ويشجعون أمثالى من الشباب على السير فى هذه الطريق »

(المذكرات / 29)

(6) حسن البنا الشاب يهتم بقضايا أمته :

يتحدث رحمه عنْ ثورة سنة 1919 فى المذكرات فيقول :

« . . . وكان حظنا من هذا كله كطلاب أن نضرب فى بعض الأحيان ، وأن نشترك فى هذه المظاهرات ، وأن نصغى إلى أحاديث الناس حول القضية وظروفها وتطوراتها . . » **(المذكرات / 32)**

(7) هوايات حسن البنا فى فترة الشباب : تأليف الشعر والكتابة

« . . ولقد جمعت فى هذه البواكير الوطنية الفجة ديواناً كبيراً كان نصيبه الحرق الكامل بعد ذلك فى فترة التصوف التى لازمت عهد المعلمين ، كما كان الإهمال حظ مؤلفات فى الفقه على المذاهب الأربعة ، والأدب على نمط قصة (تود والجارية) كتبتها مع الأخ الأستاذ / محمد بدير فى « صندرة » الجامع الصغير .

(8) كيف كان يقضى الأجازة الصيفية فى شبابه :

يقول فى المذكرات :

« كانت الإجازة الصيفية ظرفاً مناسباً لتطبيق هذا المنهاج يومياً . . هو المذاكرة كل صباح من طلوع الشمس تقريباً إلى الصحوة الكبرى مع أستاذنا الشيخ محمد خلف نوح فى منزله ، حيث بدأنا بألفية ابن مالك نحفظها ونقرأ عليها شرح ابن عقيل ، ونتدارس فيها كتباً آخرى فى الفقه والأصول والحديث . . . » .

. . وكان من أعمالنا بالمحمودية خلال الأجازة الصيفية أو فى صباح الجمعة أن نتقاسم أحياء القرية وكنا ثلاثة أو نزيد فى بعض الأحيان . . لنوقظ الناس لأداء صلاة الصبح قبل الفجر بقليل » .

(9) حسن البنا فى دار العلوم :

« كانت أيام مدرسة المعلمين فى سنواتها الثلاث، أيام استغراق فى التصوف والتعبد ، ولكنها مع ذلك لم تخل من إقبال على الدروس ، وتحصيل العلم خارج حدود المناهج المدرسية . . . »

وبعد . . . فالصحفات المشرقة والثرية بالتجارب ما زالت مطوية فى حياة هذا الشاب الفذ بحاجة إلى القراءة الدقيقة والمتأنية لعلها تكون زاداً للشباب [1] .

(10) آمال حسن البنا الطالب :

سطر حسن البنا الطالب بالسنة النهائية بدار العلوم آمال فى موضوع التعبير ، وكان عن « آمال الطالب بعد أن يتم دراسته » ، وفيه يقول إن أملة العام « أن يكون مرشداً معلماً :

إذا قضى فى تعليم الأبناء سحابة النهار قضى ليله فى تعليم الآباء هدف دينهم ، ومنابع سعادتهم ، ومسرات حياتهم ، تارة بالخطابة والمحاورة ، وأخرى بالتأليف والكتابة ، وثالثة بالتجول والسياحة[1]. (المذكرات / 74)

(11) حسن البنا فى القاهرة طالباً :

وبعد أن أنهى حسن البنا دراسته بدار المعلمين بدمنهور انتقل إلى القاهرة ، والتحق بدار العلوم ، وتخرج فيها سنة 1927 ، وكان ترتيبه الأول .

وأثناء سنوات الطلب فى دار العلوم رأى فى القاهرة من مظاهر الفساد والانحلال الكثير والكثير ، واكتشف أن إلقاء المواعظ فى المساجد لم يعد يكف لمواجهة هذه التحديات اللا أخلاقية ، فاتفق مع عدد من إخوانه فى دار العلوم

(1) لمزيد من الإطلاع راجع (مذكرات الدعوة والداعية) للإمام الشهيد حسن البنا (ط) دار التوزيع وكذلك (فقه الواقع) ط دار الكلمة ـ المنصورة ـ حسن البنا حامل لواء الدعوة أ / فؤاد الهجرسى دار الوفاء .

والأزهر على أن يتجهوا بوعظهم إلى المقاهى ، ونجحت التجربة نجاحاً باهراً ، ويصور ذلك حسن البنا فى مذكراته بقوله :

« . . . كان شعور السامعين عجيباً ، وكانوا ينصتون إلىَّ إصغاءً ، ويستمعون فى شوق ، وكان أصحاب المقاهى ينظرون بغرابة أول القول ، ثم يطلبون المزيد منه بعد ذلك ، وكان هؤلاء يقسمون بعد الخطبة أننا لابد أن نشرب شيئاً ، أو نطلب طلبات فكنا نعتذر لهم بضيق الوقت ، وكان هذا المعنى يؤثر فى نفوسهم كثيراً ، ولا عجب فإن الله لم يرسل نبياً ولا رسولاً إلا كان شعاره ﴿ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ كما لهذه الناحية العفيفة من أثر جميل فى نفوس المدعوين . . » (المذكرات / 62)

(12) من جهود الطالب حسن البنا :

يقول حسن البنا ـ الطالب بدار العلوم فى ذلك الوقت : كان صدرى يحترق من زفرات الألم كما كادت تحترق صدور الناس من حولى ، لكننى فكرت فلم أجد لهذا الألم معنى إذا لم يتحول إلى عمل ، ولكن كيف نحوله إلى عمل والحراب مشرعة فى وجوهنا من رجال الحكم الذين كان يجب أن يكونوا هم ملاذ الناس والذين صرنا وإياهم كما قال الشاعر :

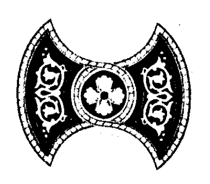
وقد كان منا إليك الشكاة . . . فأصبحت أنت الذى تشتكى *

فكر حسن البنا فرأى أمامه فى الأزهر شخصيات يرجى نفعها لما يلمس فيها من غيرة على الدين واستعداد للعمل إذا وجدوا إليه سبيلاً كالشيخ يوسف الدجوى . فاتصل بهذه الشخصيات فوجد فيها تحرقاً إلى العمل لكن الطريق أمامهم مسدود . . ثم لاحت فى مخيلته صورة شخصية أخرى لها كيان علمى وأدبى خاص تفردت به دون غيرها . . ولها من ظروفها ما قد يعين على إيجاد بصيص من نور فى هذه

(*) (الإخوان المسلمين أحداث صنعت التاريخ) جـ 1 صـ 48 ـ 51 .

الحلكة القاتمة . . تلك هى شخصية « أحمد تيمور باشا » ذلك العفيف الجليل سليل المجد والصديق الشخصى للملك فؤاد .

استصحب حسن البنا معه عدداً ممن استجاب له من هيئة كبار العلماء وطلبوا مقابلة أحمد باشا تيمور فى منزله . . فاستقبلهم الرجل أحسن استقبال وكان يعرفهم جميعاً عدا هذا الشاب الصغير . . وتقدم هذا الشاب الصغير فتحدث عن الموضوع حديث الثكلى عن فلذة كبدها ـ ووصف الحال التى تظلل البلاد وكيف يعيث المبشرون فى البلاد فساداً تحت سمع الحكومة وبصرها بل وفى حمايتها وانفجر فى البكاء حتى أبكى الباشا فأبكى الحاضرين . . وتداول المجتمعون عسى أن يجدوا مخرجاً . . وجاءت سيرة الملك فؤاد فقال تيمور باشا : إنه صديقى وأثق فى غيرته على الإسلام وتعددت الإجتماعات ونوقشت أفكار ومقترحات وانتهت إلى قرار بأن أول إجراء لابد منه أن نصدر مجلة تتصدى لهذه المؤامرة وتفضح اعتداءاتها وتستنهض الهمم لمقاومتها . . وبمجهود تيمور باشا وتدخل الملك فؤاد صدرت (مجلة الفتح)وأسندت رياسة تحريرها إلى الكاتب الإسلامى العظيم الأستاذ (محب الدين الخطيب) .



النموذج القدوة

شاب ثائر تحت العمامة :

« قد ينشأ الشاب فى أمة وادعة هادئة ، قوى سلطانها ، واستبحر عمرانها ، فينصرف إلى نفسه أكثر مما ينصرف إلى أمته ، ويلهو ويعيث وهو هادىء النفس مرتاح الضمير » وقد ينشأ فى أمة مجاهدة عاملة قد استولى عليها غيرها ، واستبد بشؤونها خصمها فحق عليها أن تجاهد ما استطاعت فى سبيل استرداد الحق المسلوب والتراث المغصوب ، والحرية الضائعة ، والأمجاد الرفيعة والمثل العالية ، وحينئذ يكون من أوجب الواجبات على هذا الشاب أن ينصرف إلى أمته أكثر من أن ينصرف إلى نفسه .

ولهذا كان الشاب حسن البنا ثائر تحت العمامة ، وضحت أمامه معطيات عصره وواقع أمته فصرف إليها أكثر من نفسه قائلاً :

« ما أنا فى هذا كله إلا واحد من المسلمين عليه أن يبذل فى سبيل دينه وأمته ، لا تحملوا همى . . »

وهنا يا شباب لابد أن نعى جيداً أن ثورة هذا الشاب الثائر كانت لها بواعث جديرة بهذه الثورة العارمة التى نريد أن ينتفض شبابنا لها فيحذو حذوها وتضطرم نار الحماسة فى صدورهم وحتى يتحقق لنا ذلك لابد أن ندرك طبيعة الهجمة على الإسلام والتى جعلت هذا الشاب يثور صارخاً فى البرية أن مهدوا طريق الرب . .

ولنعد نستقرأ تاريخنا المرير لا سيما فى عام 1918 وفى ذلك التاريخ انقضت صاعقة على ظهر الأرض . .

عندما غابت شمس الإسلام :

« . . فى هذا العام انتصر الغرب الصليبى ، وبعد أن ظل يمضغ مرُ هزيمته زُهَاء تسعه قرون لا يستطيع أن ينسى ذلك الجرح الغائر الذى خلفته الحروب الصليبية بين

ضلوعه . . وبكل تركة الأحقاد انقضت دول الغرب إذ لاحت فرصتها السانحة ، فى أعقاب الحرب العالمية الأولى على جسد الدولة الإسلامية المنهك ، بين ناهش وممزق ومهدم وفاتك ، وإذا بالبقية الباقية من جسد الدولة العجوز تنهار على شكل أليم .

. . . . .

ويجدر بنا أن نرجع هنا قليلاً حيث نقطة البداية لقد بزغ نجم الخلافة العثمانية أول مرة مفاجأة تامة للجميع ، بعد أن امتلأ أفق التاريخ الإسلامى بغمامات الظلام .

وفيما كان الخور والضعف يسرى فى بقايا الكيان الإسلامى الذى أنهكته الجراح تلك التى خلفتها الهجمات الجاهلية المتلاحقة ، إذا بالأمة وقد جددت شبابها مع بشائر الحاكمية الإسلامية القوية ، والتى انتعشت بها الخلافة الجديدة فى تركيا ، حيث راحت تنشر النور تارة أخرى كيما تتغلب على روح اليأس المخيمة على أرجاء الأمة .

وبدأت دورة جديدة من النشاط المتوقد فى نشر الإسلام ، والسيطرة على الجيوب الجاهلية التى وجدت فى ضعف الحكام فرصتها الثمينة وعاد الإسلام يطل بنوره وبهائه على أطراف أوروبا مستعيداً ذكريات الماضى المجيد ، ولكن ما كان أحد يظن ساعة أن ازدهرت دولة الخلافة العثمانية أن تلك كانت صحوة الموت ، والانتفاضة الأخيرة من أجل التشبث بأهداب الحياة »[1] .

ولم يكن يا شباب انهيار الخلافة يعنى شيئاً سوى انهيار الإسلام ككيان راسخ يثبت ذاته على أرض الواقع . وبسقوط دولة الخلافة على يد الذئب الأغبر (كمال أتاتورك) مزقت دولة الإسلام وخيم على ربوع الإسلام شبح مخيف ، بعد سيادته تاهت معالم الطريق ولم يعد أحد يعلم إلى أين تؤول الأرض بمن فيها وأسدل الستار

---

(1) نجم الدعاة حسن البنا د / توفيق علوان ط 97 / دار الوفاء .

على أعظم ملحمة فى تاريخ الإنسانية للعطاء المجيد ، وطويت صفحات سفر كامل قد نحت بالدم والدموع على ذاكرة الزمن .

فبسقوط الخلافة لم يعد الإسلام مقروناً بتطبيق شرائعة على واقع الحياة وانزوى مرة أخرى من الصدور إلى السطور فيا ترى ماذا يبقى من معنى دولة الإسلام إذا لم تكن قادرة على حماية مواطنيها وأراضيها وأعراضها وشريعتها من هجمات أعداء دينها وخصوم ملتها ؟؟

وقسمت كعكة الرجل المريض على الآكلين ، ورسم الاستعمار حدود الجسد المثخن بالجراح وزرع فى رحم الأمة الإسلامية جنين من سفاح آلا وهو (إسرائيل) فكان وابلاً على الأخوة المتماسكين على مر التاريخ والذين جمع شملهم دين التوحيد ، ومزق الإسلام إرباً على مذبح الدعاوى الكاذبة الزائفة الخادعة ، للوطنية والاشتراكية ، والاستقلالية . . وحتى الشيوعية التى جاءت لتنزرع قهراً فى أرض الإسلام ولتبلغ الجراح ذروة نزيفها . . وبظهور تلك النزعات الوطنية ، والانفصالية والعودة إلى العرق والتراب كمقياس فخر وانتساب ، فقد بدأ التمزق ، وبدا شبح الانهيار المرعب شروخاً ضاربة فى جنبات الصرح الإسلامى المشيد .

* . . ومع كل هذه الجراح النازفة ، والكرامة المهدرة ، وغاية الشعور بالهوان لم يكن ثمت سوى ضحية واحدة ، ألا وهى الإسلام ، ذلك القربان الأعزل ، والذى تمت التضحية به وتكسير أجنحته ، وإهدار قدسيته التى لا تمس فى قلوب المؤمنين به ، وما أن تم ذلك حتى بدأ السباق المشئوم نحو حضيض الهاوية . . ولم يبق إلا رجل من طراز « أتاتورك » كيما يتحول ذلك البنيان الشامخ إلى أشلاء متناثرة تبحث كل دويلة منها عن ذاتها وكيانها فى الجاهلية ، ناسية أنه بتخليها عن الإسلام عقلاً وقلباً تتخلى عن كل ما هو راق وشريف فى تاريخها . . وأنها يوم أدارت ظهرها للإسلام يوم أن تسولت سبل نهضتها ، ووضعت قدميها عند أول طريق ليس

(*) المصدر السابق - بتصرف 46 .

له إلا نهاية واحدة ، حيث القرار السحيق ، أما مصر ، فلقد كانت واحدة من تلك الدويلات ، وكان حقاً عليها أن تتردى فى نفس الحضيض الأوهد ، وتحلل جسم الخلافة المثخن بالجراح ولم يعد الرجل المريض - كما يقولون - فى عاصمة الخلافة يستطيع أن يوقف متحركاً أو يحرك ساكنا ، وفشت العتمة وغابت وجهة السارى ، وسيطر الترف والفساد والرشوة والمحسوبية ، وضاعت هيبة الخلافة وانهدمت مناعة الدولة ، بينما كانت الصليبية المتحرقة للثأر على ميعاد مع غنيمة سهلة الافتراس ، وشحذت نصلها المسموم وانقضت محمومة على فريستها بكل ضراوة . .

وما فتىء الزمان يدور حتى سُطر على هام التاريخ كلمة الختام التعسة على جثمان الفقيدة الراحلة ما تسمى بالخلافة الإسلامية وما أبلغ ما وصف به (هاشم) قصتنا الدامية بقوله :

ملكنا هذه الدنيا قروناً ... وأخضعها جدودٌ خالدونا
وسطرنا صحائف من ضياء ... فما نسيَ الزمان ولا نسينا
وكنا حين يأخذنا ولى ... بطغيان ندوس له الجبينا
تفيض قلوبنا بالهدى بأساً ... فما نفضى عن الظلم الجفونا
بنينا حقبة فى الأرض ملكا ... يدعمه شباب طامحونا
شبابٌ ذللوا سُبل المعالى ... وما عرفوا سوى الإسلام دينا
تعهدهم فأنبتهم نباتاً ... كريماً طاب فى الدنيا غصونا
هم وردوا الحياض مباركات ... فسالت عندهم ماءً معينا
إذا شهدوا الوغى كانوا كماة ... يدكون المعاقل والحصونا
وإن جنّ المساءُ فلا تراهم ... من الإشفاق إلا ساجدينا
شباب لم تحطمه الليالى ... ولم يُسلم إلى الخصم العرينا

ولم تشـــهدهم الأقـــداح يوماً وقد مــلأوا نواديهـــم مجـــونا
وما عرفـوا الأغـانى مائعـــات ولكن العُــلا صـيغت لحـــونا
وقد دانــوا بأعظـمهـم نضـــالاً وعلمـاً ، لا بأجـرئهم عيــونا !
كذلـك أخـــرج الاســلام قومى شــباناً مخلصـــا حـــراً أمينا
وعلّـــمه الكـــرامة كيـــف تبنى فيـــأبى أن يقـــيد أو يهـــونا
وما فتىء الزمــــان يدور حتـــى مضـــى بالمجـد قـوم آخـرونا
وأصبح لا يُرى فى الركب قومى وقد عاشـوا أئمـــة ســـنينـا
وآلمنـــى وآلــــم كـــل حـــر ســؤال الدهر : أين المسـلمونا ؟
ترى هل يرجـــع الماضـى ؟ فإنى أذوب لذلك المـاضـــى حنينـا
دعـــونى مـن أمـــان كاذبـــات فلم أجـــد المنـى إلا ظنـونا . .
وهـاتوا لى مـــن الإيمـــان نـورا وقـــووا بين جنبـــىَّ اليقينـــا
أمـــدّ يدى فأنتـــزع الرواسى وابن المجد مؤتلقـــاً مكـــينا (1)

وفى ظلمات تلك الحقبة الكئيبة ، كان القدر يعد إحدى مفاجآته المذهلة والتى لم يكن قط يتوقعها أشد أعداء الإسلام حرصاً ، فقد نشأ ذلك الشاب المسلم الثائر تحت العمـامة الذى رفعـه الإسلام من بين غمـار العـامة إلى بذرة التـاريخ نذيراً ، وشاهداً على حقبه من أشد ساعات الإسلام ضيقا حرجاً . فكان كالزهر النابت بكل بهجته بين الأشواك . . قضى الليل والنهار متجولاً على المقاهى فدعا هنالك إلى الحب المفعم للإسلام وآلامه . . وبث هناك لواعج نفسه . . وأنين فؤاده . . وككل

(1) ديوان هاشم الرفاعى « المجموعة الكاملة تحقيق محمد حسن بريتش دار المنار ـ الأردن ألقاها الشاعر فى ندوة أقيمت بجمعية الشبان المسلمين 1959 لمناقشة انحراف الشباب 383 / بتصرف (تقديم وتأخير فى الأبيات) .

العاشقين وقف على قارعات الطريق يعلم الناس عن ملامح الحب الإلهى . . ويهيج الدمع فى عينيه ، فتضج أمة بأسرها بالبكاء . . ذلك الثائر تحت العمامة يصيح فى الهواجر والمنتديات والمحافل مبشراً تارة وداعياً تارة صارخاً . .

هل طابت العيون حين غفت . . ؟؟

هل هجعت القلوب ؟! . . ويح القلوب كيف هجعت ؟!!!




3
الفصل الثالث

تنظير الرسائل

مدخل :

فى هذه الصفحات نقوم بسياحة فكرية وقراءة متأنية ومبسطة لرسائل الإمام الشهيد ـ رحمه الله ـ لا ندعى أنها تضيف جديداً إلى ما كتب عنه وعن فكره ومنهجه الدعوى ولكنها قراءة جديدة بأسلوب عصرى نحاول أن نميط اللثام فيها عن بعض الجوانب التى نحن بحاجة إلى إلقاء الضوء إليها مخاطبين فيها شباب هذه الأمة .

وقبل أن أتطرق لموضوع الدراسة رأيت أن من الوفاء للبحث أن أشير إلى بيلوجرافيا مبسطة للرسائل مستنداً إلى ما كتبه الدكتور (جابر قميحة) أستاذ الأدب العربى ـ جامعة الظهران فى كتابه « الإمام الشهيد حسن البنا بين السهام السوداء وعطاء الرسائل » فى القاء الضوء على مفهوم الرسالة لغة وفناً »

الرسائل لغة

*** جاء فى لسان العرب :**

الإرسال : التوجيه ، وقد أرسل إليه ،

والاسم : الرسالة والرسول ، والرسيل

والرسول : بمعنى الرسالة يؤنث ويذكر

والرسول : الرسالة والمرسَل

وسمى الرسول رسولاً : لأنه ذو رسول أى ذو رسالة

*** وجاء فى المصباح المنير :**

تراسل القوم : أرسل بعضهم لبعض رسولاً أو رسالة وجمعها : رسائل .

* وجاء فى أساس البلاغة :

راسله فى كذا ، وبينهما مكاتبات ومراسلات ، وتراسلوا ، وأرسلته برسالة وبرسول ، وأرسلت إليه أن افعل كذا ، وأرسل الله فى الأمم رسُلاً .

وجاء فى مختار الصحاح :

راسله مراسلة فهو مراسل ورسيل ، وأرسله فى رسالة فهو مُرسَل ورسول . والجمع رُسْل ، ورُسُل والرسول أيضاً الرسالة ، وقوله تعالى : ﴿ **إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [الشعراء 16]

ولم يقل (رسولا رب العالمين)، لأن صيغتى [فعول وفعيل]

يستوى فيهما المذكر والمؤنث والواحد والجمع

مثل [عدو] و [صديق]

ورسيل الرجل الذى يُراسله فى نضال أو غيره .

*** استنتاجات :**

ويمكن أن تستخلص مما سبق مفهوماً واضحاً للرسالة وهو أنها تمثل موضوعاً بعينه وذاته يبلغه شخص ما إلى آخر أو آخرين بنفسه أو برسول ، والرسالة نوعان ، قد تكون مكتوبة ، وقد تكون شفاهة كما نرى فى قول زهير بن أبى سُلمى [1]:

ألا أبلغ الأحلاف عنّى رسالة وذبيان هل أقسمتم كلُ مقسمَ

وكذلك قول كعب بن زهير بن أبى سُلمى مخاطباً أخاه بجيراً [2] .

ألا أبَلغَا عنى بجيراً رسالة على أى شىء ويب غيرك دلكا ؟

وقد يطلق على الرسالة تسميات أخرى مثل الخطاب ، والكتاب ، والعهد ،

(1) شرح القصائد العشر للخطيب التبريزى / 118 (المطبعة المنيرية ـ القاهرة 1369) .

(2) الأغانى للأصفهانى 18 / 6364 (تحقيق إبراهيم الإبيارى . دار الشعب القاهرة) والعمدة لابن رشيق 1 / 24 (دار الجيل بيروت ط (4) 1972) .

والصحيفة ، والوصية وإن لم تخُل من ملامح فارقة بينها[1].

والرسالة هى الخطاب المكتوب فى غرض جزئى ، يبعث به صاحبه إلى آخر .

الخطاب أو الرسالة : نص مكتوب ينقل بن مُرسل إلى مرسل إليه ، يتضمن عادة أنباء لا تخص سواهما .

وكما هو واضح أن هناك خلاف لفظى بين التعريفين ، كما أنه قريب جداً مما استخلصناه من المعاجم العربية . ونرى الخلاف لفظياً كذلك فى تعريف النقاد للرسالة بأنواعها الثلاثة وهى :

(1) ـ الرسالة الإخوانية (2) ـ الرسالة الديوانية (3) ـ الرسالة الأدبية

(1) **الرسالة الإخوانية** أو الشخصية أو الخاصة هى تلك التى تعبر عن مشاعر المرسل فى تهنئة أو توصية أو عقاب أو شوق أو تحذير ووعيد ونحو ذلك مما يصور العواطف والصلات الخاصة بين الأفراد . . وهى غالباً لا تكون إلا بين من تربط بينهم صلة دموية كالآباء والأبناء والإخوة ، أو صلة إنسانية كالصداقة والزمالة والصحبة[2].

(2) **الرسالة الديوانية** أو الإدارية أو الرسمية أو العامة ، وهى التى تختص بتصريف شئون الدولة وما يصدر عن دواوينها ووزاراتها ومصالحها الحكومية ، أو يرد إليها متعلقاً بأمور الإدارة والسياسة والقانون والوظائف .

(3) **الرسالة الأدبية** : وهى التى تتخذ موضوعها من القيم الإنسانية ، والأخلاقيات ، والأدبيات ، وتقديم وجهة النظر فى هذه الموضوعات وتعتبر

---

(1) رسائل ابن أبى الشخباء الإخوانية دار المعارف د / على إبراهيم أبو زيد وأدب الرسائل فى صدر الإسلام7ـ13 د / جابر قميحة (دار الفكر العربى ـ القاهرة 1406 ـ 1986) .

(2) رسائل ابن أبى الشخباء الإخوانية د / على أبو زيد ط دار المعارف / 10 (1992) وانظر د/ جابر قميحة : أدب الرسائل فى صدر الإسلام 7ـ13 دار الفكر العربى القاهرة 1406 ـ 1986 .

الرسائل الأدبية ـ كما يقول الدكتور مجدى وهبة ـ مرحلة تطور للرسائل الإخوانية ، فبينما كان كاتب الرسالة الإخوانية يعبر عن وداده لصديق معين مثلاً ، مال كاتب الرسالة الأدبية إلى التجديد ، فأصبح يكتب عن الوداد والأخوة بصفة عامة[1] .

قراءة في منهجية الرسائل ..

بعد هذه التوطئة نلج إلى الرسائل فنجد لها مكانا فسيحاً رحيباً فى حياة الإمام الشهيد ومسيرة دعوته ، وهذه الرسائل يمكن انتظامها فى ثلاثة أنماط هى : [2]

(1) الرسائل الدعوية الكتابية .

(2) الرسائل العامة الموجهة .

(3) الرسائل الشخصية أو الخاصة .

والنوع الأول يشبه ما ذكرناه آنفاً باسم « الرسائل الأدبية » وخصوصاً تلك التى كتبت ابتداء ـ دون أن تكون موجهة لشخص معين أو جماعة معينة ـ وتتمثل هذه الرسائل فى كتب صغيرة ، وهى تحمل فكر الجماعة ، وتعد المصدر الأصيل لهذا الفكر ، وبعد استشهاد الإمام البنا جمعت هذه الرسائل فى مجلد ضخم جاء فى خمسمائة صفحة ، ويضم بين دفتيه عشرين رسالة .

- **يقول الإمام الشهيد عن الرسائل :**

كان أول ما طبع من الرسائل « القانون الأساسى للإخوان المسلمين واللائحة الداخلية » ثم صدرت « رسالة المرشد » وظهر منها عددان فقط ، وكانت الرسالة الأولى بتاريخ 5 من رمضان سنة 1349 هـ الموافق 2 من يناير سنة 1931 ، والثانية 20 من شعبان سنة 1351 هـ الموافق 19 من ديسمبر سنة 1932 .

---

(1) مجدى وهبة : معجم مصطلحات الأدب . مكتبة لبنان ـ بيروت 1974 / 463 .

(2) انظر : الإمام الشهيد حسن البنا بين السهام السوداء وعطاء الرسائل د / جابر قميحة . دار التوزيع .

وتوالت بعد ذلك رسائل ونشرات فى هذا الصدد منها ما هو للإشارة إلى أعمال الإخوان الإجتماعية ، وفيها ما هو شرح لأهداف دعوتهم ، ومنها ما هو توجيه للحكومات إلى الأخذ بتعاليم الإسلام[1] .

● بيلوجرافيا الرسائل

عشرون رسالة يمكن تقسيمها ـ على أساس صورة إعدادها وآليه آدائها إلى :[2]

	نمط الرسالة	مكانها في الرسائل	ملاحظات بيلوجرافية
(1)	رسائل مقالية	مثل : (1) رسالة (بين الأمس واليوم) صـ	نشرت في جريدة « الإخوان المسلمين » ابتداء من عدد 4 صفر سنة 1353 .
		(1) رسالة « هل نحن قوم عمليون » صـ 347 .	نشرت في جريدة الإخوان ابتداء من العدد (14) بتاريخ 28 ربيع الثانى سنة 1353 ثم الأعـــداد 15، 16، 17 ، 18، 21، 22، 24، 26، 27 .
(2)	رسائل خطابية	تمثلت في خطب ومحاضرات ثم طبعت بعدذلك في رسائل (1) رسالة إلشباب صـ 95	
			ألقاها الإمام الشهيد في جمع حاشد من الإخوان بالمركز العام يوم الثلاثاء 14من صــفــر سنة1358 الموافق 4 إبريل سنة 1939 .
		(3) رسالة المؤتمر الخامس صـ 166	

(1) مذكرات الدعوة والداعية / 185 .

(2) هذه البيلوجرافيا طبقا (لمجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا) دار الدعوة الإسكندرية 1410 ـ 1989 م .

	نمط الرسالة	مكانها في الرسائل	ملاحظات بيلوجرافية
(2)	رسائل خطابية	(2) رسالة إلى الطلاب صـ 307 .	وهى خطبة ألقيت فى مؤتمر الإخوان سنة 1357 م .
		(5) رسالة المؤتمر السادس صـ 323	خطاب ألقي في المؤتمر المنعقد في يناير سنة 1941 .
(3)	رسائل عامة	رسالة نحو النور صـ 67 .	وهى رسائل عامة وموجهة إلى معروفين ومحددين .
(4)	رسائل معدة مكتوبة	(1) دعوتنا صـ 15 . (2) إلى شيء ندعو الناس صـ 39 . (3) دعوتنا في طور جديد صـ 122 . (4) مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامى صـ 209 . (5) مشكلاتنا الداخلية في ضوء النظام الإسلامى صـ 231 . (6) مشكلاتنا الداخلية في ضوء النظام الإسلامي النظام الإقتصادى صـ 253 . (7) رسالة الجهاد صـ 253 . (8) المرأة المسلمة صـ 293 . (9) رسالة التعاليم صـ 387 . (10) نظام الأسر صـ 407 . (11) العقائد صـ 413 . (12) المأثورات صـ 355 .	وهى التي ألقت ابتداء ، ولا تدخل في نطاق الأنواع السابقة .

منهجية هذه الرسائل

ومن قراءة هذه الرسائل نستخلص عدة حقائق أهمها :

(1) هذه الرسائل تعد أصول فكر مدرسة حسن البنا وبرامج الحركة ورؤية الجماعية لمشروع النهضة ، وكذلك عرض للمنهاج التربوى والإصلاحى فى نطاق الفرد والأسرة والمجتمع .

(2) كل رسالة من هذه الرسائل تمثل مشروعاً صغيراً بحاجة إلى بسط مضمونة الفكرى وبحاجة لشروح عديده وقراءة لفكر الإمام الشهيد فمثلاً رسالة التعاليم جاءت فى 18 صفحة فى الرسائل ، وشرحها الأستاذ / سعيد حوى فى كتاب من 350 صفحة فى كتابه (فى آفاق التعاليم ورسالة نحو النور التى بسطها المرشد الثالث الأستاذ / عمر التلمسانى .

(3) المحاور الموضوعية للرسائل متعددة ومتنوعة وهذا ليس أمراً مستغرباً فهذا يتناسب مع طبيعة الدعوة التى جعل منطلقها الشمول فمنها العقدى الروحانى ومنها الدستورى ومنها التنظيمى الداخلى لبناء الجماعة ومنها الإسلامى العام وهذا ملمح آخر على اكتمال ملامح المشروع الحضارى لنهضة الأمة فى فكر الإمام الشهيد .

(4) الأطروحات التى صاغها الإمام الشهيد فى رسائلة تسجل أن الإمام الشهيد له نظرة تاريخية ثاقبة لا سيما وعيه بقيمة استلهام الموروث وقراءة التاريخ قراءة متأنية باعتباره وعاء التجارب البشرية وكان ذلك منه حرصاً على تجنب الوقوع فى عثرات مميتة ، فالتاريخ مدرسة التعليم الأساسية فى العلوم الإنسانية ، منها يستقى المفكرون نظرياتهم وتصوراتهم عن مسيرة البشرية وإدراك العبرة من حركتها ولهذا اهتم بدراسة التاريخ دراسة عميقة وقد أشار إلى ذلك فى أكثر من موضع فى رسائله انظر رسالة إلى أى شئ ندعو الناس » .

(5) الرسائل فى مضمونها العام والخاص تمثل فقهاً شاملاً رشيداً للواقع

واستقراء دقيقاً للتاريخ وتعاملاً مرناً مع السنن الإلهية والقوانين الكونية فى الأفراد والمجتمعات والأمم ، كذلك تمثل الرسائل منطلقا لرؤية التعامل مع هذه القوانين أو الدروس التى من شأنها إقامة حركة ونهضة مستدامة للأمة ، لذا يقول الأستاذ البنا فى رساله المؤتمر الخامس :

« لا تصادموا نواميس الكون فإنها غلابة ، ولكن غالبوها ، واستخدموها وحولوا تيارها . واستعينوا ببعضها على بعض ، وترقبوا ساعة النصر وما هى منكم ببعيد » .

(6) المتأمل فى رسائل الإمام الشهيد يجد أنه كان يستشرف آفاق المستقبل ويُبصر معالمه من غلاله رقيقة واثقاً أن الزمان سيتمخض عن الحوداث الجسام وستدخل دعوته فى طور الإمتحان ولكن برغم هذه المحن المنتظرة فإن العاقبة للمتقين وللصابرين ولطالما زف البشرى لأتباعه تحقيقاً لا تعليقاً ولطالما بَشّر المستضعفين قائلاً ترقبوا ساعة النصر وما هى منكم ببعيد .

(7) الإمام الشهيد نادى بالتغيير فى رسائله وهذا التغيير المرتقب فى فكره ـ رحمه الله ـ لن يكون تغييراً توفيقياً إصلاحياً ترقيعياً ، بل هو التغيير الجذرى الشامل بحيث تتحول عجلة الدوران بأكملها إلى الاتجاه المضاد وتدريجياً فإن كافة المؤسسات التى دأبت تلك الأنظمة اللقيطة على ابتداعها ، ذراً للرماد فى العيون ، وتغطية مقيتة على كافة فضائحها وجرائمها ، إنما هى مؤسسات زائفة مصطنعة ، وكاذب كل ما يدور فيها وباطل ما كانوا يعملون ، لذا فالتغيير المطروح فى رسائل الإمام الشهيد جذرى لا ثانوى ، تحتى لا فوقى ، شامل لا جزئى ، متدرج لا فورى يأخذ بيد الأمة إلى الإسلام ولا ينوب عنها فيه .

* * *

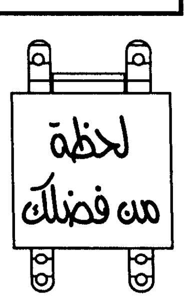
المحاور الموضوعية للرسائل *

المحاور الموضوعية	ما يناظرها في الرسائل
رسائل خطابية	رسالة (العقائد ـ المأثورات)
التنظيمى الداخلى للجماعة	رسالة (الأسر ـ رسالة التعاليم)
تنظيمي عام للجماعة	رسالة (إلي الشباب ـ المؤتمر الخامس ـ المؤتمر السادس)
منهجية وهيكلية فى المبادئ والاصلاح	رسالة (دعوتنا ـ إلي أى شئ ندعو الناس)
اسلاميات (عامة)	رسالة (بين الأمس واليوم ـ المرأة المسلمة ـ رسالة هل نحن قوم عمليون)
رسائل دستورية	في مجال الحكم والاقتصاد والتربية والجهاد (رسالة مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي ـ نظام الحكم ، النظام الاقتصادي ـ رسالة الجهاد)
رسائل كتابية دعوية	جاءت ذات طبيعة مزدوجة مثل (نحو النور) وهي أيضا رسالة عامة موجهة لأشخاص معروفين بأسمائهم .
رسائل شخصية	وعددها عشرون رسالة أرسلها الإمام الشهيد إلي والده علي مدي واحد وعشرين عاماً ونصف من سنه 1926 وحتى 12 أغسطس 1947 أى قبل استشهاده بعامين (1)

* لمزيد من الاطلاع انظر : الإمام الشهيد حسن البنا بين السهام السوداء وعطاء الرسائل د/ جابر قميحة صـ110ـ211 .

قف !

إنما تنجح الفكرة إذا قوي الايمان بها ، وتوفر الإخلاص في سبيلها ، وازدادت الحماسة لها ، ووجد الإستعداد الذي يحمل علي التضحية والعمل لتحقيقها .



* لو كان أساس إيماننا قلب ذكي يرتقي بالطاعة لأثمرت حركتنا وسط الناس .

* لو كان أساس إخلاصنا فؤاد نقي يبتغي الأجر والمثوبة من الله لنجحت أفكارنا .

* لو وافق حماسنا شعور قوي لم يستخفنا الذين لا يوقنون ولم يستفزنا الشر القريب .

* لو نبض عملنا من عزم فتي لصرنا بحق عماد نهضة الأمة وسر قوتها ولصدق فينا قول ربنا .

﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ الكهف : 13



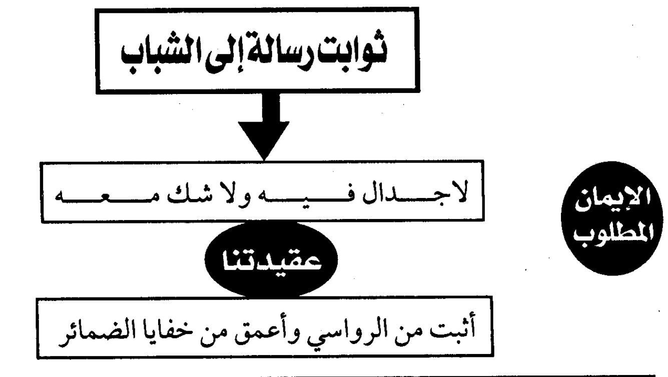
لتنجح الفكرة . . نحتاج إلي :

* الإيمان
* الحماسة .
* الإخلاص
* العمل .

الخط البيانى الزمنى لتاريخ الرسائل

التاريخ	الرسالة
5 رمضان سنة 1349 هـ 2 ينـــاير سنة 1931 م	الرســالة الأولي « القـانون الاسـاسى للإخـوان المسلمين واللائحة الداخلية » .
20 شعبان سنة 1351 هـ 19 ديسمبر سنة 1932 م	الرسالة الثانية « رسالة المرشد » صدر منها عددان فقط .
22 صفر سنة 1353 هـ	أولي الرسائل إلي الملك فؤاد وكانت باسم مجلس شوري الجماعة .
4 صفر سنة 1353 هـ	الرسالة الثالثة « بين الأمس واليوم » .
28 ربيع الثانى سنة 1353 هـ	« رسالة هل نحن قوم عمليون » .
25 صفر سنة 1355 هـ	الرسالة الأولي (من أجل فلسطين) إلي الأمير عمر طوسون
28 شعبان سنة 1356 هـ 2 نوفمبر سنة 1937 م	الرسالة الثانية (من أجل فلسطين) إلى السفير البريطاني في القاهرة .
14 صفر سنة 1358 هـ 4 ابريل سنة 1939 م	رسالة الإخوان المسلمون تحت راية القرآن .
1357 هـ	رساله إلى الطلاب « ألقيت في مؤتمر الإخوان » .
ينايرسنة 1941 م	رسالة المؤتمر السادس .
23 مارس سنة 1942 هـ	رسالة وُدّ إلى النحاس باشا نشرت في جريدة الوفد .
8 من المحرم سنة 1358 هـ	رسالة إلى الملك فاروق عن الفساد والسقوط في المجتمع . « نشرتها مجلة النذير » .
شعبان سنة 1358 هـ أكتوبر سنة 1939 م	رسالة إلي على ماهر رئيس وزراء مصر (رأى الإخوان في دخول مصر في الحرب العالمية الثانية) .

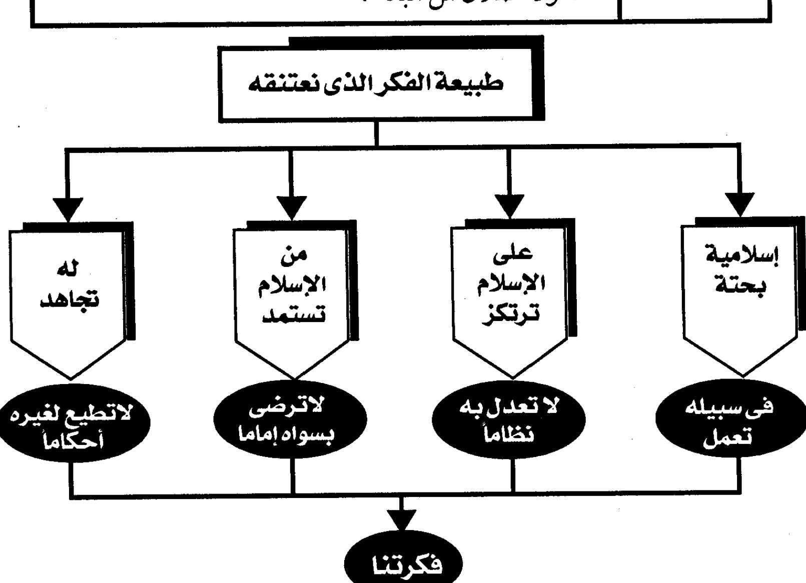
24 فبراير سنة 1946 هـ	رسالة إلي إسماعيل صدقي (رأى الإخوان في سياسية مصر آنذاك) .
8 أكتوبر سنة 1946 هـ	رسالة صارخة اعتراضاً علي سياسة إسماعيل صدقى .
8 أكتوبر سنة 1946 هـ	رسالة إلي الملك فاروق (توجيه للحكومة إلي سلوك التوجيه الشعبي السليم » .
15 يناير سنة 1947 هـ	رسالة إلي النقراشي لتوجيه الحكومة لصالح الأمة والتفاعل مع قضاياها .
يوليو سنة 1947 م	رسالة إلي رئيس مجلس الأمن من أجل القضية الوطنية .
رجب سنة 1366 م	الرسالة الجامعة الواعية نحو النور إلي الملك فاروق والنحاس باشا رئيس الحكومة وإلي ملوك وبلدان العالم الإسلامي في السياسة والتربية والحكم والأخلاق .
21 صفر سنة 1359 هـ 31 مارس سنة 1940 م	رسالة عتاب شديدة لأعضاء مكتب الإرشاد لاستنهاض الهمم والتذكير بالغاية والهدف .
21 صفر سنة 1359 هـ 31 مارس سنة 1940 م	آخر الرسائل . . وبعدها الشهادة نشرت في مجلة المباحث الأسبوعية 8 ربيع الآخر سنة 1370 هـ الموافق 16 يناير سنة 1951 كتبها قبل استشهاده بأشهر أو أيام والأرجح أن الإخوان لم يتلقوا هذه الرسالة في حينها وأنهم لم يطلعوا عليها قبل نشرها في المباحث .

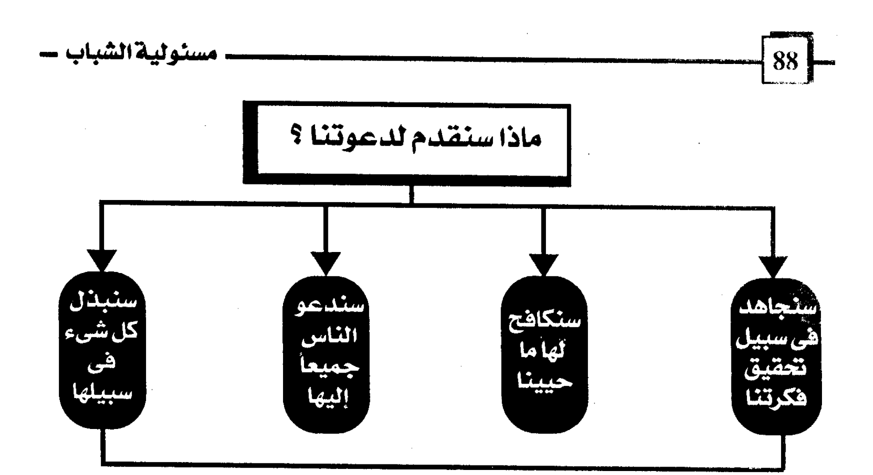


سبيل الإنقاذ

ليس هناك إلا فكرة واحدة هي التي تنقذ البشرية المعذبة وترشد الإنسانية الحائرة وتهدى الناس سواء السبيل . . .

هذه الفكرة هي الإسلام الحنيف الذي لا عوج فيه ولا شر معه ولا ضلال لمن اتبعه .



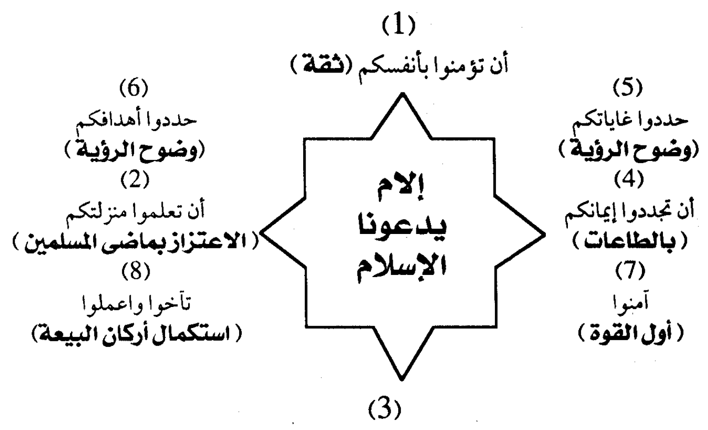


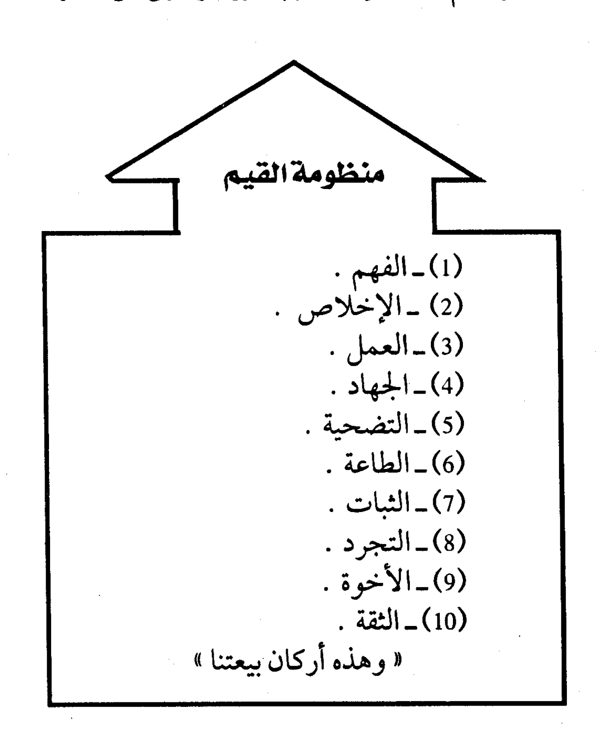


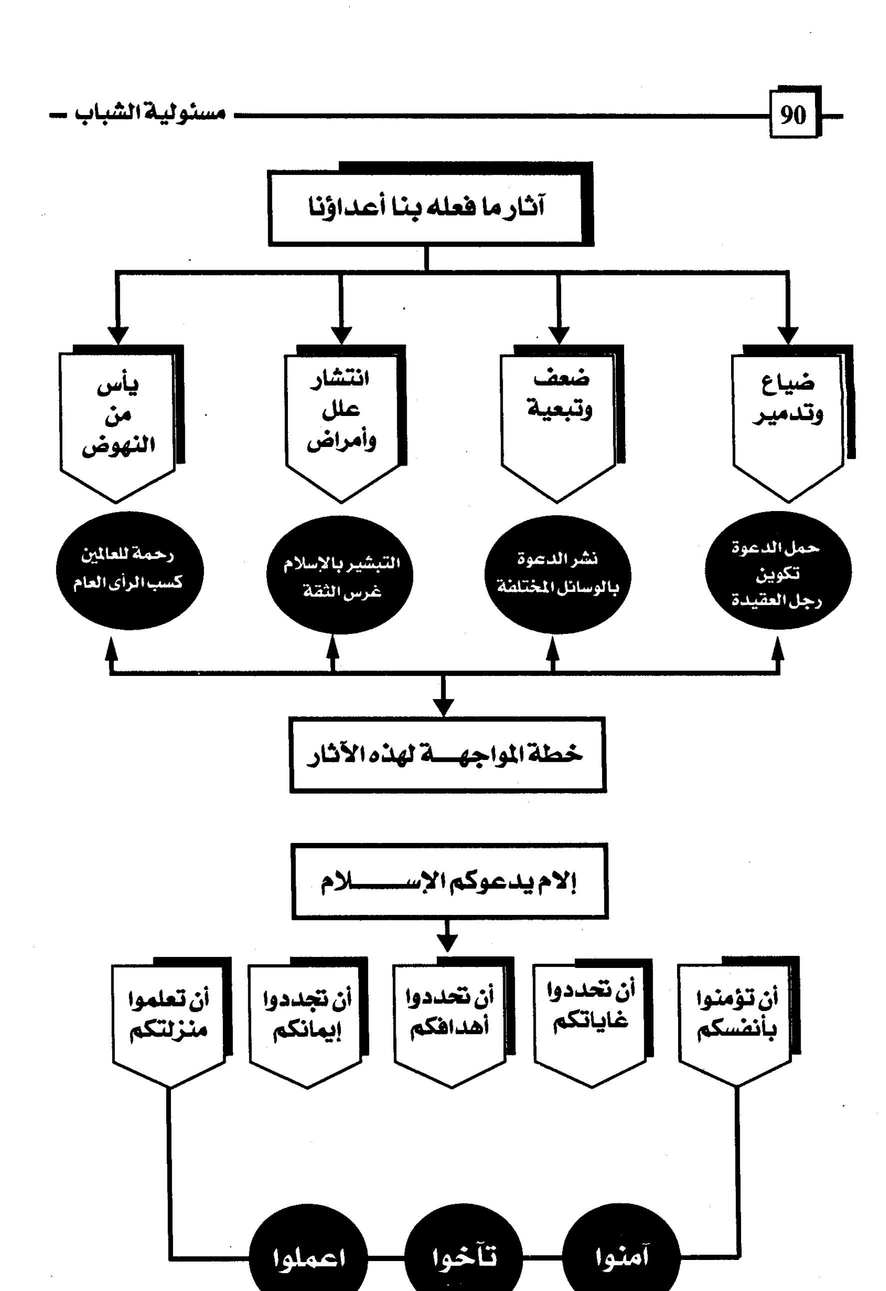
﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾
النصر . . نحيا كراماً
أو
الشهادة . . نموت كراماً .



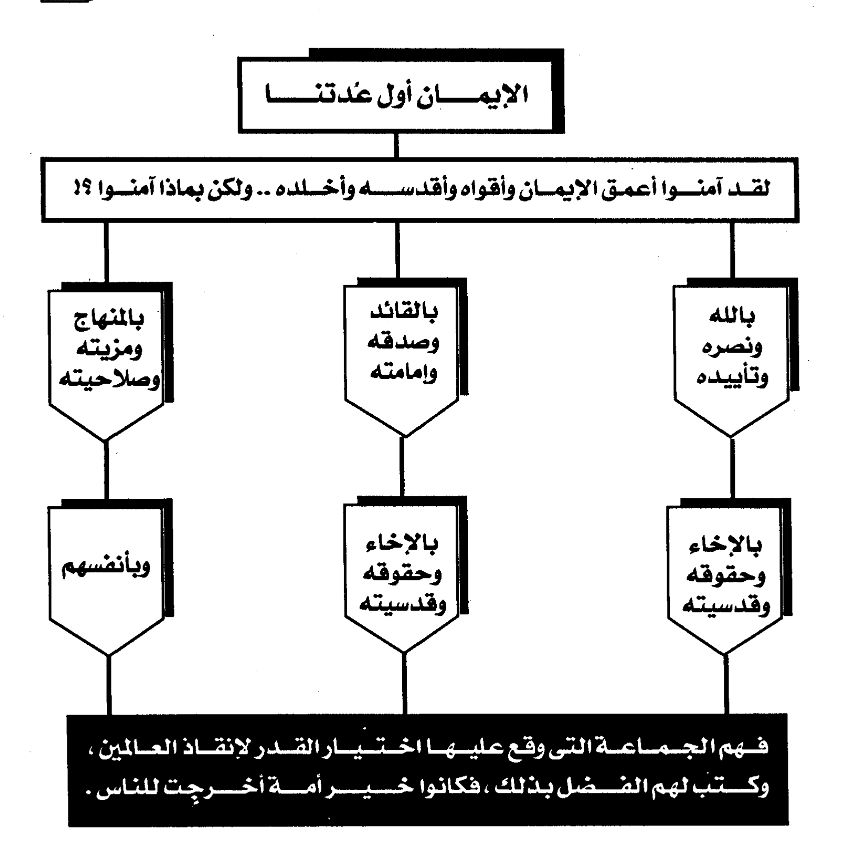
(1) ـ الله غايتنا .
(2) ـ الرسول قدوتنا .
(3) ـ القرآن دستورنا .
(4) ـ الجهاد سبيلنا .
(5) ـ الموت في سبيل الله أسمى أمانينا .


(1)
أن تؤمنوا بأنفسكم (ثقة)
(6)
حددوا أهدافكم
(وضوح الرؤية)
(2)
أن تعلموا منزلتكم
(الاعتزاز بماضى المسلمين)
(8)
تآخوا واعملوا
(استكمال أركان البيعة)
إلام
يدعونا
الإسلام
(5)
حددوا غاياتكم
(وضوح الرؤية)
(4)
أن تجددوا إيمانكم
(بالطاعات)
(7)
آمنوا
(أول القوة)
(3)
أن تعتقدوا أنكم سادة الدنيا (الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر)


منظومة القيم
(1) ـ الفهم .
(2) ـ الإخلاص .
(3) ـ العمل .
(4) ـ الجهاد .
(5) ـ التضحية .
(6) ـ الطاعة .
(7) ـ الثبات .
(8) ـ التجرد .
(9) ـ الأخوة .
(10) ـ الثقة .
« وهذه أركان بيعتنا »



آثار ما فعله بنا أعداؤنا
ضياع وتدمير
ضعف وتبعية
انتشار علل وأمراض
يأس من النهوض
حمل الدعوة تكوين رجل العقيدة
نشر الدعوة بالوسائل المختلفة
التبشير بالإسلام غرس الثقة
رحمة للعالمين كسب الرأى العام
خطة المواجهــــة لهذه الآثار
إلام يدعوكم الإســـــلام
أن تؤمنوا بأنفسكم
أن تحددوا غاياتكم
أن تحددوا أهدافكم
أن تجددوا إيمانكم
أن تعلموا منزلتكم
آمنوا
تآخوا
اعملوا


الإيمـــان أول عُدتنـــا
لقـد آمنــوا أعمـق الإيمــان وأقواه وأقدســـه وأخــلده .. ولكن بماذا آمنــوا ؟!
بالله
ونصره
وتأييده
بالقائد
وصدقه
وإمامته
بالمنهاج
ومزيته
وصلاحيته
بالإخاء
وحقوقه
وقدسيته
بالإخاء
وحقوقه
وقدسيته
وبأنفسهم
فـهم الجـمـاعـة التى وقع عليـهـا اخـتـيـار القـدر لإنقـاذ العـالمين ،
وكـتب لهم الفـضل بذلك ، فكانوا خـيـر أمـة أخـرجت للناس .


4
الفصل الرابع



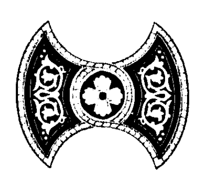
خصائص الشباب

(الإيمان ـ الإخلاص ـ الحماسة ـ العمل)

« أيها الشباب » :

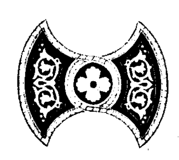
إنما تنجح الفكرة إذا قوى الإيمان بها ، وتوفر الإخلاص فى سبيلها ، وازدادت الحماسة لها ، ووجد الاستعداد الذى يحمل على التضحية والعمل لتحقيقها ، وتكاد تكون هذه الأركان الأربعة : الإيمان ، الإخلاص ، الحماسة ، العمل من خصائص الشباب لأن أساس الإيمان : القلب الذكى ، وأساس الإخلاص الفؤاد النقى وأساس الحماسة الشعور القوى ، وأساس العمل : العزم الفتى ، وهذه كلها لا تكون إلا للشباب . . ومن هنا كان الشباب قديماً وحديثاً فى كل أمة عماد نهضتها وفى كل نهضة سر قوتها ، وفى كل فكرة حامل رايتها .

﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ .



مدخل

فى هذه السطور المضيئة من رسالة إلى الشباب نجد الإمام البنا يقرر من أول لحظة أن كل ما يصنعه لن يجدى شيئا ما لم تجد فكرته التى ينادى بها وهى أسمى الفكر ألا وهى الإسلام ـ إيمان بها وإخلاص فى سبيلها وحماسة لها واستعداد يحمل على التضحية والعمل لتحقيقها وقال أن هذه المقومات الأربعة من خصائص الشباب وأول هذه الخصائص : الإيمان ، وأراد الإمام البنا أن يجدد هذا الإيمان فأراده مشاعر وأحاسيس جياشه تتغلغل فى النفوس وتمسك بشفاف القلوب حتى يصبح هذا الإيمان لا جدال فيه ولا شك معه ، فتصبح عقيدة المسلم أثبت من الرواسى وأعمق من خفايا الضمائر فيلتهب هذا الإيمان فى اللحظات الحاسمة التى يطلب فيها من الشباب أن يثبتون فيها فى ساحات الوغى وليس على المنابر أو على الورق فيصيرون بحق جنوداً لهذا الدين الذى شغفت به قلوبهم واستحوذ على كافة مشاعرهم حتى ملأ عليهم جوانحهم .



أولاً : الإيمــان

• مفهوم هذا الإيمان

* مفهوم هذا الإيمان ينتظم فى ستة أمور :

* **أولاً** : المعرفة بالله ، وبأسمائه وصفاته ودلائل وجوده ومظاهر عظمته فى الكون والطبيعة .

* **ثانياً** : المعرفة بعالم ما وراء الطبيعة أو العالم غير المنظور وما فيه من قوى الخير مثل الملائكة وقوى الشر مثل إبليس وجنوده .

* **ثالثاً** : المعرفة بكتب الله التى أنزلها لتحديد معالم الحق والباطل ، والخير والشر ، والحلال والحرام ، والحسن والقبيح .

* **رابعاً** : المعرفة بالأنبياء والرسل الذين اختارهم الله ليكونوا أعلام الهدى وقادة الخلق إلى الحق .

* **خامساً** : المعرفة باليوم الآخر وما فيه من بعث وجزاء ، ثواب ، وعقاب ، وجنه ونار .

* **سادساً** : المعرفة بالقدر الذى يسير عليه نظام الكون فى الخلق والتدبير [1] وهذه المفاهيم الستة جاءت صريحة فى كتاب الله عز وجل .

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ﴾ (البقرة : 285) .

والإيمان بمثل العقيدة [2] والأصول التى تقوم عليها شرائع الإسلام وعنها تنبثق فروعه ، ذلك لأن غرس العقيدة فى النفوس هو أمثل طريقه لإيجاد عناصر صالحة تستطيع

---

(1) العقائد الإسلامية لسيد سابق صـ 8 .

(2) العقيدة هى التصديق بالشىء والجزم به دون شك أو ريبة ؛ فهى بمعنى الإيمان ؛ يقال : اعتقد فى كذا أى آمن به ، والإيمان بمعنى التصديق ، يقال آمن بالشىء أى صدق به تصديقاً لا ريب ولا شك فيه

أن تقوم بدورها كاملاً فى الحياة وتسهم بنصيب كبير فى تزويدها بما هو أنفع وأرشد

والإيمان الذى أراد الأستاذ البنا أن يعتنقه الشباب هو حب الله وتقديسه وطاعته وهو كذلك إيمان شامل متكامل فى تعامله مع الإسلام ، فهو نظام روحى من إخلاص القلب لله وعبادته ، من صلاة وصيام وزكاة وحج وقراءة قرآن ودعاء ونيَّة صادقة لله تعالى ، وكلما عاش الشباب هذه المعانى الروحية ومارسها فى خشوع ووعى زاد إيمانه وكلما تذكرها عصمته من الانحراف عن الخلق السامى .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ (1)

وحين يفسد الإيمان يحل النفاق والرياء وهما مظهران من مظاهر الشرك ، وإن حب المسلم لربه يحمله على صدق الإيمان ، وقوة الإيمان بالله توحى للمسلم بالتسليم المطلق لله عز وجل .

﴿ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (2) .

وأن يكون مثله الأعلى الله ورسوله :

﴿ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (3) .

والإيمان برسول الله (ﷺ) وحبه يوحى بالطاعة له والتأسى به

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾ (4) وهى طاعته ، دافعها الحب والاتباع مصداقاً لقوله سبحانه وتعالى :

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (5) .

---

(1) الأعراف : 201 . (2) الأنعام : 71 .
(3) النحل : 60 . (4) الأحزاب : 21 .
(5) آل عمران : 31 .

وكلما قوى الإيمان بالله وبرسوله زاد مؤشر التأثير فى كل جوانب الحياة وزادت رغبة الإنسان فى عمل الصالحات ، وقويت نيته وعزمه وأداؤه لدعوته حتى وإن لم يتيسر سبل التنفيذ .

(نيّة المرء خير من عمله)

والإيمان باليوم الآخر والحساب والجزاء والبعث مؤشر آخر فى مجال الأخلاق لأن هناك محكمة يحاكم الله فيها الناس جميعاً كل على سلوكه ، تلك المحكمة تقى المؤمن سوء العمل .

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (1) .

ويقول الشاعر

لـــو أنـــا إذا متـــنا تركنا ... لكان الموت راحة كل حى
ولكنــــا إذا متـنـا بعثـــنا ... ونســأل بعده عن كل شىء

إن هذا الإيمان هو الروح الذى ينبغى أن يتحرك به الشباب ويحيا الحياة الطيبة فى ظلاله ، لأنه بفقده يموت الموت الروحى ، وهو النور الذى إذا عمى عنه الشباب ظل يتخبط فى مسارب الحياة وتاه فى أودية الضلال .

﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ (2) .

وهذا الإيمان الذى أشار إليه الإمام الشهيد هو أساس العمل ، وعمل القلب أهم من عمل الجارحة ، وتحصيل الكمال فى كليهما مطلوب شرعاً ؛ وإن اختلفت مرتبتى الطلب :

(1) الحجر : 92 ، 93 .
(2) الأنعام : 122 .

وهذا الأصل يعالج أموراً عدة :

(1) أن العقيدة هى أساس العمل .

(2) عمل القلب وعمل الجارحة .

(3) تحصيل الكمال فى كليهما مطلوب[1].

لذا فإن رأس التدين هو الاعتقاد ، وذلك لأن صلاح الأعمال رهين بصلاح الاعتقاد ، فلا يكون إسلامنا حقيقى إلا إذا صلح اعتقادنا وصح إيماننا .

حقيقة هذا الإيمان

الإيمان فى الحقيقة هو الحياة بالنسبة للإنسان وبغيره يكون الإنسان ميتاً ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ** ﴾ (الأنفال : 24) وذلك لأن الإيمان هو الصلة بالله فإذا انقطعت هذه الصلة هلك الإنسان ومات وإن كان يحيا ظاهراً على الأرض لقد كانت جزيرة العرب قبل ظهور الإسلام ميتة فلما عرفت الإيمان نبتت وترعرعت من جديد حتى صارت قائدة العالم قاطبة .

الإيمان = العزة ، القوة ، الثقة .

الإيمان يولد فى النفس معانى العزة والقوة والثقة بالله ، والاطمئنان إلى جنب الله ، والأمل فى نصر الله ودفاعه عن المؤمنين ، ورد كيد الظالمين ﴿ **وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ (المنافقون : 8) .

وانظروا معى يا شباب إلى رسول الله (ﷺ) الذى خرج من مكة مهاجراً إلى المدينة وقد يظن البعض أنه خرج مهزوماً ضعيفاً إلا أن الله أشار إلى تلك الحادثة على أنها قمة النصر . هذا الإيمان أيضاً جعل لقادة الفتح القوة على كسر طلاسم العقل ، وفك سلاسل الكون ، وتحطيم أصنام المادة ، وأملوا على العالم إرادة الله

---

(1) فهم الإسلام فى ظلال الأصول العشرين للأستاذ / جمعة أمين صـ 279 .

فإذا هو مطيع خاضع وإذا هو متواضع خاشع ، قلبوا تيار الحياة وغيروا وجه التاريخ وأرغموا الكون على أن يسير سيرته [1] .

شواهد هذه العزة ، القوة ، الثقة :

ذات يوم حالت دجلة فى سبيل الله دون المدائن ، وكانت السنة كثيرة المدود ، ودجلة تقذف بالزبد ، فجمع سعد الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال :

(ألا أنى قد عزمت على قطع هذا البحر البهيم) فقالوا جميعاً :

« عزم الله لنا ولك على الرشد ، فافعل » فندب الناس إلى العبور ، وأذن لهم فى الاقتحام ، وقال : « قولوا : نستعين بالله ونتوكل عليه ، حسبنا الله ونعم الوكيل ، والله لينصرن الله وليه ، ولينصرن دينه ، وليهزمن عدوه ، ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، وتلاحق الناس فى دجلة ، وهم يتحدثون كما يتحدثون فى البر وطبقوا دجلة حتى ما يرى من الشاطىء شىء »[2] .

وبهذا الإيمان المفعم بالعزة ، والقوة ، والثقة ، نزل طارق بالأندلس ، والبحر وراءه العدو أمامه والمستقبل رهيب ، والطريق مظلم ، والأرض كفه حابل ، والعدد زهيد والمدد بعيد ، فهزىء بأشباح المادة المخيفة ، وعاند العقل ، وأمر بإحراق السفن التى ترجع به إلى بلاده ، وعزم على الفتح وأيقن بالنصر ، فهزم العدو ، وملك الجزيرة الخضراء للمسلمين[3] .

وبهذا الإيمان خرج محمد بن القاسم - وهو ابن سبع عشرة سنة - لغزو الهند ، ومعه حفنة من الناس ، والبحار حائلة ، وبلاد العدو واسعة الأطراف وعرة المسالك لم يجربها العرب ، فهزىء بالمعوقين والمرهبين ، وغلب الإيمان القوة وغلب الروح

---

(1) العلامة : أبو الحسن الندوى (إلى الإسلام من جديد) كتاب المختار صـ 22 .
(2) الكامل لابن الأثير جـ 3 صـ 198 .
(3) نفح الطيب جـ 1 صـ 131 .

المادة ، وإذا بالهند من السند إلى البلقان ـ خاضعة للمسلمين وبهذا الإيمان الذى ملأ جوانح سلطان الشّباب محمد الفاتح خرج ليفتح القسطنطينية ويحولها إلى دار السلام وسماها « أستان بول » ثم حول كنيستها إلى مسجد « آيا صوفيا » وبهذا الإيمان شرع هذا السلطان فى تنفيذ مشروع عظيم وهو الاستيلاء على روما معقل البابوية وهزم مملكة نابولى وأسر أحد عشر ألفاً من سكانها ، وأقسم أن يصل إلى روما مقر البابوية وليقدمن البابا الطعام بيده إلى فرسه وهو واقف على مذبح الكنيسة البابوية فى روما .

ومع كل هذه الأحلام وفى غمرة النصر على نابولى عاجلته منيته ، وفرحت أوروبا وتنفست الصعداء حين علمت بوفاته وأمر البابا أن تقام صلاة الشكر .

أرأيتم يا شباب كيف صنع الإيمان نفوساً حية قوية فتية ، وقلوبا جديدة خفاقة ، ومشاعر غيورة ملتهبة متأججة وأرواحاً طموحة متطلعة متوثبة .

العقيدة والرجال :

إن عقيدة التوحيد هى الوحيدة التى تصنع شباب هذه الأمة فى كل زمان ومكان وسل التاريخ عن أعمالهم بعد أن تمكنت العقيدة من قلوبهم ، سل عن أصحاب الأخدود لما حرقوا جميعاً لإيمانهم ، وسل سحرة فرعون عن أثره فى نفوسهم ، سل ياسر وعمار وسمية وبلال وصهيب وخباب وغيرهم .

رجال ونساء ، شباب وأطفال سل عن كل هؤلاء عندما خالط الإيمان بشاشة القلوب .

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (1) .

وما أشبه الليلة بالبارحة فهؤلاء أشاوس المسلمين فى جبال الشيشان وأطفال

(1) آل عمران : 173 .

الحجارة فى أرض الرسالات يضربون للعالم أروع الأمثال فعلوا ما عجز عنه الرجال والزعماء . ولا يزال العطاء ممتداً فى هذه الأمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

يقول لقمان الحكيم لابنه :

(يا بنى إن الإيمان قائد والعمل سائق ، والنفس حرون ، فإن فتر سائقها ضلت عن الطريق ، وإن فتر قائدها حزنت ، فإذا اجتمعت استقامت) .

يا شباب ..

إن هذا الإيمان الوثيق معدن قلما تخلو منه نفس عظيمة ، فالرجال الذين رزقوا صفاء الفطرة ، ونقاء الفكر لن يتيهوا عن الله أبداً [1] .

أثر الإيمان فى الشباب :

لما كان ضعف الإيمان هو الذى أوصل إلى هذه الحال التى نشكو منها فصار بديهياً أن يتركز العلاج فى بعث الإيمان فى النفوس لتطهيرها من العلل والأمراض فنجد الشاب المسلم الذى يُكَوِّن البيت المسلم الذى يُكَوِّن فى مجموعه المجتمع المسلم القدوة .

وسوف نعرض لحقيقة هذا الإيمان وكيف أنه يعالج النفوس ويشفيها من كل الأمراض وكيف نجدد هذا الإيمان وما هو المطلوب ليحيا هذا الإيمان فيصير أعمق من خفايا الضمائر . فتحيا به القلوب وتستيقظ به النفوس فيثمر صحوة حقيقية فى الوجدان والمشاعر .

الإيمان وأثره فى تغيير الشباب :

ولقد جاء زمان يقاس فيه المرء بمقدار ما يجمع من مال ، بيد أن المال ليس معياراً

---

(1) محمد الغزالى : جدد حياتك صـ 188 .

يمكن أن يقاس عليه الإنسان ، وليس هو الذى يغير الناس وإذا حدث هذا فغالباً ما يكون إلى الأسوء إلا من رحمه الله . إن أى امرأة لو فرطت فى عرضها لامتلأت خزائنها أموالاً .

نحن نحتاج إذن إلى تغيير من نوع آخر . . تغيير إلى الأحسن هدفه الإيجابية والحركة تجعل الإنسان المؤمن فى همة عليا ونية دائمة . تحتاج إلى النظر فى تاريخ أسلافنا نقتبس من نورهم ونسير على نهجهم ونتلمس خطاهم :

أولئـك آبائى فجئـنى بمثلهم　　　إذا جمعتنا يا جرير المجامع

وإليك هذا النموذج لأثر الإيمان كان هناك أعرابى يأتى إلى رسول الله (ﷺ) ولم يكن قد أسلم بعد ، وعندما يأتى يطلق بعيره ولا يعقله ، فيذهب البعير إلى الخيام ، ويذهب الأعرابى بحجة الإمساك ببعيره لينظر إلى عورات النساء فلما أسلم قال له رسول الله (ﷺ) :

« كيف حال بعيرك ؟ »

قال الأعرابى : أعقله الإسلام يا رسول الله .

أى إيمان هذا الذى أتى على النفوس فَغَيَّرها ، إن الإيمان هو اليقين الوحيد فى عالم الأوهام ، ومصباح الراهب فى الغابة المظلمة ، ومنارة النور فى بحر الظلمات والجزيرة التى يأوى إليها اليائسون ، والطود الذى لا تزحزحه السيول ، والسيف الذى لا يثنيه ضرام المعارك ، لذا فصاحبه لا تخور له عزيمة ولا تلين له عريكة ، ولا يرتاب ولا يتردد ، على حين يكون الناس بين معارض ومنتقد ، ومطيع وكاره أو مخالف معتزل ، وصاحب الإيمان لا يحفل بذلك ، ويمضى كالسيف ، حتى يهزم يقينه ألف جند من الشك ، وينقشع سحاب الأوهام ، ويظهر يقينه مثل فلق الصبح .

الإيمان يحمى الشباب من الوقوع فى الشبهات :

الإيمان يحمى الشاب المؤمن من التردى فى تيه الشبهات لأنه يولد فى النفس خشية الله ، ومراقبته والخوف من عقابه ، كما يولد الإخلاص لله ويطهر القلب من كل شائبة ويبرىء صاحبه من أمراض القلوب التى تقسى القلب وتفسده كالرياء والغرور والكبر وحب الزعامة وحب الظهور [1] .

والإيمان كذلك خليق أن يجعل من صاحبة شخصية متزنة بعيدة عن الأهواء وعلى هذا السلوك ربى الإمام الشهيد أتباعه ، وهنا تحضرنى حادثة فريدة وقعت فى مؤتمر الطلاب للإخوان المسلمين الذى انعقد بدار المركز العام سنة ألف وتسعمائة وثلاثين وثمانية حين وقف الأستاذ حسن البنا للخطابة وتحمس أحد الشباب فى المؤتمر فهتف بحياة حسن البنا وبرغم عدم استجابة الحاضرين لهذا الهتاف إلا أن فضيلة المرشد قال بعد أن وقف برهة لم يتحرك ثم اتجهت إليه الأنظار وبدأ حديثه غاضباً فقال :

أيها الإخوان :

« إن اليوم الذى يهتف فيه فى دعوتنا بأشخاص لن يكون ولن يأتى أبداً [2] .

واستكمل الإمام حديثه قائلاً :

أيها الإخوان :

لا تنسوا فى غمرة الحماسة الأصول التى آمنا بها وهتفنا بها «الرسول قدوتنا » .

الإيمان الجهاد والتضحية :

الإيمان يفجر فى نفس المؤمن طاقات هائلة تدفع صاحبها إلى الجهاد والتضحية

---

(1) مجلة لواء الإسلام عدد رقم 11 صـ 11 بين الربانية والمادية الأستاذ / مصطفى مشهور .
(2) معاً على طريق الدعوة صـ 233 وانظر مائة موقف من حياة المرشدين .

والصبر وتحمل المشاق ، ويعينه على تخطى العقبات مهما طال الطريق ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (آل عمران : 200) .

*** بأى شيء ضحى شباب الدعوة ؟**

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : نظر رسول الله (ﷺ) إلى مصعب بن عمير مقبلاً ، وعليه إهاب كبش قد تنطق به . فقال النبى (ﷺ) : « **انظروا إلي هذا الذي نور الله قلبه ، لقد رأيته بين أبويه يغذوانه بأطيب الطعام والشراب فدعاه حب الله إلي ما ترون** » .

لقد تحمل مصعب كل المشاق وهو راض عن ربه ودينه مع غاية الخضوع لله فرحاً بهذا الإيمان وراضياً به بدلاً عن متاع والديه وزخرف الدنيا ، كذلك قذف الإيمان لذة روحية وتضحية غالية أبت على خبيب أن يطلق لفظة يومىء بها راضياً بإيذاء الرسول (ﷺ) بشوكة فى قدمه .

أما قرأتم فى التاريخ أن خبيباً رضي الله عنه رفعوه على جذع شجرة ، وتناولوه بالرماح والأسنة ، حتى تمزق جسمه وهو قائم لا يشكو ولا يئن ، فقالوا له : « **أتحب أن يكون محمد (ﷺ) مكانك ؟** » فيضطرب ويقول :

« والله لا أحب أن يفدينى بشوكة يشاكها فى قدمه ! »[1] .

يا شباب الإسلام :

إن الذى ثبته فى هذا المكان ، وألهمه أن ينطق بمثل هذه الكلمة العريقة فى حب الرسول هو الإيمان الذى مثل بين عينيه الجنة ، والرماح تنوشه وتعبث بجسمه ، وناحته وقالت : صبراً يا خبيب ، فما هى إلا لمحات وثوان ، وها هى الجنة تنتظرك ورحمة الله ترتقبك ، فإذا احتملت آلام هذا الجسد الفانى ، والحياة الزائلة العابرة نلت السعادة الدائمة والحياة الباقية .

---

(1) العلامة أبو الحسن الندوى : إلى الإسلام من جديد صـ36 .

وخرج سيدنا أبو سلمة بزوجه وابنه يريد المدينة ، فلما رآه رجال من بنى المغيرة قاموا إليه فقالوا : هذه نفسك غلبتنا عليها ، أرأيت صاحبتنا هذه ، علام نتركك تسير بها فى البلاد ؟! ونزعوا خطام البعير من يده ، وأخذوها منه ، وأخذ بنو عبد الأسد سلمة ولده الصغير ، هناك اصطدمت حقيقه الإيمان بحب الزوج والولد ، فما لبث أن انتصرت عليه ، وغادر أبو سلمة زوجه وولده تحت رعاية الله ، وهاجر وحيداً .

الايمان وأثره فى محاسبه النفس :

إن الإيمان يدفع صاحبه دائماً إلى محاسبة نفسه ، لا سيما إذا كان فى موقع مسئولية سواء فى بيته أو مجتمعه وتزيد المحاسبة بزيادة التبعات ، وهنا يقول الإمام الشهيد « . . ولما كان الشباب فى كل أمة عماد نهضتها ، وفى كل نهضة سر قوتها ، وفى كل فكرة حامل رايتها . . . ومن هنا كثرت واجباتكم وعظمت تبعاتكم ، وتضاعفت حقوق أمتكم عليكم ، وثقلت الأمانة فى أعناقكم . . . » .

فهذه التبعات الجسام والتركة المثقلة بالهموم والأعباء لا محالة مسئول عنها شباب هذه الأمة ولن يستشعر هذه الأمانة إلا صاحب الإيمان الذى انطوت جوانحه على فؤاد نقى . . هذا الإيمان جعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه يلقى أبو ذر ويقول له : عظنى . قال أبو ذر :

سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : **من ولي شيئا من أمر هذه الأمة ، يؤتي به يوم القيامة ، فيوقف علي جسر جهنم ، فإن كان محسنا نجا ، وإن كان مسيئا انحرف به الجسر فهوى فيها سبعين خريفا وهي يومئذ مظلمة !!**

فبكى عمر من هول الموقف إذ كان كثير الاتهام لنفسه بين يدى ربه وكان فى خديه خطان أسودان من كثرة البكاء .

فقال لأبى ذر : لمن نعطيها بما فيها ؟ إذ هى محنة وليست منحة .

فأجاب : لمن رغم الله أنفه ، وألصق خده بالأرض .

ثم عقب على ذلك بقوله : وإنا لا نقول إلا خيراً ، وعسى إن وليتها إلى من لا يطيق حملها ألا تنجو منها يوم القيامة [1] .

وأين الفكاك من هذه المهام الجسام يا شباب . أمة مضاعة ، تقذفها حضارة الخراب والظلام ، علينا العودة بها إلى ربها بعد أن تاهت وجهة السارى وضل ربان السفينة وادلهم ليل الخطوب وساد الظلام وفشت العتمة ولم يبق لنا من نصير ولا معين إلا الله عز وجل وحمل الأمانة بهمة فالله عز وجل نادى نبيه فقال ﴿ **يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ** ﴾ (مريم : 12) .

الإيمان الشجاعة والإقدام :

الإيمان يبعث فى النفس الشجاعة والإقدام واحتقار الموت والرغبة فى الاستشهاد من أجل الحق ، إذا أن الإيمان يوحى بأن واهب الحياة هو الله ، وأنه لا ينقص بالإقدام ، ولا يزيد بالإحجام ، فكم من إنسان يموت وهو على فراشه ، وكم من آخر خاض الوغى فما دميت له قدم .

﴿ **وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ** ﴾ (آل عمران : 145) [2] .

ورحم الله أحد الصالحين حين قال : هى موتة واحدة فلتكن فى سبيل الله .

شباب يعشق الشهادة :

رأى أحد السلف شاباً ساجداً لله يبكى فى سجوده الطويل ويقول هذه الكلمات ويكررها : ماذا فعلت يا سيدى لعبدك المحروم ؟!

فانتظر حتى انتهى الشاب من الصلاة ثم سأله : ما شأنك ؟!

---

(1) سلسلة أخلاقنا جـ 2 عابد توفيق زين العابدين .
(2) العقائد الإسلامية : الشيخ سيد سابق صـ 85 .

فقال الشاب : كنا عشرة فى حرب الروم ، ووقعنا أسرى وحكم علينا بالقتل ، وأوقفونا صفاً واحداً وكنت آخرهم « أى العاشر » .

ويقول : ورأيت رأى العين كلما قتل واحد منا نزلت حورية من الحور العين ثم صعدت ، حدث هذا مع التسعة ثم جاء دورى فتشاور القوم .

وقالوا : نترك هذا الشاب ليخبر قومه عنهم .

فعرفت أنى محروم من الشهادة : فأنا أدعو الله من يومها فى صلاتى باكياً (ماذا فعلت يا سيدى لعبدك المحروم)[1] .

لا عجب أن تفيض عيونه بالدموع ولا يرتق له دمع ولا تجف له عين ولو رحنا نستقصى المواقف البطولية لشباب الإسلام فى ميدان الجهاد أو فى محاريب العلم لاحتجنا إلى مجلدات ضخام وحسبنا أن نذكر أن رسول الله (ﷺ) كان يستشير فيمن يستشير من صحابته ربيعة الشباب أسامة بن زيد ولم يبلغ العشرين من عمره وذلك لرجاحة عقله واتزان فكره ونضوج رأيه وعندما أمره على جيش فيه أمثال أبى بكر وعمر وخالد ووجهه لحرب الروم تحدث بعض المسلمين عنه وكأنهم استصغروا سنه فرد عليهم رسول الله قائلاً : « **إنه لخليق بالإمارة** » .

بل وإن سيف الله المسلول خالد بن الوليد كان شاباً من أبناء رؤساء قريش فترك ثروة أبيه وجاهه ومربط خيله الواسع فى مكة وخرج قاصداً المدينة ليدخل فى دين الله وقد أعز الله به الاسلام فى معارك فاصلة وانتصر على جيوش كسرى وقيصر ولما حضرته الوفاة قال : إنى حضرت مائة حرب أو زهاءها وما فى بدنى موضع شبر إلا وفيه ضربة سيف أو طعنة رمح أو رمية سهم وها أنذا أموت على فراشى حتف أنفى كما يموت البعير فلا نامت أعين الجبناء .

أحلى أمانى سيف الله فى ريعان الشباب : ويقول خالد عن أمانيه العذاب « ما من ليلة يهدى فيها إلى عروس أنا لها محب أو أبشر بغلام أحب إلى من ليلة شديدة البرد أقضيها بين كتائب المجاهدين أصبح فيها العدو » .

---

(1) شهداء على طريق الحق : صـ 59 .

وهكذا يصيغ الإيمان نفوس طالما رأت هواها وعشقها فى حب الشهادة وتنسم رياح الجنة وأريجها المعطار حتى كان الواحد منهم يأنس بالشهادة من الطفل بثدى أمه وكانوا كما وصفهم الرافعى : « بل إن ضربات السيوف فى سبيل الله تقع على أجسامهم فتمزقها فما يحسبونها إلا كانت قبل أصدقاء من الملائكة يلقونهم ويعانقونهم »(1) .

عواطف الإيمان :

إذا كان الإيمان الحى بين الحنايا والضلوع ينمى ملكة المراقبة والمحاسبة فإن لهذا الإيمان عواطف رقيقة تسيل المدامع وتملك المشاعر وماهى إلا نبضات لتلك القلوب الخفاقة بالحب الذى هو ثمرة هذا الإيمان ، وفى هذا يقول الأستاذ / البنا رحمه الله بعنوان (عاطفة) :

« ونحب كذلك أن يعلم قومنا أنهم أحب إلينا من أنفسنا وأنه حبيب إلى هذه النفوس أن نذهب فداء لعزتهم إن كان فيها الفداء ، وأن تزهق ثمناً لمجدهم وكرامتهم ودينهم وآمالهم ، إن كان فيها الغناء ، وما أوقفنا هذا الموقف منهم إلا هذه العاطفة التى استبدت بقلوبنا وملكت علينا مشاعرنا فأقضت مضاجعنا وأسالت مدامعنا ، وإنه لعزيز علينا جد عزيز أن نرى ما يحيط بقومنا ثم نستسلم للذل أو نرضى بالهوان أو نستكين لليأس ، فنحن نعمل للناس فى سبيل الله أكثر مما نعمل لأنفسنا ، فنحن لكم لا لغيركم أيها الأحباب ، ولن نكون عليكم يوماً من الأيام » (2) .

وهذا الشعور يا شباب الإسلام هو فعل الإيمان الذى يملأ قلب صاحبه فيشعر أنه مسئول عن هذه الأمة فيصبح على استعداد لأن تزهق نفسه ثمناً لمجدها وكرامتها ودينها وآمالها إن كان فيها الغناء .

---

(1) مصطفى صادق الرافعى (وحى القلم) .

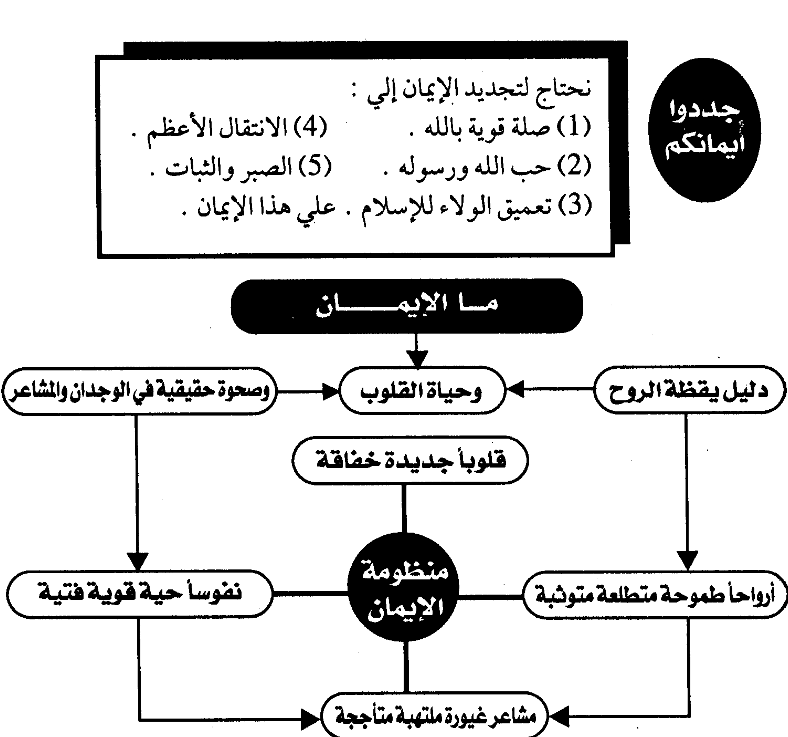
(2) رسالة دعوتنا : الإمام الشهيد حسن البنا صـ 11 .

جدّدوا أيها الشباب إيمانكم :

يقول الإمام الشهيد « إن الإيمان إذا سكن القلب وملأ الفؤاد ، وانطوت عليه الجوانح دفع صاحبه دفعاً إلى أن يبذل كل ماله ، وكل دمه وكل نفسه فى سبيل عقيدته التى آمن بها وعاش من أجلها ، وتاريخ العقائد والرسالات والدعوات حافل بهذه الشواهد التى تعتبر من البديهات [1] .

والإمام الشهيد يخاطب الشباب وهو مفعم بهذا الإيمان أن يجدّدوا عرى هذه العقيدة بتجديد الإيمان .

وحتى نجدد هذا الإيمان لابد أن نعيش فى رحاب خماسية الإيمان



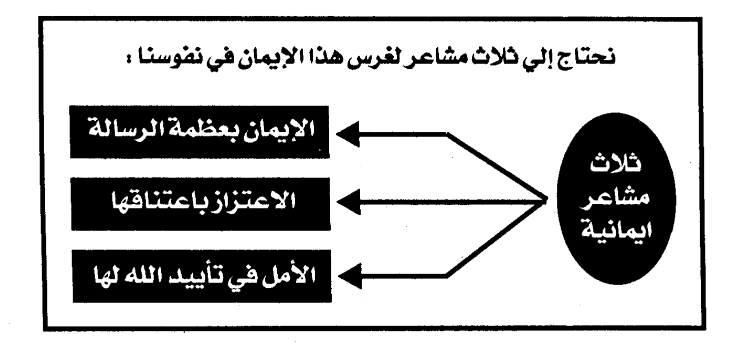


يقول الأستاذ البنا :
« نريد من هذه الأرواح الطموحة أن تتخيل مثلاً عليا ، وأهدافاً سامية لتسمو نحوها وتتطلع إليها ثم يصل إليها ، ولابد من أن تجد هذه الأهداف والمثل ، ولابد من أن تحصر هذه العواطف والمشاعر ولابد من أن تركز حتي تصبح عقيدة لا تقبل جدلاً ولا تحتمل شكاً وبغير هذا سيكون هذا **الإيمان** مثل الشعاع التائه في البيداء لا ضوء له ولا حرارة فيه ».

المشاعر التي يغرسها هذا الإيمان

(1) أنه ليس هناك إلا فكرة واحدة هي التي تنقذ البشرية المعذبة وترشد الإنسانية الحائرة و تهدي الناس سواء السبيل إلا فكرة الإسلام .
(2) أننا ما دمنا من أهل الحق وما دمنا حملة رسالة النور وغيرنا يتخبط في الظلام ، وما دام بين أيدينا هدي السماء لإرشاد الناس فيجب أن نكون أساتذة البشرية
نحنو عليها ـ نرشدها ـ نقومها ـ نقودها إلي الخير .
(3) أننا ما دمنا مؤمنين بهذا الحق معتزين بانتسابنا لهذه الدعوة فإن الله معنا يعيننا ويرشدنا وينصرنا ويؤيدنا ويمدنا حتي لو تخلي عنا كل الناس

نحتاج إلي ثلاث مشاعر لغرس هذا الإيمان في نفوسنا :



كيف نجدد هذا الإيمان وما ملامح هذا التجديد ؟

قلنا آنفاً أننا بحاجة إلى تأصيل خمسة مفاهيم فى نفوسنا لنجدد هذا الإيمان :

أولاً : صلة قوية بالله :

وعلى هذا تربى الجيل الأول من صحابة الرسول (ﷺ) فعندما تخالط بشاشة الإيمان القلوب ويستمد الشباب قوتهم من الله تعالى يصيروا رهباناً بالليل وفرساناً بالنهار فيحيا الايمان فى النفوس كما كان فى صدر الرعيل الأول .

فهذا رجل يصف (على بن أبى طالب) فتى خيبر وأحد شباب الدعوة وربيب بيت النبوة يصوره وكأنه عود شجرة تهتز وهو واقف يصلى بالليل وقد تخضبت لحيته بالدموع وهو ينادى الدنيا بأن تغر غيره فقد طلقها ثلاثاً لا عودة فيها .

فنحن نحتاج :

لصلة بالله قوية نستعين بها على قلة الناصر والمعين ، ونثبت بها فى وجه الطغاة والظالمين ونجبر بها ضعف فى أنفسنا ولين ولن يتأنى ذلك إلا بلزوم الجماعة واعتياد للمساجد وحرص على النوافل وقراءة دائمة القرآن وجهاد فى سبيل الله فلا يبلى منا ثوب الإيمان ولا تصدأ القلوب بل نتعهد نبتة الإيمان بالماء فتورق ولا تذبل ﴿أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد : 28) .

ثانياً : حب الله ورسوله :

حب الله ورسوله اثنين من ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان فى قلبه ، وفى هذا يقول الله عز وجل : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ (آل عمران : 31) وحب الله ورسوله ملأ شغاف القلوب حتى كاد موته (ﷺ) أن يفتنهم فاهتز (عمر) الراسخ الصامد وتجلت العظمة فى هذا الحب حين قدم (ﷺ) إلى المدينة مهاجراً ، ففرح بقدومه الشباب قبل الشيوخ .

يقول (البراء بن عازب) - وكان حديث السن - قدم بالنبى (ﷺ) فما رأيت أهل مدنية فرحوا بشىء فرحهم برسول الله (ﷺ) حتى جعل الإماء يقلن - قدم رسول الله (ﷺ) يقصد من الفرح » (1) .

هذا الحب جعل أحد شباب الدعوة (زيد بن الدثنة) عندما قُدم للقتل « يقول له أبو سفيان ممتحناً : أنشدك الله يا زيد أتحب محمداً الآن عندنا مكانك تضرب عنقه وأنت فى أهلك ؟

فيأتيه الجواب الحاسم الذى يدل على مدى الحب الذى ملأ جوانح زيد وملك عليه مشاعره فيجيب :

« لا والله ما أحب أن محمداً الآن فى المكان الذى هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأنا جالس فى أهلى » .

فقال أبو سفيان :

ما رأيت أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد لمحمد » (2) .

هذا الحب حين يتمكن من القلوب يولد الغيرة لدين الله ولميراث الرسول (ﷺ) الذى تركه أمانة فى أعناقنا من أعراض المسلمين ومقدساتهم ، وكذلك يثمر هذا الحب اتباع لهدى الرسول (ﷺ) طمعاً فى صحبته (ﷺ) يوم القيامة والفوز بشفاعته ، هذا هو الحب الذى أسقم (ثوبان)خادم الرسول (ﷺ) فلما عاده الرسول (ﷺ) وسأله قال : تذكرت يا رسول الله يوم القيامة إذا قضى الله بين العباد وكنت مع الصديقين والنبيين والشهداء وكنت فى منزلة أدنى من منزلتك فلا أراك يا رسول الله ، وانهمرت دموع ثوبان حزناً على هذا الفراق الأليم . فأدخل الرسول (ﷺ)

---

(1) رواه البخارى : فتح البارى (3925) .
(2) السيرة النبوية / أبو الحسن الندوى .

السرور على فؤاد ثوبان المكلوم من حب الرسول (ﷺ) وقال (ﷺ) :

« **أبشر يا ثوبان المرء يحشر مع من أحب** » .

هذا الحب يا شباب صدح به أحد الصحابة وقال : يا رسول الله إنى أحبك قال : « **أبشر بالفقر** » فأعادها ثانية فانطلق الرسول (ﷺ) بما هو أبين وأوضح لتبعات هذا الحب فقال له : « **استعد للبلاء** » ـ يقصد فى سبيل الله .

وبعد يا شباب ـ فلا مناص لنا من حب الله ورسوله (ﷺ) ليتم عقد الإيمان وليصح لنا الإسلام فلقد رد (ﷺ) إيمان عمر حين غلب حبه لنفسه حب رسول الله (ﷺ) .

ثالثاً : تعميق الولاء للإسلام :

أى إيمان هذا الذى يقطع الوشائج والصلات ولا يجعل لأى أحد ولاء فوق ولاء الإسلام ولا وليجة تنازع وليجة الإسلام إنه إيمان الرعيل الأول الذين أظهروا أن ولاءهم للإسلام أعظم من ولائهم لأهلهم وعشائرهم ، فهذا أحد شباب الدعوة اليافع (زيد بن أرقم) عندما تكلم عبد الله بنْ أبىّ فى غزوة بنى المصطلق بكلام سيىء فقال وهو فى رهط من قومه الخزرج فى المعسكر وفيهم زيد بن أرقم وكان غلاماً صغيراً ـ قال ابن أبى « أوقد فعلوها ـ يعنى المهاجرين ـ ما رأيت كاليوم مذلة قط ، قد ناحرونا وكاثرونا فى بلادنا . . والله ما أعدنا وجلابيب قريش هذه ، إلا كما قال الأول : (سمن كلبك يأكلك) .

والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل [1] .

وهمّ زيد فى الحال يبلغ الرسول (ﷺ) هذه المقالة فأخذ (ﷺ) يخطئه ويقول : « **لعلك غضبت منه ، لعلك أخطأ سمعك** » ، وذلك لحكمة يريدها النبى (ﷺ)

---

(1) السيرة النبوية : العلامة أبو الحسن الندوى صـ 101 .

وقد لام الغلام رجال من قومه الخزرج فقالوا له : عمدت إلى سيد قومك تقول عليه ما لم يقل ، فقال زيد بن أرقم : والله لقد سمعت ما قال ، ولو سمعت هذه المقاله من أبى لنقلتها إلى رسول الله (ﷺ) .

وهنا نرى كيف أن الولاء للإسلام يعلى من عرى ونسب الإسلام فوق كل علاقة ووشيجة إنه ولاء المؤمن الصادق المتجرد لله ولرسوله ولدعوته وإذا كان الشباب على هذه الحال الفريدة من الشعور الغامر فسينسلخ من الدعوة للفرعونية والقومية وغيرها من عشرات الصيحات المختلطة ويكون ابن ربيب للإسلام صحت عقيدته وتجدد إيمانه .

ليس هذا فحسب بل ينطلق ليعلن ولاءه وأخوته لكل من يقول (لا إله إلا الله محمد رسول الله) فى مشارق الأرض ومغاربها وفى هذا يقول الدكتور عبد الرحمن العشماوى :[1] .

لو اشتكى مسلم فى الهند أرقنى ... أو اشتكى مسلم فى الصين أبكانى
فمصر ريحانتى والشام نرجستى ... وفى الجزيرة تاريخى وعنوانى
وفى العراق أكف المجد ترفعنى ... عن كل باغ ومأفون وخوان
يسكن المسجد الأقصى وقبته ... فى حبه القلب أرعاه ويرعانى
أرى بخارى بلادى وهى نائية ... وأستريح لذكرى خراسان
شريعة الله جمعت شملنا ... وبنت معالم إحسان وإيمان

*** رابعاً : الإنتقالية العظمى :**

حينما يدرك الشباب عظمة هذا الدين ويتشربوا من منابعه الصافية ، ويصبغ ظاهرهم وباطنهم بهذه الصبغة ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ﴾وتنشرح

(1) الدكتور عبد الرحمن العشماوى . شريط أمسية فى المدينة .

صدورهم بتعاليمه ويعلموا واجباهم تجاه هذه الدعوة ، فما تراهم إلا وقد انتقلوا بأفكارهم وأخلاقهم ومعاملاتهم من الجاهلية ونظمها إلى الإسلام .

وهذا الانتقال هو ما قصده الإمام الشهيد حسن البنا عندما قال فى معرض حديثه عن ثمار الإيمان الواجب أن يؤمن به الشباب أن فكره يجب أن يكون إسلامى بحت على الإسلام يرتكز ، ومنه يستمد وله يجاهد وفى سبيل إعلاء كلمته يعمل ، لا يعدل بالاسلام نظاماً ، لا يرضى بسواه إماماً ، ولا يطيع لغيره أحكاماً .

نموذج للشباب ..

هذا الفتى الأغر ، أعطر فتيان مكة ، أفخرهم ثياباً ، أكثرهم ترفاً ، أرقهم مشية ألينهم عريكة ، تشم رائحته وتفوح كلما وطىء الثرى فتفوح كأنها النسيم العليل ، حلم الغيد الحسان فى خدورهن إنه مصعب الخير يدخل على رسول الله (ﷺ) بعد إسلامه وقد تنطق ثوب بالى ويبدو على ملامح هذا المترف آثار التعب والإرهاق وشظف الحياة وإدبارها فتذرف دموع الرسول (ﷺ) ويقول : « **انظروا إلي هذا الذي أحب الله ورسوله علي ما سواهما** » .

ويمضى مصعب بن عمير سنى حياته سفيراً فوق العادة يبشر بالإسلام فى جنبات المدينة ويرسى دعائم الدولة الناهضة حتى تغدو المدينة وقد دخل الإسلام جُل بيوتها وتخرج كلها عن بكرة أبيها تستقبل هدى السماء بقلوب ملؤها الحب لهذا الدين .

وما فتىء الزمان يدور حتى جاءت(غزوة أحد) فى العام الثالث للهجرة ويكون غرة الشباب (مصعب الخير) هو صاحب اللواء ينزل ساحات الوغى كأنه الأسد فى عرينه يشدو بعبارات رنانة تجوب عنان السماء وتزلزل الأفئدة وترد الحائرين إلى الجادة والصواب فيقول عندما أشاع الناس خبر وفاة الرسول (ﷺ) ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ** . . ﴾ (آل عمران : 144) .

ويحملها الوحى لتسطر فى محكم التنزيل ، فى صحف مكرمة ، مرفوعة مطهرة بأيدى سفرة، كرام بررة . . ثم تنقضى المعركة ويُرى هذا المصعب وقد تقطعت يداه وقدميه محتضناً الراية ، وعندما أرادوا أن يكفنوه لم يجدوا ما يستره فغطوه بورق من شجر الإذخر .

هذا هو مصعب الذى لم يعبأ أو يكترث بدنيا بل جعل همه رضاء الله سبحانه وتعالى وجنته ، هذا هو النموذج الذى أبرق إليه الإمام الشهيد الذى كان هو الآخر فى انتقالية عظمى من دنياه إلى آخرته طالما صرخ فى الأجيال صرخة يحيى عليه السلام :

« أنا صوت صارخ فى البرية أن مهدوا طريق الرب » .

ولذا فقد هب بنفسه يقوم بالدور الذى ينتظر رجلاً من طراز فريد فنادى :

ألا من رجل يجود بنفسه بادىء ذى بدء ليحيا الإسلام

ألا من رجل يرمى الدنيا وما حولها من وراء ظهره متجرداً للإسلام

ألا من رجل يحفر قبره بيديه ، ويلبس أكفانه .

ثم يقوم ليصدع بالحق فى وجه الطغاة والظالمين .

ألا من فتى أغر مثل مصعب بن عمير .

ولكن البنا كان هذا الفتى ذو النظرة الناعسة والمشاعر الفياضة قد تقدم يضرب المثل للشباب لكيما تشهد الأجيال القادمة ، بل ليشهد العالم أجمع أنه :

لابد أن تقوم فى هذا الوطن الحر دولة إسلامية حرة ، تعمل بأحكام الإسلام ، وتطبق نظامه الاجتماعى ، وتعلن مبادئه القويمة ، وتبلغ دعوته الحكيمة للناس ، وما لم تقم هذه الدولة فإن المسلمين جميعاً آثمون مسئولون بين يدى الله عز وجل عن تقصيرهم فى إقامتها ، وقعودهم عن إيجادها ، ومن العوق للإنسانية فى هذه

الظروف الحائرة أن تقوم فيها دولة تهتف بالمبادىء الظالمة ، وتنادى بالدعوات الفاشلة ولا يكون من الناس من يعمل لتقوم دولة الحق والعدالة والسلام »[1] .

هكذا فاسمعوا يا شباب فآمال الأمة معقودة بنواصيكم وسر نهضتها فيكم فلتكونوا الجمرة المتقدة فى حده بين هذا الرماد الكئيب ، ولتكونوا اللهيب الذى يخرج السيف الصارم الذى سيعيد إلى المارد الإسلامى سابق عزه وكرامته وكبريائه .

خامساً : صبر وثبات :

إن هذا الوميض اللامع بين غلالات الظلام قد برق فى حده ليشهد أن الصبر نصف الإيمان والثبات والاستمساك بعروة الحق ، والاستهانة بكل شىء حتى الحياة فى سبيل الإيمان والعقيدة عاقبته فوز وفلاح وانتصار ونجاح وبشرى تزف إلى المستضعفين فى آفاق الأرض .

وتحدث الإمام البنا فى رسالة المؤتمر الخامس للشباب فقال لهم .

إنما تظهر الرجولة بالصبر والمثابرة والجد والعمل الدائب . .

توجيهات للشباب ومعينات على الثبات :

يقول الإمام الشهيد ناصحاً الشباب :

(1) ألجموا نزوات العواطف بنظرات العقول .

(2) أنيروا أشعة العقول بلهب العواطف .

(3) ألزموا الخيال صدق الحقيقة والواقع .

(4) اكتشفوا الحقائق فى أضواء الخيال الزاهية الراقية .

---

(1) مذكرات الدعوة والداعية ـ الإمام الشهيد حسن البنا .

(5) لا تصادموا نواميس الكون فإنها غلابة .

(6) غالبوها ـ استخدموها ـ حولوا تيارها ـ استعينوا ببعضها على بعض .

(7) ترقبوا ساعة النصر وما هي منكم ببعيد .

*** إرشادات على طريق الدعوة تدعم الثبات :**

(1) الوقت عندنا جزء من العلاج .

(2) الطريق طويلة المدى بعيدة المراحل كثيرة العقبات .

(3) على العهد في سبيل الغاية لتنال إما النصر وإما الشهادة .

نريد أن نكون : ﴿ **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً** ﴾ (الأحزاب : 23) .

منطلقات الإيمان في فكر الإمام الشهيد

ما سبق الحديث فيه عن الإيمان يعطي دلالات قوية لمكان الإيمان في مدرسة حسن البنا ومنها :

(1) إن الإيمان هو الأولوية الكبرى في حياة المسلم ، ويتصدر كل ما عداه من حظوظ النفس وضرورات الحياة والمال والأهل والولد بحيث لوحدث تعارض بينه وبين شيء مما ذكر رجحت كفته هو . . وبذلك تستولي قضية الإيمان على قلبه واهتمامه . . وهكذا يجب أن يكون الشباب بعون الله وتوفيقه .

(2) الإيمان هو الأصل والأساس الذي ينبثق منه كل عمل وخلق وحال ، لأن هناك اتصال دائم بين الإيمان والعمل في آيات القرآن الكريم مع سبق الإيمان .

﴿ . . . **الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** . . ﴾(العصر : 3) « الإسلام علانية والإيمان في القلب » .

(3) الإيمان محرك وسبب لأداء الأعمال بإتقان وإحسان ودقة وقوة »

« إن الله كتب الإحسان على كل شيء » والله عز وجل أخبر الرسول (ﷺ) براده في العمل فقال (ﷺ) : « **إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه** » .

(4) إن الدعوة والحركة اللتين تنطلقان من الإيمان الحى اليقظ يسرى فيها سر ربانى وروح لطيفة تجعل فيها الأثر والثمرة والبركة على مستوى الفرد والمجتمع والواقع .

(5) إن الإيمان هو خير معوان على تحمل لأواء الطريق ووعورته وهو من أبرز الأسباب التى يتنزل على مثلها تثبيت الله عز وجل وتوفيقه وتأييده ﴿**فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ [(1)].

(6) إن الايمان هو المعين الذى تخرج منه المواقف المبهرة والبطولات النادرة والتضحيات الغالية بالأنفس والأموال والأهلين . . وفى سيرة النبى (ﷺ) وصحابته الكرام ما لا يحصى من الشواهد على صدق ذلك . كذلك فى محنة الإخوان شاهد صدق على أصالة معدنهم وعمق إيمانهم وصدقه .

(7) إن الإيمان هو الخيط الذى ينتظم حبات عقد الأهداف البعيدة والمرحلية والغايات الكبرى والأقرب . . وبه كذلك تترابط الأعمال التى تبدو متناثرة متبعثرة لذا جعله الإمام الشهيد من مقومات نجاح الأفكار .

آمنوا بأنفسكم ..

*** إيمان العمل ، وإيمان الكلام ..**

نقول : يا شباب أنه لابد أن يمتاز إيمان المؤمنين الصادقين ، العاملين الجادين ، عن دعوى الإيمان عند السياسيين أو المحترفين والمتكلمين ، نعم إن ميزة الإيمان

---

(1) الأنفال : 12 .

الحق تكمن فى الثبات والاطمئنان ، فى ثبات صاحب المبادئ عليها ، واطمئنان إلى هذه المبادئ فلا يشك لحظة فى أنها منتصرة لأن الله عز وجل قال لنا :

﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ ﴾ (الرعد : 17) .

﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ (الأنبياء : 18) .

. . .

يا شبابنا . . . اعلموا أن هذا الإيمان بالمبادىء ليس فى الإسهاب الطويل فى الكلام عنها أو الشرح أو التعليق لما تضمنته ، أو ما يمكن أن تدل عليه أبداً . لكن الإيمان بالمبادىء يتمثل فى الصلة الروحية ، التى تقوم بينها وبين الداعية ، فتملك عليه الحواس ، وتسيطر على منافذ النفس وتحوله إلى طاقة وحركة من الخير تجعله فى انشغال دائم بها .

وتلك الصلة الروحية يا شباب بآثارها هذه ، هى التى تمنح الداعية صفة الثبات والاطمئنان ، وهى التى تكتب لدعوته البقاء والخلود ولقد ورد فى الأثر (وليس الإيمان بالتمنى ولا بالتحلى ، ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل) .

وأول مظهر عملى لهذا : هو الإيمان بالنفس ، الذى أساسه الثقة فى وعد الله وأنه نافذ ، وأنها على حق .

الإيمان بالنفس : هو القوة الدافعة إلى العمل ، التى تعين صاحبها على تخطى الحواجز ، وتجاوز العقبات ، وهو فى الإسلام أمر بعيد عن الإعجاب والغرور .

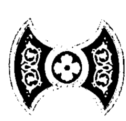
إيمـانـــان :

يحدثنا الإمام الشهيد فى رسالة (دعوتنا) عن طبيعة هذا الإيمان الذى به سنخوض غمار هذه الجاهلية ونحيل قفارها ربيعاً بدين الله عز وجل :

يقول الإمام الشهيد :

والفرق بيننا وبين قومنا بعد اتفاقنا فى الإيمان بهذا المبدأ أنه عندهم إيمان مخدر نائم فى نفوسهم لايريدون أن ينزلوا على حكمه ولا أن يعملوا بمقتضاه ، على حين أنه إيمان ملتهب مشتعل قوى يقظ فى نفوس الإخوان المسلمين ظاهرة نفسية عجيبة نلمسها ويلمسها غيرنا فى نفوسنا نحن الشرقيين أن نؤمن بالفكرة إيماناً يخيل للناس حين نتحدث إليهم عنها أنها ستحملنا على نسف الجبال وبذل النفس والمال واحتمال المصاعب ومقارعة الخطوب حتى ننتصر بها أو تنتصر بنا ، حتى إذا هدأت ثائرة الكلام وانفض الجمع نسى كل إيمانه وغفل عن فكرته ، فهو لا يفكر فى العمل لها ولا يحدث نفسه بأن يجاهد أضعف الجهاد فى سبيلها ، بل إنه قد يبالغ فى هذه الغفلة وهذا النسيان حتى يعمل على ضدها وهو يشعر أولا يشعر ؟ أو لست تضحك عجباً حين ترى رجلاً من رجال الفكر والعمل والثقافة فى ساعتين اثنتين متجاورتين من ساعات النهار ملحداً مع الملحدين وعابداً مع العابدين !

هذا الخور أو النسيان أو الغفلة أو النوم أو قل فيه ما شئت هو الذى جعلنا نحاول أن نوقظ « مبدأنا » وهو هو المبدأ المسلم به من قومنا فى نفوس هؤلاء القوم المحبوبين »[1] .



(1) رسالة دعوتنا للإمام الشهيد صـ 14 ط / المؤسسة الإسلامية للطباعة والصحافة والنشر ، بيروت .

الإخلاص

« . . . ، وتوفر الإخلاص فى سبيلها . . وأساس الإخلاص الفؤاد النقى »

وهذه هى الخصيصة الثانية من خصائص الشباب وجعلها الإمام الشهيد حسن البنا ركناً يبايع عليه من التزم أمر هذه الدعوة وقال :

« وأريد بالإخلاص أن يقصد الأخ المسلم بقوله وعمله وجهاده كله وجه الله وابتغاء مرضاته وحسن مثوبته من غير نظر إلى مغنم أو مظهر أو جاه أو لقب أو تقدم أو تأخر . وبذلك تكون جندى « فكرة وعقيدة » لا جندى « غرض ومنفعة »

﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ . . ﴾ (الأنعام : 162 ، 163)

وبذلك يفهم الأخ المسلم معنى هتافه الدائم « الله غايتنا » [1] .

*** حول معنى الإخلاص فى فكر صاحب الرسائل :**

يقول الإمام حسن البنا مبيناً أهمية الإخلاص وعوامل النصر :

« إن الإخلاص أساس النجاح ، وإن الله بيده الأمر كله ، وإن أسلافكم الكرام لم ينتصروا إلا بقوة إيمانهم وطهارة أرواحهم و ذكاء نفوسهم وإخلاص قلوبهم ، وعملهم عن عقيدة واقتناع ، جعلوا كل شيء وقفاً عليها ، حتى اختلطت نفوسهم بعقيدتهم ، وعقيدتهم بنفوسهم ، فكانوا هم الفكرة ، وكانت الفكرة إياهم ، فإن كنتم كذلك ففكروا ، والله يلهمكم الرشد والسداد ، واعملوا والله يؤيدكم بالمقدرة والنجاح وإن كان فيكم مريض القلب معلول الغاية ، مستور المطامع ، مجروح الماضى فأخرجوه من بينكم فإنه حاجز للرحمة حائل دون التوفيق » [2] .

(1) رسالة التعاليم .
(2) العوائق للراشد صـ 122 .

ما المقصود بالإخلاص ؟

إنه قوة إيمانية تدفع صاحبها بعد جذب وشد إلى أن يتجرد من المصالح الشخصية ويترفع عن الغايات الذاتية ، وأن يقصد من عمله وجه الله تعالى لا يبغى من ورائه جزاءاً ولا شكوراً . . .

والإخلاص : بمعنى الصفاء واستخلاص الشوائب ، فإذا صفا الشىء وخلص من شوائبه يسمى خالصاً قال تعالى : ﴿ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ ﴾ (1)

ويقول عبدالله التسترى :

« أن تكون حركات العبد وسكونه فى سره وعلانيته لله تعالى وحده ، لا يمازجه شىء ، لا نفس ولا هوى ، ولا دنيا » .

ويقول أبو يعقوب السوسى :

« الإخلاص فقد رؤية الإخلاص ، فإن من شاهد فى إخلاصه الإخلاصه الإخلاص ، فقد احتاج إخلاصه إلى إخلاص » ، وما ذكر إشارة إلى تصفيه العمل من العجب بالفعل فإن الالتفات إلى الإخلاص والنظر إليه عجب ، وهو من جملة الآفات ، والخالص ما صفا عن جميع الآفات(2) .

والإخلاص الذى جعله الإمام الشهيد ركناً من أركان البيعة للعمل للإسلام هو أصل هام من أصول الدين فهو يشمل :

(1) **إخلاص النية** : (وهى إخلاص العبادة والعمل لله)

(2) **إخلاص النصيحة** : (قال الخطابى) : وأصل النصح فى اللغة الخلوص)

---

(1) سورة النحل : 66 .

(2) الإخلاص أركانه وآفاته 22 / محمد رمضان / دار الوفاء ط / 1 / 1997م .

(3) **إخلاص الدين** : أى (إخلاص العقيدة) وهو حقيقة الإسلام وأصله الذى يقوم على الاستسلام لله لا لغيره ـ أى : لا إله إلا الله ﴿ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴾

*** أهمية الإخلاص كركن من أركان البيعة :**

(1) **أمر ربانى** : قال تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾ (البينة : 5) .

(2) **تخلص من ربقة الشيطان** : قال تعالى : ﴿ . . إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ (الحجر : 40)

(3) **الإخلاص طريق النصر** : قال (ﷺ) : « **إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها : بدعوتهم ، وصلاتهم ، وإخلاصهم** » [1] .

(4) **المخلصون مصابيح الهدى** : قال (ﷺ) : « **طوبي للمخلصين ، أولئك مصابيح الهدي ، تنجلي عنهم كل فتنة ظلماء** »[2] .

(5) **المخلصون تحت لواء الرضا :**

قال (ﷺ) : « **من فارق الدنيا علي الإخلاص لله وحده ، وعبادته لا شريك له ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، مات والله عنه راض** »[3] .

مفاهيم تربوية حول الإخلاص

جسور فوق جهنم وأعمال مضمحلة :

نادى الإمام الشهيد فى شباب الدعوة قائلاً : إن كان فيكم مريض القلب معلول الغاية ، مستور المطامع ، مجروح الماضى ، فأخرجوه من بينكم فإنه حاجز للرحمة حائل دون التوفيق »

---

(1) رواه البخارى والنسائى .
(2) رواه البيهقى .
(3) رواه ابن ماجه .

وما أشبه الدعاة بشىء أكثر من أنهم جسور فوق جهنم . . يصل الناس بهم إلى رضوان الله وينجون من سخطه وعقابه ، فنعوذ بالله تعالى أن نكون جسوراً يعبر عليها الناس إلى الجنة ، وتهوى فى جهنم .

وفى هذا يقول « الربيع بن خثيم » رضي الله عنه : « كل ما لا يراد به وجه الله يضمحل »[1] .

*** يا شباب الظلام يزحف والإخلاص نور :**

نظرة أخرى لكلام الشهيد انظر قوله : (إنه حاجز للرحمة ، حائل دون التوفيق) إن الكثير من عثرات السير مردها إلى هؤلاء أهل الشوائب وانتفاء الإخلاص ويقول ابن الجوزى فى مسلك هذا الظلام .

(إنما يتعثر من لم يخلص)[2] .

ويقول الكيلانى منادياً تلاميذ وشباب الدعوة :

(يا غلام : فقه اللسان بلا عمل القلب لا يخطيك إلى الحق خطوة ، السير سير القلب)[3] .

لذا حذار من الإظلام . . فإنه يزحف مع الرياء والعجب والشهوة الخفية » .

لذا يقول زاهد الصحابة (شداد بن أوس) فى وصيته الجامعة عند وفاته « إن أخوف ما أخاف عليكم : الرياء والشهوة الخفية)[4] .

لذا خاطب الإمام البنا دعاة وشباب الإسلام موضحاً لهم خطورة الإخلاص وضرورته قائلاً :

---

(1) طبقات ابن سعد .
(2) صيد الخاطر / 355 .
(3) الفتح الربانى / 29
(4) زهد بن المبارك / 393 .

« أيها الإخوان » :

قبل أن أخوض معكم فى حديث الدعوة أحب أن أوجه إليكم هذا السؤال : هل أنتم على استعداد بحق لتجاهدوا وليستريح الناس ؟ وتزرعوا ليحصد الناس ؟ وأخيراً لتموتوا وتحيا أمتكم ؟ وهل أعددتم أنفسكم بحق لتكونوا القربان الذى يرفع الله به هذه الأمة إلى مكانتها ؟

من العاملين من يعمل ابتغاء مال أو جاه أو وظيفة أو منصب أو عرض من أعراض هذه الدنيا ، ومنهم من يعمل ابتغاء ثواب الله ورضوانه فى الآخرة ومنهم من سمت نفسه ، ورق حسه ، ودق شعوره ، وتسامى عن مواطن المادة جميعاً وانتقل إلى عالم الملأ الأعلى ، فأحب الخير للخير ، وعمل الجميل لذاته ، وشعر بأن ما يجد من حلاوة التوفيق لهذه المنزلة فيه من الكفاءة لما بذل من تضحيات فى سبيلها وأدرك سر قول العارف « حسبك من ثوابك على الطاعة أن رضيك مولاك لها أهلاً » بل سر بقوله تعالى : ﴿ **بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ (1).

فإن كنتم من الصف الأول : فتخلوا حالاً عن هذا الميدان الكريم ، ويأبى الله أن يكون دينه القيم أحبوله لجر المغانم الدنيوية الزائلة . .

وإن كنتم من الصنف الثانى ، فاعملوا راشدين فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً وستجزون بالدرهم ديناراً ، وبالحسنة أضعافاً مضاعفة »

﴿ **وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا** ﴾ (النساء : 40).

وإن كنتم من الصنف الثالث فبخ بخ . . وهنيئاً لكم السمو إلى ذلك العالم الملكى والاتصال بهذا الملأ الروحانى والدخول فى حيز قوله تعالى ﴿ **وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ** ﴾ (الليل : 21) .

---

(1) سورة الحجرات : 17 .

إن العمل الذى لا يصحبه الإخلاص صورة بلا حياة، وجثة بلا روح ، وإن الله تعالى يريد من الأعمال حقائقها لا صورها ورسومها ، فكل عمل ليس فيه إخلاص مردود على صاحبه وإن النية الفاسدة ، تفسد العمل ، وتلوث النفس ، وتضعف الصف ، وتحبط الأجر ، كما أن النية الصالحة . . تصلح العمل ، وتطهر النفس ، وتقوى الصف ، وتزيل العقبات ، وتحقق عظيم الأجر والثواب . .

وإن الحياة لا يسود فيها الخير ، وينشر الحق ، وتعلو كلمة الإيمان ، وتخفق أعلام الفضيلة . . بتجار المبادىء ، الذين لا يعملون إلا ليغنموا ، ويستفيدوا من الدنيا ، ولا بالمرائين الذين لا يعملون إلا ليراهم الناس ، ويسمعوا بهم ، ويتحدثوا عنهم ، ويشيروا إليهم بالبنان . .

ولكن ينتصر الحق والخير والفضيلة بالمخلصين الذين يعتنقون المبادىء مضحين لا مستفيدين ، معطين لا آخذين . .

إن جندى العقيدة لا يجرى وراء المطامع ، ولا يخطف بصره بريق الشهوة ، ولا يجذب قلبه سطوة الجاه والنفوذ . . أكبر همه أن يتقبله الله فى الصالحين ، وأن يجعله من جنده الصادقين ، وحزبه المفلحين . .

إن وضوح هذه الغاية بالنسبة للشباب حملة الدعوة أمر ضرورى ، لابد من الوقوف أمامه طويلاً . . فهيهات أن يتحقق النصر للإسلام على أيدينا يا شباب ونحن طلاب دنيا فى ثوب أصحاب دين ولنسمع بآذان مصغية لوصية « الإمام البنا » وهو يوصى الدعاة فيقول :

« ولئن كانت وصايا أوصيكم بها ، فإن أول وصيتى إليكم أيها الأحبة الأعزة : أن يصدق توجه قلوبكم إلى الله وحده ، وأن تشرق أرواحكم بمعرفته ، وتمتلىء قلوبكم بخشيته ، وتأنس أنفسكم بجمال اليقين ، وعظيم الثقة به ، ودوام مراقبته فى كل قول وعمل ، وأن تستقيموا على أمره ، وتلتزموا حدوده وأحكامه ، فذلك

رأس الأمر وعموده وشتان ما بين قلب خال لا يتصل بالله فى شىء ، وبين قلب استنار بأضواء الإيمان وأشرق بشمس اليقين . .

إن قلباً أنت ساكنه غير محتاج إلى السرج

*** على الذى كرس حياته لله أن يستوثق من إخلاصه :**

ويؤكد الأستاذ (مصطفى مشهور) على تلك الحقيقة قائلاً :

« على الفرد الذى كرس حياته للعمل لله فى سبيل إعلاء كلمته والتمكين لدينه أن يستوثق من إخلاص نيته لله ، ومن خلو قلبه من تلك الأمراض والعلل التى تحبط الأعمال ، وتؤدى بصاحبها إلى الضياع والخسران ، كالرياء وحب الزعامة وحب الظهور وحب الجاه ، والمناصب والمغانم الدنيوية ، إلى غير ذلك من أمراض القلوب ، فالله تعالى لا يقبل إلا العمل الخالص لوجهه ، ثم إن وجود مثل هذه النوعيات المريضة فى الصف تحدث الكثير من المتاعب ، وإن كانت فى النهاية تعجز عن مداومة المسير ، ويحفظ الله الجماعة من هذه النوعيات ، ليبقى جسد الجماعة سليماً ، فالحمد لله الذى تولى أمرنا يجمع علينا الطيب ويباعد بيننا وبين كل خبيث» .

دلائل الإخلاص

لابد لكل منا أن يفتش وينقب فى نفسه جيداً ليخلصها من أى شائبة ، وليس على النفس أشق من ذلك ، لأنه ليس لها فيه نصيب فكما يقول يوسف بن الحسين الرازى « أعز شىء فى الدنيا الإخلاص ، وكم أجتهد فى إسقاط الرياء عن قلبى ، وكأنه ينبت فيه على لون آخر » .

وقال يوسف بن أسباط :

« تخليص النية من فسادها أشد على العاملين من طول الاجتهاد » وهنا لابد أن يبحث الداعية عن دلائل هذا الإخلاص ليطمئن لوجوده .

وقال سهل بن عبد الله : « لا يعرف الرياء إلا مخلص » .

وكذلك يجب أن تستدل على دلائل هذا الإخلاص ، فبضدها تتميز الأشياء فمن دلائل الإخلاص . .

(1) بغيتنا نظر الخالق ، لا نظر المخلوق :

فالداعية المخلص يهتم بنظر الخالق ، لا بنظر المخلوقين ، فإنهم لن يغنوا عنه من الله شيئاً ، وليكن شعار حياته :

فليتــك تحـلو والحياة مريرة ... وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذى بينى وبينك عامر ... وبينى وبــين العـالمين خرابُ
إذا صح منك الود فالكل هين ... وكل الذى فوق التراب تراب

وذكر ابن رجب : « قال الحواريون لعيسى ﷺ : ما الخالص من العمل؟ قال : ما لا تحب أن يحمدك الناس عليه » [1] .

فالصادق لا يبالى لو خرج كل قدر له فى قلوب الخلق من أجل صلاح قلبه ، ولا يحب إطلاع الناس على مثاقيل الذر من عمله ، ولا يكره إطلاعهم على السيىء من عمله ، لأن كراهيته ذلك دليل على أنه يحب الزيادة عندهم ، فيلتفت الداعية إلى ربه فقط ولا يأبه بنظر المخلوقين .

لذا فمن دلائل الإخلاص ما قاله ذو النون المصرى : « ثلاث من علامات الإخلاص : استواء المدح والذم من العامة ، ونسيان رؤية الأعمال فى الأعمال ، ونسيان اقتضاء ثواب العمل فى الآخرة » [2].

(1) جامع العلوم والحكم 74 .
(2) الإخلاص أركانه وآفاته / محمد رمضان / 23 .

(2) نتهم أنفسنا ونظن بها سوءاً :

فالداعية المخلص دائماً على حذر وخوف ، واتهام لنفسه بالتقصير ، يخشى من سيئاته ، ويخاف ألا تقبل حسناته ، وفي هذا يقول ابن القيم : - رحمه الله - « . . فذنب تذل به لديه أحب إليه من طاعة تدل بها عليه ، وإنك أن تبيت نائماً وتصبح نادماً ، خير من أن تبيت قائماً وتصبح معجباً ، فإن المعجب لا يصعد له عمل »[1].

ويقول ابن عطاء السكندري في هذا السياق « رب معصية أورثت ذلاً وافتقاراً خير من طاعة أورثت عزاً واستكباراً » وهكذا فليتهم الداعية نفسه دائماً ، ولا يرضى عنها مطلقاً ، فلو رضي عنها فستورده موارد الهلاك ويقول الفضيل بن عياض : « إذا ظفر إبليس من ابن آدم بإحدى ثلاث خصال ، قال : لا أطلب غيرها إعجابه بنفسه ، واستكثاره عمله ، ونسيانه ذنوبه » .

وبكى أحد الصالحين في مرضه بكاءاً شديداً ، فقال بعض عواده : كيف تبكي . . وأنت قد صمت وقمت وجاهدت وتصدقت واعتمرت وحججت ، وعلمت وذكرت ؟! فقال : وما يدريني أن شيئاً منها في ميزاني ؟ وأنها مقبولة عند ربي ؟ والله تعالى يقول : ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[2].

ألا فليحذر الدعاة إلى الله وليعتبروا بقول عيسى عليه السلام « كم من سراج أطفأته الريح ، وكم من عبادة قد أفسدها العجب » .

فالعمل الصالح ضياء ونور يتحول إلى ظلام إذا هبت ريح العجب عليه .

ويقول « السري السقطي » :

لو أن رجلاً دخل بستاناً فيه جميع ما خلق الله عز وجل من الأشجار عليها من

---

(1) مدارج السالكين جـ 1 صـ 177 لابن القيم .
(2) سورة المائدة : 27 .

جميع ما خلق الله تعالى من الأطيار ، فخاطبه كل طائر بلغته وقال : السلام عليك يا ولى الله . فسكنت نفسه إلى ذلك ، كان فى أيديها أسيراً »[1] .

ولما سئلت السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ : متى يكون الرجل مسيئاً ؟

قالت : « إذا ظن أنه محسن » .

ومن دلائل الإخلاص :

أن يحب الداعية العمل الصامت البعيد عن الأضواء وأن يعمل على إخفاء طاعته ، وأن يؤثر أن يكون من الجماعة كالجذر بالنسبة للشجرة به قوامها وحياتها ولكنه مستور فى باطن الأرض لا تراه العيون ، أو كالأساس من البناء لولاه ما ارتفع البناء ، ولا قام بيت ، ولا أظل سقف ، ولكن أحداً لا يراه كما يرى الجدران والشرفات . .

والله سبحانه وتعالى يحب من عباده الأتقياء الأخفياء ، الذين إذا حضروا لم يعرفوا وإذا غابوا لم يفتقدوا ، كما جاء فى الحديث .

ولذا يقول الغزالى فى إحيائه « وعلى كل منا أن يعود نفسه على إخفاء الطاعات والعبادات ، وإغلاق الأبواب دونها ، كما تغلق الأبواب دون الفواحش ، حتى يقنع قلبه بعلم الله ، وإطلاعه على عبادته ، ولا تنازعه النفس إلى طلب علم غير الله به » .

وقريب من هذا المعنى الشعور الغامر بالتقوى والإخلاص أن يستوى العمل عنده قائداً أو جندياً فى آخر الصفوف ، ما دام فى كلا الموقعين إرضاء لله تعالى ، وصدق رسول الله (ﷺ) حين قال :

« طوبي لعبد أخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعث رأسه ، مغبرة قدماه ، إن كان

(1) تلبيس إبليس صـ 127 .

في الساقة كان في الساقة ، وإن كان في الحراسة كان في الحراسة »[1] .

وحسبنا أن نتعطر فى هذا بحديث خالد الذى عزل عن قيادة الجيش ، وهو بعد القائد المظفر ، وعمل تحت قيادة أبى عبيدة - رضي الله عنه - . دون تذمر أو تململ وكان نعم المشير والمعين .

قف !!

إنما تنجح الفكرة إذا قوي الايمان بها ، **وتوفر الإخلاص في سبيلها** ، وازدادت الحماسة لها ، ووجد الاستعداد الذي يحمل علي التضحية والعمل لتحقيقها .

لو

* لو كان أساس إيماننا قلب ذكي يرتقي بالطاعة لأثمرت حركتنا وسط الناس .
* لو كان أساس إخلاصنا فؤاد نقي يبتغي الأجر والمثوبة من الله لنجحت أفكارنا .
* لو وافق حماسنا شعور قوي لم يستخفنا الذين لا يوقنون ولم يستفزنا الشر القريب .
* لو نبض عملنا من عزم فتي لصرنا بحق عماد نهضة الأمة وسر قوتها ولصدق فينا قول ربنا .

﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ الكهف : 13

تقدَّم !	**لتنجح الفكرة .. نحتاج إلي :** * الإيمان * الحماسة . * الإخلاص * العمل .

(1) رواه البخارى .

*** آفات تبرز الدلائل :**

ونوصى الشباب بوصية موفق الدين البغدادى ـ رحمه الله ـ إذ يقول :

« أوصيك ألا تأخذ العلم من كتب وإن وثقت بنفسك من قوة الفهم ، ينبغى أن تكثر من اتهام نفسك ولا تحسن الظن بها ، واعرض خواطرك على العلماء وتثبت ولا تتعجل ، فمع العجب العثار ، ومع الاستبداد الزلل .

ويقول الأستاذ (فتحى يكن) فى مشكلات الدعوة والداعية :

« فهناك غرور العلم ، وهو أشد أنواع الغرور على الإطلاق ، ودعاة الإسلام أكثر تعرضاً للإصابة بجرثومة الفتاك .

فالخطابة والكتابة والتعليم والتوجيه وسواها من وسائل الدعوة ، فضلاً عن الشهادات والدرجات العلمية والألقاب الجامعية فإنها تعتبر من أوسع مداخل الشيطان إلى النفس البشرية ، لأنها مجلبة للشهرة ملفتة للنظر مثيرة للإعجاب ، وفى هذا ما فيه من عوامل الإشباع والإملاء لرغائب النفس وجوعاتها البشرية .

وهذا ما لفت الرسول (ﷺ) النظر إليه بقوله « آفة العلم الخيلاء »

« فعلى دعاة الإسلام أن يحاسبوا أنفسهم دُبر كل حديث ألقوه أو خطاب ارتجلوه أو مقال كتبوه أو اجتماع أداروه ، ليطمئنوا إلى أن مشاعر العجب وأحاسيس الكبر لم توقظها طلاقة لسان أو حسن بيان أو مظاهر إعجاب واستحسان . . »

« إن على دعاة الإسلام أن يغالبوا جداع المظهر باعتماد الجوهر ، فالشكل الحسن واللحية المهيبة واللباس الأنيق والعمامة الكبيرة والجبة الفضفاضة وسواها من المظاهر قد تكون عامل غواية ومنفذاً من منافذ الشيطان إلى النفس البشرية وبخاصة

إذا قوبلت من الآخرين بالاستحسان والمديح والإطراء والإطناب والإعجاب وهنا تكمن الحكمة فى قول الرسول (ﷺ) : « **لقد قصمت ظهر أخيك** »[1] .

وهنا الآفات تبرز الدلائل ، ألا فليحذر الدعاة لأن آفة العجب تبرز دلائل انتفاء الإخلاص

فالله تعالى قال : ﴿ **فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى** ﴾ (النجم : 32) .

كيف نتحلى بالإخلاص ؟

كيف نتحلى بالإخلاص ؟!

كى نصل إلى هذه المرتبة السامقة ليستقيم السبيل ، وتنجح الأفكار ، وهذا الانطلاق الفريد مبعثه فؤاد نقى . فإن هناك أمور تعين على اقتفاء هذا الطريق ونحن فى أشد حاجة إلى تحرير النفس من حظوظها ، وتنقية دواعيه من الشوائب الذاتية والأهواء المعلولة والمطامع المستورة ، ومن هذه المعينات :

(1) الارتكان إلى قوة عظمى :

وهنا لابد من الاستعانة بالله تعالى ، فمنه وحده العون والمدد ، وبيده التوفيق وإليه يرجع الأمر كله ، وليس أمامنا من باب نفزع إليه إلاباب الله تعالى ، نطرقه بالدعاء ، ونسأله من فضله ، وهو أهل الإجابة وهو بها جدير وهنا ليس لنا قوة نستمد منها الطاقة والحركة إلا معين السجود والتذلل والتعبد لله ـ عز وجل ـ وأن نحس دوماً بالضعف والفقر والحاجة إلى الله وعونه ـ وأن نتبرأ من كل حول وقوة ونرد كل خير وتوفيق إليه سبحانه .

فإذا لم يعينك الله فيما تريده ... فليس لمخلوق إليك سبيل
وإذا هو لم يرشدك فى كل مسلك ... ضللت ولو أن السماء دليل

---

(1) مشكلات الدعوة والداعية / الأستاذ فتحى يكن / مؤسسة الرسالة صـ191 ، صـ194 .

(2) صحبة الإخلاص هم الدثار :

ومما يعين على الإخلاص صحبة أهل الإخلاص ومعايشتهم ، والحياة بين رحابهم ، فإن التأسى بهم صلاح ، والتشبه بهم فلاح .

والشباب بحاجة لأن يلقى بنفسه فى أحضان إخوانه ، يتعلم منهم ، ويزكون نفسه ، ويطهرون قلبه ، فمثل الأخوين كمثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى والشيطان من الواحد أقرب ومن الأثنين أبعد ، والمرء قليل بنفسه كثير بإخوانه والجماعة قوة على الطاعة ، وعون على الحماية من المعصية .

(3) وفى سير المخلصين زاد :

ومما يعين على الإخلاص ويبعث عليه : قراءة سير المخلصين ، للاهتداء بهم واقتفاء أثرهم ، وفى تاريخنا نماذج لا تعد ولا تحصى ، لايملك من يقرؤها إلا أن يتأثر بهم ، فلننظر فى سير أقوام عاشوا لله ، فخلد الله ذكرهم فى الدنيا وأعظم منزلتهم عنده فى الآخرة ، ليكون ذلك حافزاً لنا على التشبه بهم ، والتأسى بأعمالهم ، ولله در القائل . .

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالرجال فلاح

(4) نحذر فضيحة على رؤوس الأشهاد :

ومن أهم ما يعين على التحلى بالإخلاص أن نعلم علماً نستيقنه فى أعماقنا بأهمية الإخلاص وضرورته ، وثمراته الدنيوية والأخروية وأن نعلم سوء عاقبة المرائين وفضيحتهم على رؤوس الأشهاد ، قال (ﷺ) : « **من سمع سمع الله به ، ومن يرائى يرائى الله به** » (1) .

(1) متفق عليه .

ويقول سفيان الثورى : « إن العبد ليعمل العمل فى السر فلا يزال به الشيطان حتى يتحدث به ، فينتقل من ديوان السر إلى ديوان العلانية » .

وانظروا إلى حذر هؤلاء الأقوام الذى حاسبوا أنفسهم على الأنفاس ، فعن الحسن البصرى ، أنه وعظ يوماً ، فتنفس رجل فى مجلسه .

فقال الحسن : « إن كان لله تعالى فقد شهرت نفسك ، وإن كان لغير الله فقد هلكت »(1) .

ولخوف الرياء أن يتسرب إلى النفوس ، ستر الصالحون أعمالهم حذراً من فضيحة على رؤوس الأشهاد ، فكان ابن سيرين يضحك بالنهار ويبكى بالليل .

الإمام الشهيد حسن البنا يضرب المثال :

فذات يوم ذهب الإمام الشهيد إلى مؤتمر بالمنزلة دقهلية وبعد الفراغ من المؤتمر ، والذهاب إلى النوم ، توجه الإمام وفى صحبته الأستاذ (عمر التلمسانى) إلى حجرة بها سريران ، ورقد كل على سريره .

وبعد دقائق قال الأستاذ : أنمت يا عمر ؟ قال : لا .

وتكرر السؤال . وتكرر الرد .

وقال الأخ عمر فى نفسه إذا سأل فلن أرد .

وظن الأستاذ أن الأخ عمر قد نام .

فتسلل على أطراف أصابعه ، وخرج من الحجرة ، وأخذ نعليه فى يده ، وذهب إلى دورة المياه حافياً حيث جدد الوضوء ، ثم اتجه إلى آخر الصالة ، وفرش سجادة ، وأخذ يتهجد(2) .

(1) تلبيس إبليس صـ 247 .
(2) مائة موقف من حياة المرشدين / 11 لمحمد عبد الحليم حامد .

بركات الإخلاص

ولهذا الإخلاص بركات . .

عندما يتحقق الإخلاص فى حياة الدعاة . . فإن له بركات عظيمة ولا غرو أن يجعله الإمام الشهيد ركن يبايع عليه ومقوماً من مقومات نجاح الأفكار ومن هذا البركات .

* **طمأنينة القلب** ، وانشراح الصدر ، وسكينة النفس ، واستراحة الفؤاد فى هجير الدنيا الموحشة فقد اجتمعت همة الإنسان المخلص فى غاية واحدة هى رضا الله عز وجل فلا تتعدد المسالك وتتيه الدروب كما ضرب الله عز وجل المثل لذلك فى القرآن الكريم .

قال عز وجل : ﴿ **ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ** ﴾[1] .

ومن بركاته : أنه يمنح الداعية قوة دافقة بالحيوية والهمة العالية تجعله يستمر فى العمل ولا يتوقف ، فإن الذى يعمل للناس ولشهوة البطن أو الفرج يكف إذا لم يجد ما يشبع شهوته ، والذى يعمل أملاً فى سبيل شهرة أو منصب يتراخى ويتثاقل إذا لاح له أن هدفه صعب المنال . .

لذا حرص الإمام الشهيد على تنقية الصف لتثمر فيه بركة الإخلاص فقال : « وإن كان فيكم مريض القلب ، معلول الغاية ، مستور المطامع ، مجروح الماضى فأخرجوه من بينكم فإنه حاجز للرحمة حائل دون التوفيق » .

---

(1) سورة الزمر (29) .

لذا لن تثمر شجرة الإخلاص بركة إلا مع العاملين لله تعالى فما كان لله دام واتصل ، وما كان لغيره انقطع وانفصل .

وإذا كان الإخلاص شجرة لها ثمار فلقد روى الإمام الشهيد حسن البنا هذه الشجرة فى نفوس شباب الدعوة ورجالها فأثمرت نماذج فريدة .

* من ثمارهم تعرفونهم :

وهذا الأستاذ (عمر التلمسانى) المرشد العام الثالث لجماعة الإخوان المسلمين غرسٌ من غراس البنا عقدت إحدى المجلات الدينية ندوة دعت إليها الأستاذ عمر فلبى الدعوة .

ثم قدم إليه موظف ورقة وطلب منه التوقيع عليها

فقال الأستاذ : ما هذا ؟

قال : هذا مقابل حضورك الندوة .

قال : لو كنت أعلم أن الدعوة إلى الله تدفعون لها مقابل لما حضرت .

قال : مصاريف الركوب والانتقال .

قال : عندى سيارة أعدها الإخوان لمثل هذه الأمور .

قال : ولكنهم جميعاً يأخذون .

قال : أنا لست هذا الجميع ، أنا رجل على باب الله ، وانصرف دون قبض أو توقيع [1] .

أرأيتم يا شباب . .

هل تجتنون من الشوك عنباً أو من الحسك تيناً . .

---

(1) مائة موقف من حياة المرشدين / 139 لمحمد عبد الحليم حامد .

يقول عيسى عليه السلام :

هكذا كل شجرة جيدة تصنع أثماراً جيدة . وأما الشجرة الرديئة فتصنع أثماراً رديئة . لا تقدر شجرة جيدة أن تصنع أثماراً ردية ولا شجرة ردية أن تصنع أثماراً جيدة . . كل شجرة تصنع ثمراً جيداً تقطع ثم تلقى فى النار فإذا من ثمارهم تعرفونهم[1] .

نور موصول بالله :

ومن بركاته : أنه يجعل بين العبد وبين الله تعالى نوراً موصولاً ، ومودة لا تنقطع ومكانة تؤهله لأن يكون مستجاب الدعوة ، فيجاب له القدر بقدره من يقول للشيء كن فيكون .

قال الحريرى : يروى عن أحد الصالحين : كان عبد الله بن شقيق مستجاب الدعوة كانت تمر به السحابه فيقول : اللهم لا تجوز كذا وكذا حتى تمطر . . فلا تجوز ذلك الموضع حتى تمطر[2] .

وركب أبو ريحانة البحر يوماً وكان يخيط فيه بإبرة معه فسقطت إبرته فى البحر فقال : عزمت عليك يارب إلا رددت عليّ إبرتى فظهرت حتى أخذها .

وكذلك يا شباب كان لإمامنا الشهيد من بركات هذا الإخلاص دلائل على أن بينه وبين الله تعالى نوراً موصولاً ، ومودة لا تنقطع ، يقول الإمام الشهيد فى مذكراته :

« إن من فضل الله تبارك وتعالى أنه يطمئن ويسكن نفوس عباده ، وإذا أراد شيئاً هيأ له الأسباب .

فلا زلت أذكر أن ليلة امتحان النحو والصرف للإلتحاق بدار العلوم ، رأيت

(1) نجم الدعاة د/ توفيق علوان/ 20 ط/ 1997/ دار الوفاء .
(2) أدب الدنيا والدين/ للماوردي/ باب الإخلاص .

فيما يرى النائم أننى أركب زورقاً مع بعض العلماء الفضلاء فتقدم أحدهم وقال لى :

أين شرح الألفية لابن عقيل ؟

فقلت : ها هو ذا .

فقال : تعال نراجع فيه بعض الموضوعات .

هات صفحة كذا ، وصفحة كذا . . وأخذت أراجع موضوعاتها .

وفى الصباح جاء الكثير من الأسئلة حول هذه الموضوعات فكان ذلك تيسيراً من الله تبارك وتعالى والرؤيا الصالحة عاجل بشرى المؤمن والحمد لله رب العالمين[1] .

معية الله سبحانه وتعالى :

ومن بركاته : أن معية الله عز وجل تصاحب المخلص ، وهذه المعية زاده عندما تدلهم الخطوب أو تحيط به الشدائد والكروب ، وفى قصة الثلاثة أصحاب الغار خير شاهد على بركة الإخلاص . .

قال قتاده السدوسى : « من يتق الله يكن الله معه ، ومن يكن الله ـ عز وجل ـ معه ، فمعه الفئة التى لا تغلب ، والحارس الذى لا ينام ، والهادى الذى لا يضل »

وإذا العناية لا حظتك عيونها . . نم فالمخاوف كلهن آمان

اقبال الخلق عليه :

ومن بركاته : إقبال الخلق على الداعية المخلص ، وحبهم له ، والتفافهم حوله لأن الله تعالى قد أحبه ، وبذلك يمكن له فى قلوب عباده ، ويضع له القبول فى الأرض ، وبدل أن يشغل الداعية نفسه فى التحايل على الناس لانصرافهم عنه ،

(1) مذكرات الدعوة والداعية صـ 47 ، 48 .

عليه أن يقبل على الله تعالى ويصلح ما بينه وبينه ، فيصلح الله تعالى ما بينه وبين الناس ليس هذا فحسب يا شباب بل تلوح أمام ناظرى قوله لبديل العقيلى : من أراد بعلمه وجه الله عز وجل أقبل الله عليه بوجهه ، وأقبل بقلوب العباد إليه ، ومن عمل لغير الله عز وجل صرف الله عنه وجهه ، وصرف قلوب العباد عنه »[1] .

الإقبال على الطاعة :

ومن بركاته : أن يجعل صاحبه يقبل على الطاعة بحب وشغف ، بل وأكثر من ذلك أنه يقويه عليها ، فيقوم بمالا يستطيع أن يقوم غيره به ، فنجد المخلص يقف الليل الطويل بين يدى مولاه لا يشعر بتعب أو نصب بل تغمره لذة الأنس بمولاه ، هذه اللذة وصفها أحد الصالحين فقال :

« إنا لفى سعادة لو علمها الملوك لجالدونا عليها بالسيوف » وهذه الفيوضات قوة آخرى مانحة لأصحابها زاداً لتحمل مالا يصدق أنه يستطيعه بشر » .

لذا قال أحد الصالحين : « إن الله عز وجل جعل قوة المؤمن فى قلبه ، ولم يجعلها فى أعضائه ، ألا ترون أن الشيخ يكون ضعيفاً يصوم الهواجر ويقوم الليل ، والشاب يعجز عن ذلك » !!

سمت الجلال والوقار :

ومن بركاته : أن الإخلاص يضفى على صاحبه سمت الجلال والوقار ، ويجعل له نوراً يمشى به بين الناس ، ولا غرو فى ذلك فهو فى رحاب الأنس بالله فيكسوه الله من بهائه ، قال (عبد العزيز بن عمير) : ترى نور الجلال عليهم وأثر الخدمة بين أعينهم . . إن الرجل لينقطع إلى بعض ملوك الدنيا فيرى أثره عليه ، فكيف بمن ينقطع إلى الله عز وجل ، كيف لا يرى أثره عليه » .

---

(1) مقومات الداعية الناجحة . بحث غير منشور .

وأكثر من هذا يا شباب . . إذا كان الإخلاص سمتنا يجعل الله مجرد رؤيتنا سبباً فى هدايه الخلق وطاعتهم لله تعالى .

قال (أبو سليمان الدارانى) : « كنت أنظر إلى الأخ من إخوانى بالعراق فأعمل على رؤيته شهراً » وهذا من فضل الله عز وجل الذى كسا المخلصين من نوره ومن جلاله بهاءاً ونوراً .

التأثير فى الناس :

ومن بركاته : التأثير فى الناس ، ألا ترون يا شباب الكثير من الدعاة يتحدث إلى الناس حديثاً منمقاً عذباً ولكنه لا يجد لحديثه وقعاً فى القلوب ، أو صدى فى الأعمال ، ولما سئل أحد الصالحين فقيل له : ما بال السلف كان كلامهم أنفع من كلامنا ؟ قال : لأنهم تكلموا لعز الإسلام ، ونجاة النفوس ، ورضا الرحمن ، ونحن نتكلم لعز النفوس ، وطلب الدنيا ، ورضا الخلق .

وأعجب بهذا الفهم وتلك الحقيقة التى ينبغى أن نقف عندها كثيراً لما استمع أحد الصالحين لإمام يخطب فلم يتأثر بحديثه ، فلما انتهى قال له : يا هذا رحمك الله إن بقلبك لشراً أو بقلبى .

وفى نهاية حديثنا عن الإخلاص تبقى لنا كلمة . . وهمسة فى آذان شبابنا . .

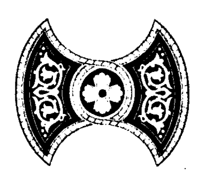
إذا كنا نسير فى طريق الدعوة فلنجعل زادنا هو الإخلاص لله تعالى ، لأن كل الناس هلكى إلا العالمون ، والعالمون كلهم هلكى إلا العاملون والعاملون كلهم هلكى إلا المخلصون ، والمخلصون على خطر عظيم » .

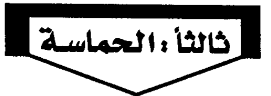
وما دامت هذه مكانة الإخلاص وتلك ثمراته ، فلتستحضره قبل ومع كل قول أو عمل ، ولنذكره فى كل موطن وحال ، ولنحاسب أنفسنا عليه فى كل وقت وحين ، ولنحذر مسارب الشيطان إلى القلوب .

« ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب »

وصدق الله إذ يقول ﴿ أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ .

* * *





ثالثاً : الحماسة

الحماسة فى فكر مدرسة حسن البنا :

« الحماسة لب دعوتنا فهى فكرة وعقيدة نقذف بها فى نفوس الشباب ليتربى عليها الرأى العام وتؤمن بها القلوب وتجتمع عليها الأرواح : فالحماسة هى العمل المتقد بالحيوية والنشاط المفعم بالتضحية الغالية بكل شىء من أجل هذا الدين والحركة به فى كل نواحى الحياة . .

ولسنا فى هذا بدعاً من الدعوات بل دعوتنا صدى من الدعوة الأولى يدوى فى قلوب هؤلاء المؤمنين ويتردد على ألسنتهم ، ويحاولون أن يقذفوا به إيماناً فى قلوب الأمة المسلمة ليظهر عملاً فى تصرفاتها وهداهم سواء السبيل . .

وهذه بعض النماذج المشرقة للحماسة المرجوة فى جيل النصر المنشود للرعيل الأول من صحابه المصطفى (ﷺ) .

مفهوم الحماسة :

الحماسة شعور قوى يبعث فى نفس صاحبه حركة تترجم هذا الشعور المتأجج إلى عمل فهو بمثابه إفراغ للطاقة التى تولدت جراء هذا الشعور الذى انتاب صاحبه لتأثره بموقف ما بيد أننا نريد أن نقول أن الحماسة فى معاجم اللغة تشير فى دلالة واضحة إلى القوة ، و الإقدام ، والشجاعة ، وكلها صفات محمودة إذا كانت فى مسارها الصحيح ومنضبطة دون إفراط أو تفريط والحماسة المحمودة وسط بين الشجاعة والتهور ، ومزيج من النخوة والإقدام .

وبمعايشة اللفظة نفسها تراءى لى بعض المعانى فى ثنايا اللفظة وهى أنها تحوى فى حروفها اختصار لخمس كلمات تشير إلى بناء الكلمة وهو تأويل أراه محموداً

فهى تحوى (الحركة ـ المنضبطة ـ المتزنة ـ السريعة ـ الهادفة » فلا قيمة لشعور لا يترجم إلى حركة تدل على ما تضطرم به النفس من أحاسيس ومشاعر .

وليست هذه الحركة تسمى حماسة إذا كانت غير منضبطة بل تسمى اندفاعاً وما لم تكن متزنة فهى هوجاء لا تثمر بل تطيش وتحمد الحماسة فى سرعة مواكبتها للأحداث واغاثة الملهوف ونصرة المظلوم ورفع راية الحق ورد الغاصبين ومواجهة الباطل ، وبعد . . فأنعم بها إذا كانت هادفة وليست رد فعل بل لها ضوابط ومسار وصادرة عن فكرة ومبعثها شعور قوى وهى فى فكرنا من مقومات نجاح الأفكار وإحدى خصائص الشباب .

الحماس لغة :

والحماس أو الحماسة هو : القوة والشجاعة ، وهو المطلوب لدينا فى هذا المجال الأخلاقى الذى نحن بصدده .

ومن معانى الحماس : التشدد فى الأمر والتصلب فيه ، وهو بهذا المعنى مرفوض مطلقاً ، وتأصيل رفضه شرعياً أن رسول الله (ﷺ) نهى عن التشدد والتعنت والتنطع .

فقد روى الإمام أبو داود بسنده ، عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « **لا تشددوا علي أنفسكم فيشدد عليكم ، فإن قوما شددوا علي أنفسهم ، فشدد عليهم ، فتلك بقاياهم في الصوامع والديار ، رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم** » [1] .

وروى الإمام البخارى بسنده « **لن يشاد الدين أحد إلا غلبه** » [2] .

وإنما نعنى بالحماس هنا : أخذ الأمور بجدية وقوة ونشاط وتجاوب ، وشجاعة فى مواجهه معوقات العمل الإسلامى .

---

(1) الإمام أبو داود : سننه : باب الأدب .
(2) الإمام البخاري : صحيحه : باب الإيمان .

وإن فقد الحماس بهذا المعنى فى العمل أى عمل ، يؤدى إلى الإبطاء والتوانى بل إلى الاتكالية وإلقاء التبعية على الآخرين ، كما يؤدى إلى السلبية والانعزال عن العمل .

وكل ذلك مُضيّع للفرص التى تثرى العمل ، وترشده ، وتصل به إلى هدفه من طريق لا حب [1] ، بل ربما كان فى فقد هذا الحماس ، تضييع للعمل نفسه ، فضلاً عن العاملين ، وما يفقدون من صفات أساسية وجوهرية للنجاح .

كما نود أن ننبه إلى أن الحماس شىء ، والتعجل فى العمل ، وفى الوصول إلى النتائج بسرعة ، شىء آخر .

وأن الحماس شىء ، والتهور والجيشان غير المنضبط ، شىء آخر كذلك . فالتعجل لا ينضج ثمرة ، ولايدنى من هدف ، والتهور يضيع الهدف ، ويخيب المسعى والعياذ بالله [2] .

والحماسة التى نعنيها ـ والتى صاغتها مدرسة الإمام الشهيد حسن البنا ، لها متطلبات أساسية لابد من الإشارة إليها على النحو التالى :

(1) الإخلاص لله فى العمل ، وابتغاء مرضاته .

(2) الصدق فى العمل ، ومراقبة الله تعالى منه .

(3) الإيمان بضرورة العمل ، وأهميته بالنسبة للدين والدنيا ، وبالنسبة للدعوة فى مراحلها المتعددة .

(4) فهم العمل والمعرفة الدقيقة لأبعاده .

(5) حب العمل والإقبال عليه .

---

(1) لاحب : اللحب : الطريق الواضح ، كالآحب ، والملحَّب ، كمعظم .
(2) فقه الدعوة إلي الله جـ 1 ، د/ علي عبد الحليم محمود صـ 405 : 406 .

(6) النشاط فى العمل ، وهجر الكسل والتواكل .

(7) الشجاعة والقوة فى ممارسة العمل ، وفى مواجهة المعوقات التى تعترض طريق العمل ، دون خوف أو تردد ، مع العلم المسبق ، بأن المعوقات كثيرة ، وبأن المعوقين أقوياء ، وأن لهم من الحيل ، ما يحتاج إلى فطنة المؤمن وكياسته وحكمته وحماسته ، فى مواجهة هذه المعوقات .

بواعث الحماسة :

طغيان الكفر وتجبحه

جذوة الحق الخامدة فى النفوس تتقد فتلتهب المشاعر بالحماسة . .

وهذا ما وقع فى حادث إسلام (حمزة)أسد الله الذى احتمل الغضب لما أراد الله به من كرامته فخرج يسعى لم يقف لأحد لما بلغه أن أبا جهل مر برسول الله (ﷺ) فآذاه وشتمه ، ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه والتضعيف لأمره ، وأسرع حمزة الخطى معداً لأبى جهل إذا لقيه أن يوقع به ، فلما دخل المسجد نظر إليه جالساً فى القوم ، فأقبل نحوه حتى إذا قام على رأسه دفع القوس فضربه بها فشجه شجة منكرة ثم قال : أتشتمه ؟ فأنا على دينه أقول ما يقول ، فرد علىّ ذلك إن استطعت وإزاء هذه الحماسة يدفع أبو جهل رجال بنى مخزوم الذين قاموا لنصرته قائلاً : دعوا أبا عمارة فإنى والله قد سببت ابن أخيه سباً قبيحاً « ونلاحظ هنا أن العصبية الجاهلية المحضة هى التى حركت حمزة لهذا الموقف . فلم تستطع أعصابه أن تتحمل هذا الاعتداء على ابن أخيه محمد رسول الله ، وأخيه من الرضاعة . إن الوقاحة التى بلغتها الجاهلية تجاوزت حدودها ، فطف الصاع عند حمزة ، ومضى يشج رأس أبى جهل ولتكن النتائج ما تكون »[1] .

وهنا نرى كيف أن طغيان الكفر وتبجحه ، وتحديه للإسلام ، قد يخرج من

(1) المنهج الحركي للسيرة النبوية / منير الغضبان ط دار الوفاء صـ 61 .

صفوف هذا الكفر القوة والحماسة التى تحمى الإسلام ، وتذود عن عرينه ، بدافع العصبية أو غيرها ، بيد أن هنا إشارة فى الحدث تشير إلى أن الحماسة التى تولدت فى نفس الحمزة صنعتها الأحداث والحركة الإسلامية الواعية هى التى ترصد هذه الأحداث بيقظة ووعى وتستغل الحدث أروع استغلال وتذكى به الحماسة فى نفوس الشباب وهذا ما أشعل الحماسة فى نفس الحمزة بوصف مولاة ابن جدعان الحدث الذى دار بين أبو جهل والرسول (ﷺ) أحسن وصف فقذفت بنفس حمزة الهائجة إلى إذلال أبى جهل وتسربله بالدم وكان من الممكن لهذه الجذوة أن تنطفىء لولا أن اتصلت بمعين النبوة ، واستمدت من نوره ، فبقيت مشعلاً إسلامياً على مدار التاريخ .

ولنا هنا وقفه فالحماسة لابد أن تستمد حركتها من مشكاة الدعوة ومعينها فلا تقلب الأحداث رأساً على عقب بل تنصر الفكرة وتعز الدعوة وترفع الراية والحق له أثر فى النفوس ذات الفطرة السليمة وله جذوة سرعان ما تشتعل فما علينا إلا نستثمر هذه الشعل ، وهناك نموذجان للحماسة من حوادث الحركة الإسلامية المعاصرة صنعتهما الجاهلية وصارت الحماسة فيهما شعلاً مضيئة للحركة وللدعوة وليست حارقة لها [1] .

النموذج الأول : يوم حالت قوات الحكومة المصرية بين الناس وبين جنازة الإمام الشهيد حسن البنا فى إرهاب مجرم عنيف ، هذا الإرهاب الذى تجاوز الحد وطغى ، حدا بزعيم القبط آنذاك أن يتحدى كل طغيان الحكومة ويخترق الصفوف وينضم لأهل الإمام الشهيد فيشارك معهم فى تشييع الجنازة ، وحفظ التاريخ لمكرم عبيد ـ الزعيم الخصم ـ هذا الصنيع .

---

(1) المنهج الحركي للسيرة النبوية / منير الغضبان (بتصرف)

النموذج الثانى :

وهو الحدث الذى لم يكن يقل أثره عن إسلام حمزة فى عهد الرسول (ﷺ) وهو على أثر استشهاد البنا ـ رحمه الله ـ كان الحدث هو : جنون الغرب ، وفرحه الطاغى باستشهاد هذا الرائد العظيم ، حتى يبيت القوم سكارى فرحاً وطرباً فى فنادق أمريكا ، هذا التحدى الطاغى والاستفزاز الرهيب لمشاعر الكاتب المصرى ـ سيد قطب ـ كان كفيلاً أن يشعل ويضرم نار الحماسة فى مشاعر هذا العبقرى صاحب الفطرة النقية ليصبح مجاهداً فى خندق الحركة الإسلامية وينصر الله تعالى به هذا الدين كما نصر هذا الدين من قبل بالحمزة ، ويقضيان معاً شهيدين على خط واحد ، سيد الشهداء حمزة ، ورجل قام إلى إمام جائر ، أمر فنهاه فقتله والحماسة الثائرة فى كلا النموذجين صنعتها المواقف وترجمت إلى واقع عملى وأثمرت أثراً وإن كان فتيل إشعالها طغيان الباطل وهذا الطغيان أحد بواعث الحماسة .

نماذج الحماسة

(1) يتحمس أبو ذر فتسلم غفار :

هذا الأشعث الأغبر ، أصدق الناس لهجة ، الماشى وحده ، القادم على ربه وحده ، والمبعوث يوم القيامة وحده يسلم ويتصدر ـ قافلة الموحدين لله فيكون رابع أربعة ملأ فيض الإيمان جوانحهم بهدى السماء ينطلق صادحاً بالحق فى معاقل الجاهلية وسط طنطنة السيوف بين الحجر والمقام متعلقاً بأستار الكعبة هازءاً بصناديد قريش مناديا بأعلى صوته (أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله) وثارت ثائرة الكفر الأهوج فضربوه حتى أضجعوه فلم يسلمه من أيديهم سوى صرخة العباس : ويلكم ألستم تعلمون أنه من غفار ، وأكب عليه العباس فأنقذه منهم وانطلق به على رضي الله عنه حتى دخل على النبى (ﷺ) ودخل معه ، فسمع من قوله وأسلم مكانه وأتى النبى (ﷺ) على هذه الحماسة يهدهدها ويقوم مسارها ويستثمر

هذ النار المضطرمة فى نفس صاحبنا ويوظف هذا الشعور القوى والعزم الفتى فيقول له (ﷺ) :

« إني قد وجهت إلي أرض ذات نخل لا أراها إلا يثرب ، فهل أنت مبلغ عني قومك ؟ عسي الله أن ينفعك بهم وبما حرك فيهم » (1) .

وفى رواية : **« ارجع إلي قومك فأخبرهم حتي يأتيك أمري »**

فتترشد النار المضطرمة التى كانت من قبل تصيح فى جنبات الجاهلية : والذى نفسى بيده لأصرخن بها بين ظهرانيهم إلى دعوة رشيدة إلى الله على بصيرة وتأتى غفار مسلمة لله فيدعو لها الرسول (ﷺ) **« غفار غفر الله لها . . . »** .

ليس هذا فحسب بل تأتى قبيلة أسلم فتقول : يا رسول الله أخوتنا ، نسلم على الذى أسلموا عليه فأسلموا فقال رسول الله (ﷺ) : **«وأسلم سالمها الله »** .

(2) حماسة تعلن العزة :

إن الشخصية الفذة لها سمات وقدرات على مواجهة الباطل ، ولا يكون حماسها اندفاعاً أهوج بل إعلان للعزة ، وليست كل الشخصيات تملك المؤهلات المكافئة لتثمر حماستها تغييراً منشوداً أو أثراً محموداً وليس إسلام عمر حماسة هوجاء بل كان إسلامه خطاً جديداً فى الدعوة وإعلانا لبداية مرحلة وانتهاء أخرى ولم يكن الأمر عبارة عن حدث عارض كما ذكر صهيب بن سنان رضي الله عنه :

« لما أسلم عمر ظهر الإسلام ، ودعى إليه علانية ، وجلسنا حول البيت ، وطفنا بالبيت ، وانتصفنا ممن غلظ علينا ، ورددنا عليه بعض ما يأتى به » وقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : « ما كنا نقدر أن نصلى عند الكعبة حتى أسلم » . . وقال : « مازلنا أعزة منذ أسلم عمر » .

---

(1) صحيح مسلم : « وجهت لي أرض » 44/ 32 حديث 128 أى رأيت جهتها .

إن إسلام عمر وحماسته ومن قبلها إسلام حمزة ـ رضى الله عنهما ـ هو بمثابة انقلاب عسكرى فى وقتنا الحاضر وحماسة من كليهما منقطعة النظير تتناسب مع طبيعة كلاً منهما ، هذا الإنقلاب وتلك الحماسة هيأت للدعوة الإسلامية الناشئة مناخاً جديداً للدعوة والعبادة . وهذه النقطة بحاجة إلى أن نقف عندها قليلاً لنراعى مرحلية هذا المنهج الخالد [1] .

يقول صاحب المنهج الحركى : « إننا نجد ثورة عارمة من الشباب الإسلامى اليوم ، لو أن انقلاباً عسكرياً قام وهيأ الحرية للدعوة والعبادة ، كمرحلة إلى الهدف النهائى ، إقامة دولة الإسلام فى الأرض ، والحكم بشريعة الله عز وجل .

لم يستطع الانقلاب الذى قام به حمزة وعمر ـ رضى الله عنهما ـ أن يحقق دولة الإسلام فى الأرض . لقد بقيت الأصنام والأوثان ، وبقى الخمر والزنا ، وبقيت معالم الجاهلية كاملة لم يزل منها معلم واحد ، مع كل هذه الحماسة منقطعة النظير ، ومع ذلك اعتبر إسلامهما فتحاً جديداً ، وعزة عظيمة ، لأنه خطا بالدعوة من مرحلة الخوف والاضطهاد والتعذيب إلى مرحلة العلنية والحرية فى العبادة .

والشباب المتحمس اليوم يرى فى هذه الخطوة تخاذلاً وتخلياً عن حاكمية الله فى الأرض ، حيث إنه يقدم الدماء اليوم للوصول إلى هذا الهدف ، بل يتهم قيادة الحركة الإسلامية بالتواطؤ والجهل والخيانة ، لأنها لم تحقق هذا الهدف : إقامة شريعة الله فى الأرض .

وحين تكون الظروف لا تهيىء أكثر من هذه الخطوة على الهدف ، تهيئة الجو الملائم لانتشار الدعوة وانتصارها ليصل إلى الحكم النهائى ، يتشنج بعض الشباب ، ويثير الحرب على قيادته ، بل يتهمها فى دينها وعقيدتها ، وبعد . . . فما أحوجنا أن نتأدب بأدب رسول الله (ﷺ) وأدب سيرته ، ونلحظ هذه المرحلية للوصول إلى

(1) المنهج الحركي للسيرة النبوية / بتصرف 64 .

الهدف النهائى ، والهدف النهائى مرتبط بالقوة والقدرة على تحقيقه وليس حماسة جوفاء هوجاء أو جهلاً أو غباءً أو انحرافاً عن دين الله عز وجل ،أ هـ . . .

وما أحوج شبابنا أن يفقهوا هذه المعانى ، وأن يتعلموا من سيرة الرسول (ﷺ) الخطوات العملية والأهداف المرحلية للوصول فيها إلى الهدف العظيم دون تعجل لقطف ثمرة قبل نضجها أو اقتطاف زهرة قبل أوانها ، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله .

أصحاب العقبة بين حماسة البيعة وحكمة النبوة :

والشرك غاف كالمقبور لا يدرى ما يجرى حوله اجتمع بضعة وسبعين من الأنصار ليبايعوا رسول الله (ﷺ) وتسللوا تسلل القَطَا مستخفين حتى اجتمعوا فى الشعب عند العقبة دون أن يشعر بهم أحد فبايعوه على السمع والطاعة فى المنشط والمكره والنفقة فى العسر واليسر والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وعلى ألا تأخذهم فى الله لومة لائم وعلى أن ينصروا الرسول (ﷺ) ويمنعوه مما يمنعوا منه أنفسهم وأزواجهم وأبناءهم ولهم الجنة .

فلما بايعوا الرسول (ﷺ) صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت سمعته قط : يا أهل (الجباجب) [1] ، هل لكم فى مذمم والصباه معه قد اجتمعوا على حربكم ؟ فقال رسول الله (ﷺ) : « **هذا أذب العقبة** ، [2] **أما والله يا عدو الله لأفرغن لك** » ووضع المبايعون أيديهم على مقابض السيوف ليستلوها من أغمادها أمام هذا النداء : (لئن شئت يا رسول الله لنميلن غداً على أهل منى بأسيافنا) .

ويأتى الجواب النبوى العظيم : « **لم نؤمر بذلك ولكن ارفضوا إلي رحالكم** » .

فكم الفرق بين معركة آنية يسقط بها هؤلاء السبعون شهداء استجابة لحماسة

---

(1) الجباجب : المنازل .

(2) أذب العقبة : شيطان العقبة .

طارئة، وانفعال هائج ، وبين المسئولية عن كل قطرة دم تسقط دون تخطيط ، وتسفح دون هدف ، إن دم المسلم أشد عند الله تعالى حرمة من الكعبة المشرفة، فكيف يسقط هذا الدم دون مقابل ؟!

وهنا درس عظيم يجب أن يفقهه المتحمسون من الشباب وهو « لابد من الإعداد للمعركة ، ولمّا تحن المعركة بعد ، فالنبى (ﷺ) هو الذى يحدد زمانها ومكانها ، وواجب الجنود أن تكون أيديهم فى كل لحظة على الزناد أو العتاد ، أما واجب القيادة فأضخم من ذلك بكثير ، أن تدرس آلاف الاحتمالات الناجحة أو الفاشلة لخوض المعركة ، لأن كل قطرة دم سوف تقف يوم القيامة على رأس هذه القيادة وتسألها ؛ فيم أرقت ؟ فماذا تجيب ؟ فلئن كان واجب الجندية أن تكون يدها على الزناد فى كل لحظة يطلب منها ذلك ، فأشد وجوباً عليها وألزم أن تدفع يدها عنه وتمضى إلى رحلها دون اعتراض .

« ولكن ارفضوا إلي رحالكم »

ما أجلاه من درس فى الحماسة المنضبطة ، وما أروعها من عبرة لحكمة النبوة تجاه حماسة أصحاب البيعة ؟!

الاستعداد لقتال الحجيج كافة (لنميلنَّ على أهل منى بأسيافنا) والإشارة الواحدة بالانصراف « **ارفضوا إلي رحالكم** » ويعود السبعون والنيف يتسللون كالقطا إلى أماكنهم التى انسحبوا منها فى الهزيع الأول من الليل ، ومن حولهم غارقون فى نومهم ، فيشاركونهم فى الشخير ، دون أن يدرى بهم أحد حتى من تسللوا من فرشهم وكانوا نياماً معهم [1] .

---

(1) المنهج الحركي للسيرة النبوية 128/ 130 (بتصرف) .

(3) حماسة نبى الملحمة :

« قذيفة من حديد خير من ألف قذيفة من كلام »

إن مئات المواعظ والخطب الرنانة لا تفعل فعل الشجاع الثابت الجأش ، وهو ينقض على صفوف الأعداء يقدم جنوده ليقودهم إلى النصر المؤزر ، ذلكم هو موقف القائد الأول محمد بن عبد الله (ﷺ) فى غزوة حنين حين كانت ساعاتها الأولى لثقيف وهوازن التى سبقت إلى صعيد المعركة ، واحتلت المضايق ، وانبثوا فى الشعاب والمواقع المنيعة ، وبادروا فى استقبال المسلمين بوابل من السهام ، وكانوا رماة لا يخطئون .

فارتاعت الصفوف المتقدمة من المسلمين لهذه المفاجأة المتكاثفة فنكصت كما ذكر الله ﴿ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾ (1) .

وانحاز النبى القائد ذات اليمين مناديا فى الناس فى حماسة وجسارة : « **هلموا إلي أنا رسول الله ، أنا محمد بن عبد الله** » .

ولنترك العباس ـ رضي الله عنه ـ يروى موقف الحماس النبوى فى غمار الملحمة يقول : « شهدت مع رسول الله (ﷺ) يوم حنين فلزمت أنا وأبوسفيان بن الحارث بن عبد المطلب رسول الله (ﷺ) فلم نفارقه ورسول الله (ﷺ) على بغلة بيضاء أهداها له فروة بن نفاثة الجذامى ، فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين ، فطفق رسول الله يركض بغلته قبل الكفار . قال عباس : وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله (ﷺ) أكفها إرادة ألا تسرع وأبوسفيان آخذ بركاب رسول الله (ﷺ) فقال رسول الله :

« **أى عباس ناد أصحاب السمرة** » فقال عباس : وكان رجلاً :ـ صيتاً ـ فقلت

(1) سورة التوبة (25) .

بأعلى صوتى : أين أصحاب السمرة ؟ يقول العباس : فو الله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتى عطفة البقر على أولادها فقالوا : يا لبيك يا لبيك » فكانت العاقبة نصر المؤمنين : ﴿ **ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ** ﴾ [1] .

وكان (ﷺ) أمنة للصحب الكرام :

فرغ أهل المدينة ذات ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله (ﷺ) راجعاً وقد سبقهم إلى الصوت وهو على فرس لأبى طلحة عرى فى عنقه السيف وهو يقول مهدئاً من روعهم « **لم تراعوا ، لم تراعوا** » .

يا شباب ها هو رسول الله (ﷺ) أشجع الناس قولاً وعملاً يحمل بين جوانحه قلباً نقياً وعزماً فتياً وشعوراً قوياً فضرب أروع الأمثلة للإقدام والحماسة فهو نبى المرحمة والملحمة صلوات ربى وسلامه عليه .

إن المتأمل ليقف متعجباً لهذه الحماسة النبوية ، ينطلق الناس قبل الصوت فيجدون إمامهم قد سبقهم بل قد رجع وهم فى بداية الانطلاق ، إن هذه الدعوة للحماسة مع قوارع القرآن هى التى استنهضت همة الأعمى كابن أم مكتوم ليصر على الجهاد ويحمل الراية ، الأعرج كعمرو بن الجموح ليطلب الجهاد بإلحاح قائلاً :

« إنى لأرجو أن أطأ بعرجتى هذه الجنة » فيقاتل حتى يقتل .

(4) حماسة لا تنقض همتها ولا تتراجع :

فى نفس صاحب الحماسة همة عالية وثابة لها عزيمة على الرشد تحدث عنها المولى عز وجلى ﴿ **فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ** ﴾ (آل عمران : 159) وفيها وفاء لا يعدو عليه غدر فهى من ﴿ **الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ** ﴾ (الرعد : 20) وهى

---

(1) سورة التوبة (26) .

كذلك صادقة منطوية تحت لواء قوله تعالى : ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾ .

وهذا الرسول (ﷺ) لما أشار الشباب عليه ـ قبل غزوة أحد ـ بالخروج إلى المشركين ومقاتلهم خارج المدينة نزل الرسول (ﷺ) على رأيهم وبعد أن صلى النبى (ﷺ) بالمسلمين ، دخل إلى منزله ، فتدجج بسلاحه ، فظاهر بين درعين ، ثم خرج على قومه بكامل عدته الحربية ، وأذن فيهم بالخروج إلى العدو ، وكان ذوو الرأى قد ندموا حين شعروا أنهم استكرهوا الرسول (ﷺ) على اتباع خطة لمقاتلة العدو ، كان يفضل غيرها ، فقالوا له : ما كان لنا أن نخالفك ، ولا نستكرهك على الخروج ، فاصنع ما شئت ، امكث كما أمرتنا » فلم يرض (ﷺ) أن ينقض همته وحماسته ، وقال لهم بكل إقدام « **ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته ـ أى : كامل سلاحه ـ أن يضعها ، حتي يحكم الله بينه وبين عدوه** » [1] .

الحماسة ونجاح الأفكار

الحماسة فى فكر الإمام الشهيد حسن البنا :

« **إنما تنجح الفكرة إذا .. ازدادت الحماسة لها . .** »

« . . . **وأساس الحماسة الشعور القوى . .** »

بمثل هذه الدعائم وهذا الانطلاق الفريد المرتكز على الإيمان ، والإخلاص ، والحماسة ، والعمل ، تنجح الأفكار وتنصر المبادىء والدعوات . .

والحماسة اللازمة لنجاح هذه الأفكار ليست غريزة عقائدية فطرية لا تخيب ولا تضل ، وليست إلهام صوفى ينجاب له الغيب من غشاء شفيف وكذلك ليست موافقات قدرية ماضية حتى تبلغ ما تريد .

لكن للحركة دعائم وأسس ومن هذه الدعائم : الحماسة التى مبعثها شعور قوى

(1) رواه الطبرى ، وأحمد والبيهقى ، وهو حسن بطريقه .

هـذا الشعور الذى يؤجج المشاعر يهدر فى فلوات وجنبات الدنيا . . « سنعلنها خصومة لا سلم فيها ولا هوادة معها حتى يفتح الله بينا وبين قومنا بالحق وهو خير الفاتحين » .

*** هل تحتاج الدعوة إلى الحماسة : ؟؟**

وهنا يبرز لنا سؤال : هل الدعوة تحتاج إلى الحماسة ؟!!

يقول الأستاذ / سعيد حوى فى (المدخل) : [1]

إن الدعوة تحتاج إلى شيئين بآن واحد :

(1) حماس قوى **(2) تحكم قوى فى هذا الحماس .**

« . . فالحماس وحده لا يغنى فى الدعوة ، والعقل وحده لا يُغنى . فلا يستخفنا الذين لا يوقنون ويستفزنا الشر القريب . والمتقدم عن الصف كالمتأخر عنه فى الصلاة ، والله لا ينظر إلى الصف المعوج نظرة رحمة . ولنعلم أن الإسلام جاء منهاجاً وبه انتظمت أمور الحياة ، ولا حياة لفرد إلا بمنهاج منظم ، فنظموا أنفسكم حتى تصلوا إلى مرتبة الرجل الصالح ، التى توجد بها عوامل النجاح جميعاً »

والإمام الشهيد عندما قال أن (أساس الحماسة الشعور القوى) أراد منا كشباب أن يكون :

(1) لكل منا خططه وبرامجه العلمية ينظم بها دراسته واطلاعه دافعه فى ذلك شعور قوى للتفوق والريادة لأمته فى مجال دراسته .

(2) وليكن لكل منا خططه وبرامجه السلوكية والعبادية ينظم بها صلته بربه ، دافعه فى ذلك شعور قوى ليفوز برضا المولى عز وجل ويفوز بالدرجات العليا من الجنة .

---

(1) المدخل إلى جماعة الإخوان المسلمين / سعيد حوى / 60 .

(3) وليكن لكل منا خططه وبرامجه المالية ينظم بها دخله ونفقاته ، دافعه فى ذلك شعور قوى لتنضبط علاقاته بالآخرين لأن الدين المعاملة .

فلابد للدعاة من حماسة منضبطة تحرك نفوسهم ومشاعرهم وقلوبهم لهذا الدين ، حماسة لإنقاذ البشرية من الضلالة والغى إلى طريق الهدى والخير حماسة لأولئك المسلمين الذى يعذبون فى بقاع الأرض .

والإمام الشهيد زرع الحماسة من خلال ثوابت حتى لا تنجرف الدعوة والدعاة إلى مهاوى الردى ، فزرعها فى الشباب من خلال :

(1) الإسلام بشموله ومدى صلاحيته للبشر .

(2) التفكير بالواقع المرير الذى نعيش فيه وبعده عن الإسلام ، وكيف ننقذه ؟

(3) الاطلاع على التاريخ الإسلامى الذى اعتز به المسلمون الأوائل .

(4) حاجة الناس فى وقتنا الحالى إلى الإسلام .

(5) إيجاد الفهم الدقيق للإسلام بأن تتوفر العقلية المبتكرة للدعوة ، العقلية المرنة التى تستطيع أن تتصرف فى أى وقت وأى موقف من المواقف الحساسة .

(6) الإيمان العميق فهو الركيزة التى يرتكز عليها الحماس [1] .

الحماسة من متطلبات المرحلة :

ولقد أدرك الإمام الشهيد من أول يوم أن متطلبات المرحلة تفرض على الحركة الناهضة أن تتحرك بشعور قوى وحماس متوهج فى اتجاهين كل منهما يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالآخر .

فأما الأول : فهو الدعوة الدائمة الدائبة بلا انقطاع من أجل نشر الفكرة

---

(1) طريق الدعوة الإسلامية ، جاسم الياسين / 49 دار الدعوة - الكويت / 106 .

الإسلامية بهمة وثابة هدفها تحرير العقول المتحجرة من ربقة الجاهلية والرجعية المخيمة عليها ، ولقد برع وأجاد الإمام الشهيد فى ذلك سواء ببلاغته المثيرة ، أو بقوته الدافعة وحماسته الملتهبة فإذا بشباب أريد لهم أن يعيشوا ويموتوا فى الظلمات وقد تحولوا إلى فرسان للإسلام يعيشون ويموتون من أجله أولئك الشباب الذين أفسح البنا لهم بنفسه الميدان لممارسة الحماسة وسط ضجيج حياة مضطربة ومليئة بالشعارات الكاذبة الجوفاء والضجيج المزيف دون عمل .

وأما الاتجاه الآخر :

فهو الاستعداد الذى لا يهدأ لاستجماع كل وسائل القوة والمنعة من أجل مواجهة العواقب المخيفة إذا ما تيقظ الأعداء الغافلون على مدى التأثير الرهيب الكامن وراء الدعوة الجديدة هذه الدعوة التى تحمل شحنة ناسفة بالغة التأثير على آمال كل من ملأ بطنه وعاش مستهتراً مترفاً على حساب الإسلام الجريح [1] .

* وثقل الإمام البنا هذه الحماسة بالعلم والتربية والجهاد . .

ولقد فهم الشباب جيداً ما يريده المرشد العام حيث كانت ترن فى آذان أولئك المتحرقين شوقاً لافتداء الإسلام بأرواحهم تلك الكلمات الحاسمة التى جعلها ضابط الحماس وصمام أمان للحركة فى دعوته فقال : « بدون استعداد كل فرد فى جماعتنا للجندية ، لن يكون هناك أمل فى أى شىء » [2] .

كان البنا رحمه الله أشد الناس شعوراً بمدى خطورة هذه الدعوة ، ومدى استفزازها لأعداء الإسلام ، بل وغرابتها التامة على الأغلبية الكاسحة من الدعاة إلى الإسلام ذاته . . ومن أجل ذلك فلقد كان يسير على طريق بالغة الوعورة ، وهو ينتزع المسلم البسيط من أدران الجاهلية التى ينغمس فيها مرتقياً به إلى مرتبة المجاهد

(1) نجم الدعاة حسن البنا د / توفيق علوان 249 ـ 250 بتصرف .
(2) مذكرات الدعوة والداعية ـ الإمام الشهيد .

هذه المرتبة التى تفوز بالحماسة التى لو ترك لها العنان لحطمت الدنيا فجعل الجندية والطاعة ركناً يبايع عليه فتسلم السفينة وسط الأعاصير ولا تجرفها الرياح الهوجاء عن مسارها المرسوم حتى تصل إلى بر الأمان .

هل تنجح الصحوة بدون الحماسة ؟!

يقول الإمام الشهيد : إن من وراء المظاهر جميعاً فى كل دعوة روحاً دافعة ، وقوة باطنة تسيرها وتهيمن عليها وتدفع إليها ، ومحال أن تنهض أمة بغير هذه اليقظة الحقيقية فى النفوس والأرواح والمشاعر :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ (الرعد : 11) .

ولهذا أستطيع أن أقول أن أول ما نهتم له فى دعوتنا ، وأهم ما نعول عليه فى نمائها وظهورها وانتشارها هذه اليقظة الروحية المرتجلة .

فنحن نريد أول ما نريد (1) يقظة الروح .

(2) حياة القلوب .

(3) صحوة حقيقية فى الوجدان والمشاعر . .

وهنا يشير الأستاذ البنا فى دلالة واضحة أن الصحوة تحتاج إلى يقظة تبعثها روحاً دافعة تملؤها الحماسة المنبعثة من قوة باطنة تسيرها وهذه القوة هى الشعور القوى الذى هو أساس الحماسة . . ووضح الإمام معالم وتفاصيل هذه الحماسة وسماتها فقال :

نحن نريد : (1) نفوساً حية قوية فتية .

(2) قلوباً جديدة خفاقة .

(3) مشاعر غيورة ملتهبة متأججة .

(4) أرواحاً طموحة متطلعة متوثبة .

وماذا نفعل بكل هذه الحماسة الغامرة المفعمة بالحيوية ؟!

يقول الإمام الشهيد عن هذه النفوس والقلوب والمشاعر والأرواح أن تتخيل مثلاً علياً ، وأهدافاً سامية لتسمو نحوها وتتطلع إليها ثم تصل إليها . .

إذن هذه الحماسة المتأججة فى النفوس والمشاعر والأرواح الطموحة لابد أن يكون لها منفذاً وأهدافاً ووسائل تحصر هذه العواطف والمشاعر ، وهنا أفصح الإمام الشهيد عن هدفه من إشعال هذه الأحاسيس فقال :

« . . . ولابد من أن تحصر هذه العواطف والمشاعر ، ولابد من تركز حتى تصبح عقيدة لا تقبل جدلاً ولا تحتمل شكاً ولا ريبة وبغير هذا التحديد والتركيز سيكون فعل هذه الصحوة مثل الشعاع التائة فى البيداء لا ضوء له ولا حرارة فيه . . »

تربية الحماسة اللاهبة :

يا شباب :

إن قضية الإسلام الحاضرة تريد أصحاب القلوب الملذوعة ، الذين يتفاعلون مع الأحداث أولاً بأول ، ولهم تعبد فى مراغمة الباطل ومعاندته ومحاربته ، فعلى مثل هذه الأفئدة ينعقد الرجاء ، لا على أصحاب الأصوات المرفوعة ، وهنا يا شباب لابد أن تعطى دعوتنا سمتاً خاصاً يتجاوز مجرد الدراسات الفقهية والترف الثقافى وتحوله إلى مخاطبات قلبية ، تسبق العلم ، وتقارنه وتتلوه ، وتغذى الأرواح ، وتنمى الأشواق ، وتحبب البذل ، وتدفع نحو الجهاد .

فالحماسة اللاهية ليست فى سطور مقال ولكن فى سطور نزال ، سطور معاملة الناس ، ومعرفة أطوار جاهليتهم ، والمساعى المبذولة لإصلاحهم ، وصبر الأحرار فى المحن ، لذا فإن أول نداء نقذفه فى قلوب الشباب نداء (عبد الوهاب عزام)حين يقول :

يا حبيساً بالدور خدن كتاب قارئـاً من مقـال كل علـيم

ابرزن للحياة واقرأ سـطوراً ماثـلات لعين كل حكيم [1]

ودعوتنا تلهب الحماسة وتأجج شعلتها بالحركة وسط المجتمع وهى مستمرة دافقة لا وقتية خفاقة . . تثمر فى الأمة طبيعة هذا الدين وتنشر نوره فتظهر صورة الإسلام المرجوة .

فالحماسة اللاهبة تربى بالعمل . . فتتحول من المقال إلى الحال ومن الصياح الأجوف إلى فلوات الجاهلية، إلى التغيير الجذرى فى جاهلية القرن العشرين فميدان القول غير ميدان العمل ولله دَرُّ القائل :

فالمجد ليس ينال بالعوى وبالصـوت الرخـيم

عـبء الرسـاله ليـس لهـواً إنه عبء جسيم

القـول دون الفعـل لا يهدى الصراط المستقيم

الحركة الذاتية تولد الحماسة :

إن الحركة الذاتية تلد الحماسة ، والحركة والهمة تدفع الهمة بإذن الله . والداعى الذى يتحرك لزيارة صديق يدعوه أو قريب يتحدث إليه ، لابد أن يلتقى فى طريقه بأشخاص آخرين لم تبلغهم الدعوة ولم يفهموا الإسلام على حقيقته ، هؤلاء إذا تحدث إليهم الداعى حديثاً شيقاً سهلاً عن الدعوة سيجد عندهم أرضاً خصبة تستقبل مطره وتثمر حركته للدعوة الخير الوفير بإذن الله تعالى .

إن الداعى الصادق يجب أن يشعر بأن دعوته حية فى أعصابه ، متوهجة فى ضميره ، تجرى فى دمائه ، فتنقله من الراحة والدعة إلى الحركة والعمل ، وتشغله بها عن نفسه وولده وماله ، وهذا هو الداعى المؤمن الذى تحسن إيمانه بدعوته فى

(1) المسار / محمد أحمد الراشد (بتصرف) .

النظرة والحركة والإشارة وفى البسمة التى تختلط بماء الوجه ، وهو الداعى الذى ينفذ كلامه إلى قلوب الناس فيحرك عواطفهم إلى ما يريد من أمر الدعوة .

الشعور القوى أيها الشباب سر النصر ، وقانون العزة ، وسبيل الوصول إلى تحقيق ما نريد من نشر الإسلام وحكم القرآن .

. . . أيها الشباب اياكم أن تلتفتوا إلى أولئك المثبطين ، أصحاب المجالس الراكدة والغايات الميتة والإحساس المتبلد ، والهمة الفاترة والكلمات التى لا تكلفهم إلا حركة اللسان فيتهمون هذا ويعيبون ذاك . . هؤلاء نسأل الله لهم حسن التوجيه وأن يخرجهم من إثم ماهم فيه .

إن الشاب العامل لدينه دائب الحركة دائماً متأجج الشعور لا يكاد يهدأ ابداً ، ولا يعرف قيمة هذا الحق إلا من فهمه وآمن به ، واعتقد أن الإسلام ليس مدرسة نظرية فكرية فحسب بل هو فكر وتطبيق وتحول وعمل ، والقول لابد أن يكون قرينه العمل .

ولابد لكى نملك قوة التأثير أن نستوعب الفكر والعمل ، وأن تكون جذوة الإيمان حية متقدة فى قلوبنا ، وأن نستوعب جوانب الرسالة فتحيا بها المشاعر والجوارح ، وهذا هو مقياس نجاحنا فى دعوتنا لأن مقياس نجاحنا فى دعوتنا لا يكون فى خصلة تقام ، أو خطبة تقال ، أو محاضرة تلقى أو كلمة تكتب ، وإن كان هذا من وسائلنا ولكن النجاح الحقيقى فى إيغال صاحب الدعوة بدعوته بحماسة وهمة فى صميم حياة الناس ، وإيجاد الوعى الصحيح بينهم » [1] .

مصارحة على طريق الحماسة :

أيها المتحمسون . . لن نقطف ثماراً قبل نضجها . .

وجه الإمام الشهيد حديثه هذا إلى الذين يتعجلون البذرة قبل نموها ويريدون قطف الثمرة قبل نضجها ، فقال لهم :

---

(1) مفاهيم تربوية جـ4 / 60 للشيخ محمد عبد الله الخطيب (بتصرف)

« أيها الإخوان المسلمون ، وبخاصة المتحمسون المتعجلون منكم : اسمعوها منى كلمة عالية مدوية من فوق هذا المنبر فى مؤتمركم هذا الجامع : إن طريقكم هذا مرسومة خطواته موضوعه حدوده . ولست مخالفاً هذه الحدود التى اقتنعت كل الإقتناع بأنها أسلم طريق للوصول ، أجل قد تكون طريقاً طويلة ولكن ليس هناك غيرها . إنما تظهر الرجولة بالصبر والمثابرة والجد والعمل الدائب ، فمن أراد منكم أن يستعجل ثمرة قبل نضجها أو يقتطف زهرة قبل أوانها فلست معه فى ذلك بحال وخير له أن ينصرف عن هذه الدعوة إلى غيرها من الدعوات ، ومن صبر معى حتى تنمو البذرة وتنبت الشجرة وتصلح الثمرة ويحين القطاف فأجره فى ذلك على الله ، ولن يفوتنا وإياه أجر المحسنين . إما النصر والسيادة وإما الشهادة والسعادة»

وهذا النص للإمام الشهيد يشير فى دلالة واضحة إلى أنه صاحب فقه دعوى من طراز فريد نافذ البصيرة بواقع دعوته ، خبير بسابق الدعوات عبر التاريخ مستشرفاً آفاق المستقبل من غلالة رقيقة ينتظر الأجر والمثوبة تحقيقاً لا تعليقاً .

ورفض الإمام الشهيد الحماسة الهوجاء لأن الطريق مرسومة خطواته ، موضوعة حدوده ، وطالب رجال الدعوة بالصبر والمثابرة والجد والعمل الدائب .

ولكن ماذا ننتظر ؟! ننتظر نمو البذرة ، إنبات الشجرة ، صلاح الثمرة ، وأوان القطاف والنتائج مضمونة بلا شك . .

ـ النصر والسيادة ـ الشهادة والسعادة .

كيف تضبط الحماسة ؟!

وضع الإمام الشهيد العلاج الناجح لضبط هذا الشعور القوى وهذه الحماسة الفتية فقال : يا شباب

* ألجموا نزوات العواطف بنظرات العقول .

* أنيروا أشعة العقول بلهب العواطف .

* ألزموا الخيال صدق الحقيقة والواقع .

* اكتشفوا الحقائق فى أضواء الخيال الزاهية البراقة .

* ﴿ فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة ﴾ (النساء : 129) .

* لا تصادموا نواميس الكون فإنها غلابة ، ولكن غالبوها واستخدموها وحولوا تيارها واستعينوا ببعضها على بعض .

* ترقبوا ساعة النصر وما هى منكم ببعيد .

إياكم والحماسة المتهورة :

ليست كل حماسة تحمد . . ولا تعجب لكل اندفاع وتهور . . فإن أشد الناس حماسة واندفاعاً وتهوراً ، قد يكونون هم أشد الناس جزعاً وانهياراً وهزيمة عندما يجد الجد ، ولنسمع ما يقول صاحب الظلال فى ذلك :

يقول (سيد قطب) رحمه الله فى معرض تفسيره لقوله تعالى : (1)

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴾ .

يقول سيد قطب رحمه الله :

يعجب الله ـ سبحانه ـ من أمر هؤلاء الناس ، الذين كانوا يتدافعون حماسة إلى القتال ويستعجلونه وهم فى مكة ، يتلقون الأذى والاضطهاد والفتنة من المشركين . حين لم يكن مأذوناً لهم فى القتال للحكمة التى يريدها الله . فلما أن جاء الوقت المناسب الذى قدره الله ؛ وتهيأت الظروف المناسبة وكتب عليهم القتال ـ فى سبيل

(1) فى ظلال القرآن / الشهيد سيد قطب جـ 2 / 712 .

الله ـ إذا فريق منهم شديد الجزع ، شديد الفزع ، حتى ليخشى الناس الذين أمروا بقتالهم ـ وهم ناس من البشر ـ كخشية الله ، القهار الجبار ، الذى لا يعذب عذابه أحد ، ولا يوثق وثاقه أحد . . ﴿ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ﴾ ! ! وإذا هم يقولون ـ فى حسرة وخوف وجزع ـ ﴿ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ ﴾ . . وهو سؤال غريب من مؤمن . . وهو دلالة على عدم وضوح تصوره لتكاليف هذا الدين ، ولوظيفة هذا الدين أيضاً . . ويتبعون ذلك التساؤل بأمنية حسيرة مسكينة ! ﴿ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴾ وأمهلتنا بعض الوقت ، قبل ملاقاة هذا التكليف الثقيل المخيف !

إن أشد الناس حماسة واندفاعاً وتهوراً ، قد يكونون هم أشد الناس جزعاً وانهياراً وهزيمة عندما يجد الجد ، وتقع الواقعة . . بل إن هذه قد تكون القاعدة !

ذلك أن الاندفاع والتهور والحماسة الفائقة غالباً ما تكون منبعثة عن عدم التقدير لحقيقة التكاليف . لا عن شجاعة واحتمال وإصرار كما أنها قد تكون منبعثة عن قلة الاحتمال ، إلى طلب الحركة والدفع والانتصار بأى شكل . دون تقدير لتكاليف الحركة والدفع والانتصار . . حتى إذا وجهوا بهذه التكاليف كانت أثقل مما قدروا ، وأشق مما تصوروا . فكانوا أول الصف جزعاً ونكولاً وانهياراً . .

على حين يثبت أولئك الذين كان يمسكون أنفسهم ، ويحتملون الضيق والأذى بعض الوقت ، ويعدون للأمر عدته ، ويعرفون حقيقة تكاليف الحركة ، ومدى احتمال النفوس لهذه التكاليف ، فيصبرون ويتمهلون ويعدون للأمر عدته . . والمتهورون المندفعون المتحمسون يحسبونهم إذ ذاك ضعافاً ، ولا يعجبهم تمهلهم ووزنهم للأمر ! وفى المعركة يتبين أى الفريقين أكثر احتمالاً ، وأى الفريقين أبعد نظراً كذلك ! »

لذا يا شباب فلنعيها أنه لا يثبت عند الشدائد إلا الذين يعدون للأمر عدته ، وإن أشد الناس حماسة واندفاعاً وتهوراً ، قد يكونون هم أشد الناس جزعاً وانهياراً وهزيمة عندما يجد الجد ، وتقع الواقعة ، بل إن هذه قد تكون القاعدة !



أخى الشاب :

خــذ لك زاديــن : مـن ســيرة ..

ومن عمــل صــالح يدخـــر ..

وكن فى الطريق عفيف الخطا..

شريف الســماع ، كـريم النظـر

وكــن رجــلاً إن أتــوا بعــده ..

يقــولون : مَــرَّ ، وهــذا الأثـــر

رابعاً : العمل

ومن خصائص الشباب العمل ..

يقول الإمام الشهيد :

«إنما تنجح الفكرة إذا قوى الإيمان بها ، وتوفر الإخلاص فى سبيلها ، وازدادت الحماسة لها ، ووجد الاستعداد الذى يحمل على التضحية والعمل لتحقيقها . .»

مدخل . . .

*** العمل جوهر البيعة ..**

ركن العمل أحد دعائم الإصلاح والتجديد ، ودليل شمول المنهج وعمق نظرة الإمام الشهيد لواقع المسلمين ، كذلك دليل النظرة الثاقبة لأدواء الأمة وطرائق العلاج للخروج من هذا المأزق الراهن ، ولقد حرص الإمام الشهيد على أن يرسى دعائم الإصلاح والتجديد فى رسالته الجامعة « رسالة التعاليم » جاعلاً من العمل ركناً يبايع عليه بل هو جوهر البيعة ، فالعمل مرحلة عليا من مراحل البناء وهو الترجمة العملية لمرحلتى التعريف والتكوين ، لذا عندما تحدث عن العمل خص به الذين آمنوا بسمو دعوتهم وقدسية فكرتهم ، وعزموا صادقين على أن يعيشوا بها أو يموتوا فى سبيلها ، وقال أنها ليست كلمات تحفظ لكنها تعليمات تنفذ .

لذا كانت كلماته التى تقطر من رحم المعاناة وتبزغ من ليل الخطوب : إلى العمل أيها الإخوة الصادقون : ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (1) .

وأراد بالعمل : ثمرة العلم ـ الفهم ـ والإخلاص . . وجعل له مراتب ومفردات وكان من حقه أن ينتظر تحقيق الأمل انتظار العامل الواثق من فكره وعمله

(1) التوبة : 105 .

وخطوات هذا العمل ، ولئن قضى الإمام شهيداً فى سبيل الله وفى طريق الدعوة والحركة لهذا الدين فإن الصحوة الإسلامية المعاصرة ، وحركة الإحياء والتجديد التى تعم العالم الإسلامى اليوم هى خير شاهد أن العمل جوهر البيعة وأن المسلمين بالإسلام لابد بالغون الغاية محققون الآمال بإعادة الكيان الدولى للخلافة الضائعة والمجد السليب وأستاذية العالم بنشر دعوة الإسلام فى ربوعه ولن يتحقق ذلك كله إلا بالعمل ، فإلى العمل أيها الشباب الصادقون . . »

*** العلاقة بين العمل والغاية ..**

« إن العمل الذى يقوم به الإنسان مهما كان حجمة أو غرضه ـ لابد له من قاعدة نفسية نابعة من القلب والوجدان ، لكى يصل بمن يقوم به إلى الغاية التى يصبو إليها أو يخطط لها فإذا لم يكن عند الإنسان مثل هذه القاعدة الأساسية ، فإن كل الجهود التى ينفقها فى عمله ستذهب هدراً ، ويكون مآلها الضياع والخيبة والفشل ، ولن ينال صاحبها من ورائها إلا التعب ثم مواجهة السراب الذى لا يغنى من الواقع شيئاً **لأن الإنسان ينظر إلي ما يقوم به من أعمال من خلال الغاية التي يتوخاها** ، أو الهدف الذى يرنو إليه ، لذلك فإن همه أولاً وأخيراً تحقيق ما أخذ نفسه به من دقائق الأمور أو جلائلها ، دون أن يأخذ فى الاعتبار الصعوبات والمتاعب التى تكتنفه فى عمله أو تنتظره فى جسده أو تواجهه فى مسيرته ، **لأن من عرف ما طلب منه هان عليه ما وجب.**

فهو يوقن أن الإنسان الذى يضع نصب عينيه هدفاً ثابتاً مهما كانت أبعاد هذا الهدف وحدوده ، فإنه لا يمكن أن يسقط من حسابه الجهود التى تفصل وتحول بينه وبين الهدف ، وما تقتضيه هذه الجهود من معاناة فى الوقت والجسم والذهن ، وقد تصل هذه المعاناة إلى مال الإنسان وحياته قبل وصوله إلى مأربه ، فليس له أن يفاجأ بما يلاقيه من البأساء والضراء وهو فى سبيله إلى ما يريد ، ولذلك قال رسول الله

(*) منهج الإمام البنا الثوابت والمتغيرات أ/ جمعة أمين 58 بتصرف ط دار التوزيع ط 1999 م .

(ﷺ) « حفت الجنة بالمكاره » . . ولا أحسب الجنة هنا إلا المطلب الأسمى الذى تتطاول إليه آمال البشر ، وليست المكاره التى حُفت بها إلا الجهود التى كتب على الناس أن يعانوها قبل أن تتحقق هذه الآمال .

التأصيل الشرعي للعمل :

كل مسلم مطالب بأن يعمل فى حياته الدنيا ، العمل الذى يحقق له صالح دينه ودنياه ، ولا يقبل من أحد من المسلمين أن يدع العمل ، ويعيش عالة على غيره ، أو يتكفف الناس ، حتى ولو كان متفرغاً للعبادة ، من وجهة نظره ، لأن عبادة الله الصحيحة ، تستوجب على العابد أن يعمل ويكد ، ويمسى كالاً من عمل يديه .

والنصوص الإسلامية ، التى تطالب المسلمين بالعمل كثيرة ، وردت فى القرآن الكريم ، وفى السنة النبوية المطهرة ، ودلت عليها حياة الرسول (ﷺ) ، وسيرته وحياة الصحابة ، رضوان الله عليهم ، بل حياة السلف الصالح ، رضى الله عنهم .

إن الإسلام يطالب كل مسلم بالعمل ، ويلزمه بأن يكون هذا العمل صالحاً ، **ومعني الصلاح في العمل : أن يكون مرضياً لله لأنه جاء وفق ما أحل الله ، وأن يكون محققا لمصلحتي المعاش والمعاد .**

وكما طالب الإسلام المسلمين ـ فى معظم نصوصه ـ بالعمل الصالح ، وأوضح أن هذا العمل يكون لصالح الفرد والجماعة فى المعاش والمعاد ، فإن الله ـ سبحانه ـ وعد الذين يعملون الصالحات أجراً حسناً ، وحياة طيبة فى الدنيا ، ونعيماً فى الآخرة ، كما توعد سبحانه الذين لا يعملون عملاً صالحاً ، بأنه سوف يجزيهم من جنس أعمالهم ، إلا أن يغفر لهم بعد توبة مقبولة .

والإسلام الذى طالب بالعمل ، بل بالعمل الصالح ، لم يكلف أحداً بهذا العمل فوق الوسع والطاقة بل جعله فى حدودها ، حيث أعلن أن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها .

ولم يسو الإسلام بين عامل ، عمل عملاً صالحاً ، وعامل عمل عملاً سيئاً ، وثالث خلط بين الصالح السيىء ، وإنما جعل لكل عامل كفاء عمله من الجزاء ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر .

كما أعلن الإسلام ، فى أكثر من نص إسلامى ، أن عمل كل عامل من الناس ، مراقب من الله سبحانه ، فهو العليم الخبير البصير الحسيب الرقيب ، غافر الذنب وقابل التوب ، شديد العقاب ذو الطول ولابد لنا هنا ، من أن نؤصل العمل للإسلام ، وإلى العمل الصالح بالذات حتى تتضح الرؤية للشباب ، وسوف نعتمد فى هذا على الأصلين الكبيرين الكتاب والسنة .

أ ـ تأصيل وجوب العمل في القرآن :

نريد أن نقول أن مدار الآيات الواردة فيما يخص التأصيل لوجوب العمل ترسى عدة حقائق هى : (1)

(1) أن العمل واجب دينى شرعى .

(2) وأن العمل يجب أن يكون صالحاً .

(3) وأن للعمل الصالح أحسن الجزاء .

(4) وأن للعمل غير الصالح جزاء من جنسه .

(5) وأن الله رقيب حسيب على كل الأعمال .

وأن الآيات القرآنية الواردة فى ذلك ، تزيد فى القرآن الكريم على ثلاثمائة(2) وسوف نذكر من هذه الآيات نماذج ، تقوم مقام الشاهد ، وتشير إلى ما نريد تأصيله محاولين الاقتصاد والاختصار ، ما وجدنا لذلك سبيلاً :

---

(1) فقه الدعوة إلى الله جـ 1 د / على عبد الحليم محمود 414 / 416 بتصرف .

(2) انظر فى ذلك : محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن لفظ : عمل .

وجوبه شرعا :

فقد طالب الله سبحانه رسله عليهم السلام - وهم صفوة خلقه - بالعمل ، وأوجبه عليهم ، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ (1) .

وقال سبحانه ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(2) .

فطالب المسلمين جميعاً بالعمل ، وأوجبه عليهم ، وأخبرهم بأنهم محاسبون على العمل ، مجزيون به ، وأن الله سبحانه رقيب حسيب على هذا العمل ، وأن الرسول والمؤمنون ، سوف يرون هذه الأعمال ، ويزنونها بميزان الإيمان ، ويشهدون بمقتضاها .

العمل الصالح شرط الجنة :

قال جل شأنه : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾(3) .

فجعل العمل الصالح ، شرطاً لدخول الجنة ، وهى غاية الغايات ، وأمل كل مؤمن .

الجزاء من جنس العمل :

قال سبحانه : ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ (4) .

وهذه الآية الكريمة تقرر أن جزاء العمل ، ليس هو ما يتمناه ، ويحلم به

---

(1) المؤمنون : 51 .
(2) التوبة : 105 .
(3) النساء : 124 .
(4) النساء : 123 .

الإنسان دون أن يعمل عملاً صالحاً ، سواء كان ذلك المتمنى من المسلمين ، أم من أهل الكتاب ، من يهود ونصارى ، وإنما الجزاء والنجاة من العذاب ، يكون بالإيمان ، والعمل الصالح فى ظل قوله تعالى : ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ﴾

(النساء : 123) .

وقال عز وجل : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾(1) .

وأوضح سبحانه أنه رحيم بعباده ، لا يكلف أحد إلا بما كان فى وسعه وطاقته ، ومعنى ذلك أن الإنسان مطالب بالعمل ، ومكلف به ، ما دام يستطيع القيام به ، وليس من شأنه أن يعجز به .

ب ـ تأصيل وجوب العمل في نصوص السنة النبوية :

الأحاديث النبوية الكريمة ، التى طالبت المسلمين بالعمل عموماً ، وبالعمل الصالح خصوصاً ، أكثر من أن تحصى ، ونستطيع أن نقول مطمئنين : إن كل الأحاديث النبوية إنما تدور حول العمل وتطالب به ، ولعل هذا التعميم يثير فى نفس القارىء شيئاً من المبالغة فيما نقول ، ولكننا نحاول أن نذكر أنواعاً من العمل الذى طولب به المسلم ، لندرك أن السنة كلها ، تدور حول العمل ، وتطالب به ، وعلى سبيل المثال فى هذا التنويع :

أولاً : الأحاديث النبوية ، التى طالبت بتوحيد الله ، وعبادته ، وطاعته ، وطاعه رسوله (ﷺ) .

ثانياً : الأحاديث النبوية ، التى طالبت بالعبادات ، والمعاملات ، وسائر الأعمال الصالحة .

(1) الأعراف : 42 .

ثالثاً: الأحاديث النبوية ،التى طالبت بمكارم الأخلاق ، وهى بحر زاخر .

رابعاً : الأحاديث النبوية ،التى طالبت بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والعدل والإحسان .

خامساً: الأحاديث النبوية ، التى طالبت بالجهاد فى سبيل الله ، لتكون كلمة الله هى العليا .

وما يجد المسلم كتاباً من كتب السنة الستة أو الثمانية ، إلا وهو حافل بالحديث عن العمل ، والعمل الصالح بالذات ، فى كل باب من أبوابه ، إن لم نقل فى كل حديث من أحاديثه ، ومؤكد لنفس الحقائق التى أشرنا إليها آنفاً ، من أن العمل واجب شرعى ، وأنه لابد أن يكون صالحاً ، وأنه يجزى عليه يوم القيامة ، وأن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها .

سمات العمل

أخي الشاب :

قلنا أن العمل هو جوهر البيعة ، وأنت مرابط فى سبيل الحق وزادك الإيمان ، ومطالب بالعمل ، والعمل سر النصر ، وقانون العزة والسيادة وسبيل الوصول إلى تحقيق ما نريد من نشر الإسلام وحكم القرآن ، فإذا تغيبت عن موقفك فقد تخليت عن واجبك ، كجندى على ثغرة من ثغور الإسلام .

فأين الوفاء ؟ . . . وأين عهد الرجال ؟ . .

ولعملنا هذا سمات :

(1) عمل متواصل :

العمل للإسلام يحتاج إلى النفس الطويل ، ويحتاج إلى الدقة والوضوح والبعض يريد أن يعمل ، ولكنه لا يدرى كيف يعمل ،فنقول إن كل كلمة ، وكل

عمل وكل خطوة ، وكل حركة عمل . فالحركة تلد الحركة والعمل الخالص المنظم يفجر آفاق العمل . فما علينا إلا أن نتحرك ، وأن نغدوا ونروح وفق برامج وضعها لنا الإسلام ، وطبقها الأسلاف لابد من همة عالية صادقة ، ولا نركن ولا نعود أنفسنا على الاستماع أو الانشغال بالتافه من الأمور كما لا نعود أنفسنا على ارتياد المجالس التافهة ففى الأثر :

(إن الله يحب معالى الأمور ويكره سفسافها) . .

*** دعوة لن تموت :**

أكثر من سبعون عاماً من الزمان على طريق الدعوة منذ بدأ الإمام الشهيد حسن البنا المسيرة فى عزم ووضوح ، وكان وقتذاك فى سن الشباب ، ثم قضى على الطريق عشرين عاماً وبعض عام فى عمل دائب متواصل وجهاد مستمر ، لم يهدأ له فيها جنب ، ولم يملأ جفنيه نوم ، يدعو ويربى ، ويؤاخى وينظم ، ويجاهد ويكافح حتى لقى الله شهيداً على طريق الدعوة ، وقد صدق ما عاهد الله عليه ، واستمرت المسيرة بعد استشهاده على نفس الطريق بتوفيق من الله وعونه دون تبديل أو تغيير ، ودون ضعف أو استكانة ، برغم الضربات الشرسة من الأعداء لمحاولة النيل منها أو القضاء عليها أو حتى تغيير وجهتها ، ولكن الله أحبط كيد الأعداء وثبت المؤمنون واتخذ الله شهداء ، وازدادت الدعوة انتشاراً وأصالة .

وذلك لأن الإمام الشهيد رضوان الله عليه وهو يترسم خطى هذه الدعوة جعل وسائل دعوته لا تخرج عن أمور ثلاثة لا تتغير ولا تتبدل وهى :

(1) الإيمان العميق .

(2) التكوين الدقيق .

(3) العمل المتواصل [1] .

(1) رسالة بين الأمس واليوم .

ولقد حرص الأستاذ البنا على هذه الوسيلة باعتبارها إحدى الدعائم التى تكفل للدعوة الاستمرارية والنماء والنجاح وصولاً للأهداف والغايات المرسومة ، وفى هذا يقول :

« أعدوا أنفسكم وأقبلوا عليها بالتربية الصحيحة والاختبار الدقيق وامتحنوها بالعمل ، والعمل القوى ، البغيض لديها الشاق عليها ، وافطموها عن شهواتها ومألوفاتها وعاداتها »[1] .

*** تواصل العمل في حياة الإمام الشهيد :**

يقول صاحب الأحداث :

« كان مجهود المرشد العام موزعاً على عدة نواح أهمها : مهنته التى يكتسب منها عيشه ، وإدارة شئونه الخاصة من رعاية منزل وأسرة وأولاد ثم الدعوة .

أما مهنته :

حيث كان مدرساً بمدرسة عباس الابتدائية بالسبتية ، فكان لها وقت محدد - كطبيعة العمل - لم يكن ينتقص منه لحظة بل كان يؤديه كله بأمانة . . ولم يؤثر عنه أنه تأخر يوماً عن ميعاد أو أهمل فى أداء عمل أو قصر عن المثل الأعلى للمدرس . بل إنه كان يرى فى عمله لذة ويحس فيه سعادة لأنه كان يعتقد أنه إنما خلقه الله ليكون مربياً ، وقد أهله لذلك تأهيلاً كاملاً . . ولقد كنا نحتاج إليه فى أمر هام يخص الدعوة فى وقت يكون هو فيه فى المدرسة فنتصل بالمدرسة تليفونياً أو نذهب إلى المدرسة لمقابلته ، وفى كلتا الحالتين - إذا كان طلبنا إياه قد صادف وجوده فى حصه من الحصص - كان يقول لمن ذهب ليبلغه بوجودنا لمقابلته أو يبلغه أننا نطلبه على التليفون : قل لهم إنه فى الحصة ولا يستطيع مغادرة الفصل حتى تنتهى الحصة

(1) رسالة المؤتمر الخامس .

فنضطر إلى الانتظار حتى تنتهى لنقابله أو نتحدث إليه فى التليفون فى فترة الاستراحة بين الحصتين .

أما شئونه الخاصة :

فكان يرعاها حق الرعاية ، فلم نسمع بشقاق عائلى فى أسرته ، كما أن أولاده كانوا يحظون منه بما يحظى به الأبناء من والد مثالى . نعم كان الوقت الذى يقضيه فى بيته ضئيلاً إلا أن زوجته كانت معواناً له على الدعوة . .

أما الدعوة :

فكانت هى محور حياته ، بل هى حياته كلها ، لم يكن يشغله عنها شاغل فى ليل ولا نهار كانت ملء عقله وقلبه بحيث لا مكان فيهما لشرع آخر . . لم أقدر النبوة حق قدرها إلا لما رأيت هذا الرجل ، وجلست إليه ، ولازمته وعاشرته . . وحينئذ بدأت أحسن بقدر النبى ومكانته ، فرجل كحسن البنا هو دون الأنبياء، ومع ذلك فإن الدعوة شغلته بل صهرته حتى أخرجت منه صورة مجسمة لها ؛ فإذا تكلم تكلم بالدعوة وللدعوة ، وإذا سكت كان سكوته أسلوباً آخر للدعوة ، وإذا تحرك فلها ، وإذا سكن فلها ، وإذا أحب فلها ، وإذا أبغض فلها ، وإذا ضحك فلها ، وإذا بكى فلها . . . فكيف بالنبى الذى صنعه الله على عينه ؟! . . .

ولن ينفعل بالفكرة الإسلامية إلا من اختلطت بدمه فصارت أساس تفكيره ، وميزان حياته وانحصرت فى أفقها كل آماله ، وصار كل مُرّ من أجلها حلواً فى حلقه »[1].

(2) عمل جماعي منظم :

وهذه القاعدة هى إحدى ثوابت الدعوة العشر « أن العمل الجماعى المنظم وسيلتنا ولابد أن يكون العمل الجماعى منظماً ، قائماً على :

(1) الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ / محمود عبد الحليم جـ 1 43 / 44 .

(1) قيادة مسئولة .

(2) وقاعدة مترابطة .

(3) ومفاهيم واضحة .

تحدد العلاقة بين القيادة والقاعدة على أساس من الشورى الواجبة الملزمة ، والطاعة المبصرة اللازمة .

فالإسلام لا يعرف جماعة بغير نظام ، حتى الجماعة الصغرى فى الصلاة تقوم على النظام ، فلا ينظر الله إلى الصف الأعوج ، ولابد للصفوف أن تتراص وتتلاحم ، ولا يجوز ترك ثغرة فى الصف دون أن تملأ ، فأى فرجة دون أن تملأ يسدها الشيطان ، المنكب بجوار المنكب ، والقدم بجوار القدم ، وحدة فى الحركة والمظهر ، كما أنها وحدة فى العقيدة والوجهة . يعدل الإمام الصف خلفه حتى يستقيم ويتصل ، وينصح من وراءه أن « لينوا بأيدى إخوانكم » فالجماعة تقتضى قدراً من الليونة والمرونة لموافقة سائر الصف . وبعد ذلك تكون الطاعة للإمام فإنما جعل الإمام ليؤتم به ، فإذا كبر فكبِّروا ، وإذا ركع فاركعوا ، وإذا سجد فاسجدوا ، وإذا قرأ فأنصتوا .

ولا يُقبل من أحد أن يشذ عن الصف ، ويسبق الإمام فيركع قبله أو يسجد قبله ويحدث نشاذاً فى هذا البناء المنظم المتناسق فمن فعل ذلك يخشى أن يمسخ الله رأسه رأس حمار ، ولكن الإمام إذا أخطأ فإن من حق من وراءه - بل من واجبه - أن يصحح له خطأه سواء أكان من غلط أم من سهو ، وسواء أكان الخطأ فى القول أم فى الفعل ، فى القراءة أم فى أركان الصلاة الأخرى .

حتى إن المرأة فى الصفوف البعيدة تصفق بيديها لينتبه الإمام إلى خطئه ، إنها صورة مصغرة لنظام الجماعة الإسلامية ، وما ينبغى أن تكون عليه العلاقة بين القيادة والجندية ، فليست إمامة معصومة ، ولا طاعة عمياء مطلقة .

هذا ما دعا إليه الإمام حسن البنا حين أسس حركته الإسلامية المباركة ولم يكتف بالخطب والدروس والوعظ والإرشاد العام ، على أهميته ، بل رأى بنور بصيرته أنه لابد من **التكوين بعد التنبيه** ، **ومن التأسيس بعد التدريس** كما عبر هو من خلال تعلمه ، وعلم أتباعه أن الجماعة ضرورة شرعية لابد لها من قائم يقوم عليها ، وهكذا يكون فهمنا للإسلام ، **فلكي يقوم لابد له من علم جماعي منظم**[1] .

ولتعلموا يا شباب أن عناية الإسلام بالفرد ليس إلا ليكون لبنة صالحة فى الجماعة التى ستتحمل عبء الدعوة من حيث نشرها والجهاد فى سبيل نصرتها ، وإقامة الدولة التى دعا الإسلام إلى تشييدها وتدعيم أركانها .

لهذا كانت كل العبادات فى الإسلام جماعية أو داعية إلى تدعيم الجماعة ، فالصلاة تفضل صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة ، وصلاة الجمعة لا تصح إلا فى جماعة ، كذلك صلاة العيدين ، حتى سنة القيام فى رمضان من المستحب أن تكون جماعة و الزكاة تؤخذ من الأغنياء وتعطى للفقراء فيتعاطف الجميع وتزول الشحناء والأثرة فتتدعم الجماعة ، كما يدفع الصيام الأغنياء على العطف على الفقراء ، فيلتئم الشمل وتتحاب الجماعة ، والحج فى مظهره ومخبره فريضة جماعية يتساوى فيها الجميع فى الملبس والموقف مودعين الدنيا ، مقبلين على الله فتتآلف القلوب وتتحد المشاعر ، وتقوى رابطة الأخوة ، فيشتد عود الجماعة ، والجهاد يقف فيه المسلمون صفاً كأنهم بنيان مرصوص ، فيرضى الله عنهم ويرضوا عنه ، ذلك لمن خشى ربه ، وهكذا فجميع العبادات تدعم العمل الجماعى المنظم الذى يقوى الروابط بين القائمين عليه لتحقيق الأهداف السامية .

(3) عمل يصدر عن العقلية الجماعية والشوري :

أن يرزقنا الله بالعمل فهذا أمر طيب ولكن فى السير الطويل للتمكين لدين الله

(1) انظر منهج الإمام البنا الثوابت والمتغيرات للأستاذ جمعة أمين .

عزوجل لا يدرى الفرد ما هى حدود دوره وإلى أين سيقطع فى سيره مع قافلة الدعاة إلى الله عزو جل ، لذا لابد على السائر فى ركب الدعاة إلى الله أن يتخلى عن ذاته لأن دوره قد يقتصر على المشاركة فى بعض الطريق ليكمل السير غيره ، فعندما يكون البناء ضخماً يحتاج إلى جهد كبير ، فإن منتهى آمال الفرد أن يشارك فى البناء وذلك حسبه ، أما إذا فكر أن يقيم البناء منفرداً ، فلا هو يستطيع ذلك ، ولا البناء يتم، لذا يا شباب إذا رغبنا فى عمل يثمر ويتقبل ويسهم بفاعلية فى البناء لابد أن نتجنب الأمراض التى يتعذر معها العمل الجماعى لبناء ما عمد الأعداء إلى هدم وتقويض أركانه مئات السنين ومن هذه الأمراض الشح المطاع ، والهوى المتبع ، والدنيا المؤثرة ، وإعجاب كل ذى رأى برأيه ، فإذا ما تبع الإنسان هواه ، وأطاع شحه وآثر دنياه ، وأعجب كل ذى برأيه ، فلن يستطيع أن يسهم فى مشروع نهضته الأمة بعمل مثمر بَنَّاء .

(4) عمل الرسول (ﷺ) كان حركيا جماعياً وليس فردياً :

قلنا آنفاً أن إقامة تنظيم حركى للإسلام كسبيل لاستئناف مسيرة الحياة الإسلامية ضرورة وواجب تفرضه الظروف المحيطة والواقع الكائن بالعالم الإسلامى وضخامة الأهداف وكثرة التكاليف المنوطة بالدعاة ووعورة الطريق ومشقة المواجهة مع الباطل فضلاً عن أنه ضرورة شرعية فهو ضرورة بشرية وسبق الحديث فى ذلك بشىء من التفصيل إلا أننا نود أن نشير فى معرض التأصيل للعمل أن الرسول (ﷺ) لم يعتمد أسلوب العمل الفردى ، وإنما حرص من أول يوم على إقامة تنظيم حركى كان يختار عناصره اختياراً وينتقى أفراده انتقاء ليكون قوة الدفع فى المسيرة الإسلامية التى لم يطل عليها الزمن حتى كانت ملء عين العالم وسمعه وبصره ، لذا نحب أن نقول أن الإمام الشهيد حسن البنا لم يكن مجرد داعية استجاش مشاعر مجموعة من الناس ووجدانهم فالتفوا حول الفكرة الإسلامية . . بل كان هناك عبقرية تجمع الشتات وترسى القواعد وتشيد البناء وكان ذلك واضحاً فى كل خطوات التنظيم

للعمل الإسلامى وبدا ذلك فى عقد البناء من الأسرة ، إلى الشعبة ، إلى المنطقة ، إلى المركز الإدارى ، إلى الهيئة التأسيسة ، إلى مكتب الإرشاد ـ هذا من ناحية الشكل الخارجى ـ وهو أقل مظاهر عبقرية الإمام الشهيد عليه رحمه الله كما يقول الشهيد سيد قطب . ولكن البناء الداخلى مثيل بناء دار الأرقم نراه أدق وأحكم وأكثر دلالة على عبقرية التنظيم والبناء . البناء الروحى الذى يربط أفراد الأسرة وأفراد الكتيبة وأفراد الشعبة ـ هذه الدراسات المشتركة ، والصلوات الجامعة ، والتوجيهات المتناسقة ، والرحلات والمعسكرات المشتركة وفى النهاية وحدة فى الفهم والمشاعر والسلوك تثمر عقيدة تعمل داخل النفس ، قبل أن تكون تعليمات وأوامر تحفظ .

لذا فإن مجرد استثارة الوجدان الدينى لا يكفى ، وإذا قصر همنا يا شباب على هذه الاستثارة فى خطبة رنانة ومظاهرة صاخبة وخاطرة لاهية للحماسة فإن ذلك سينتهى بنا إلى نوع من الهوس الدينى ، الذى لا يبنى شيئاً ، كذلك فإن مجرد الدراسة العلمية للعقيدة لا تكفى وها نحن نرى المئات بل الآلاف من خريجى الأزهر ـ إلا من رحم ربى ـ انتهت بهم هذه الدراسة إلى جفاف الينابيع الروحية لأنها لم تستمد نداوتها وحرارتها وخصوبتها من معين الدعوة والحركة بهذه الدراسات فى ميدان الدعوة ، وكذلك فإن مجرد استثارة الوجدان والدراسة معاً لا يستغرقان الطاقة ولا يكفيان لبعث الهمة وإيجاد الحركة لأنه يستبقى هناك طاقة عضلية ، وطاقة فطرية أخرى فى الكسب والمتاع والشهرة والعمل والقتال . . .

وقد استطاع الإمام الشهيد بفضل الله تعالى أن يفكر فى هذا كله ، أو أن يلهم هذا كله ، فيجعل نشاط الشاب المسلم يمتد وهو يعمل فى نطاق الجماعة إلى هذه المجالات كلها ـ بحكم نظام الجماعة ذاته ـ وأن يستنفد الطاقات الفطرية كلها ، من خلال ركن العمل .

العلاقة بين العمل والغاية ..*

إن العمل الذى يقوم به الإنسان مهما كان حجمه أو غرضه ـ لابد له من قاعدة نفسية نابعة من القلب والوجدان ، لكى يصل بمن يقوم به إلى الغاية التى يصبو إليها أو يخطط لها فإذا لم يكن عند الإنسان مثل هذه القاعدة الأساسية ، فإن كل الجهود التى ينفقها فى عمله ستذهب هدراً ، ويكون مآلها الضياع والخيبة والفشل ، ولن ينال صاحبها من ورائها إلا التعب ثم مواجهة السراب الذى لا يغنى من الواقع شيئاً لأن الإنسان ينظر إلى ما يقوم به من أعمال من خلال الغاية التى يتوخاها ، أو الهدف الذى يرنو إليه لذلك فإن همه أولاً وأخيراً تحقيق ما أخذ نفسه به من دقائق الأمور أو جلائها ، دون أن يأخذ فى الاعتبار الصعوبات والمتاعب التى تكتنفه فى عمله أو تنتظره فى جسده أو تواجهه فى مسيرته ، لأن من عرف ما طلب منه ، هان عليه ما وجب .

فهو يوقن أن الإنسان الذى يضع نصب عينيه هدفاً ثابتاً مهما كانت أبعاد هذا الهدف وحدوده ، فإنه لا يمكن أن يسقط من حسابه الجهود التى تفصل وتحول بينه وبين الهدف ، وما تقتضيه هذه الجهود من معاناه فى الوقت والجسم والذهن ، وقد تصل هذه المعاناه إلى مال الإنسان وحياته قبل وصوله إلى مأربه ، فليس له أن يفاجأ بملا يلاقيه من البأساء والضراء وهو فى سبيله إلى ما يريد، ولذلك قال رسول الله (ﷺ) « **حفت الجنة بالمكاره** » . . . ولا أحسب الجنة هنا إلا المطلب الأسمى الذى تتطاول إليه آمال البشر ، وليست المكاره التى حُفَّت بها إلا الجهود التى كتب على الناس أن يعانوها قبل أن تتحقق هذه الآمال .

(*) منهج الإمام البنا الثوابت والمتغيرات أ/ جمعة أمين / 58 بتصرف ط دار التوزيع ط 1999 م .

أسلوبنا فى العمل :

قد يتبادر إلى بعض الشباب أن أسلوبنا فى العمل يشبه أسلوب العمل فى الأحزاب ذات المبادىء الوضعية التى اتخذت أسلوب . . (**الغاية تبرر الوسيلة**) .

إذا وجد بين شباب الدعوة من يفكر بهذا التفكير فهو على خطأ كبير . . كبير جداً . . . إن دعوتنا ومبادئنا مختلفة تمام الاختلاف عن مبادىء ودعوات الآخرين التى صنعتها عقول البشر ، **فدعوتنا شريفة غاية ووسيلة** ، محدودة بمبادىء الشريعة الإسلامية الغراء فلا يمكن أن نتخطاها بأى حال من الأحوال فالغاية عندنا لا تبرر الوسيلة ولما كانت غايتنا شريفة وعالية فلا يجوز أن تكون الوسيلة للوصول إليها محرمة .

إذا كان الأمر كذلك فالذى يجب أن نعرفه هو أن ما نلاحظه ونقرأه ونشاهده من أعمال الأحزاب قد لا يتفق كثيره مع دعوتنا وعليه يجب ألا نتأثر به مطلقا ولا تتطلع نفوسنا لمحاكاته وتقليده ومطالبته دعوتنا لتحذو حذوه أو تسلك نفس المسلك فعلينا أن نطالب ونقترح القيام بعمل ما ، أن نعرض هذا العمل أولاً وقبل كل شىء على الشريعة فهى ميزاننا الوحيد الذى نزن به الأعمال .

« فما أقرته الشريعة أخذنا به حسب الممكن وجوباً أو ندباً أو إباحة ، وإذا لم تقره تركناه وأهملناه ، فعلى ضوء ذلك تظهر أهمية قيامنا بالعمل فإذا كان واجباً شددنا العزم وجمعنا الهمم للقيام به وهكذا . . فلا يصح أن نعرضه أولاً على نفوسنا فما حسنته عقولنا طالبنا به وألححنا بتنفيذه وما قبحته تركناه وأهملناه دون النظر إلى الأدلة الشرعية التى توجبه وتعده وتؤيده أو تنهى عنه وتأمر بعدم القيام به . . فالنفوس تكره التكليف والالتزام وتحب الشهوات والآثام وإن النفس لأمارة بالسوء فميزاننا الوحيد للأمور جميعاً هو الشريعة الإسلامية »[1] .

---

(1) طريق الدعوة الإسلامية / جاسم بن محمد بن مهلهل الياسين / 49 دار الدعوة ، الكويت / 145 (بتصرف) .

العمل عنوان الإيمان وثمرته :

والإيمان نفسه ، مالم يدفع إلى العمل الدائب فى سبيل نشر المبادىء التى تحقق بها الإيمان فهو ليس بإيمان . . فالإيمان قناعة عقل ، واطمئنان قلب ، وجهاد نفس ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾ وصدق الرسول (ﷺ) حيث يقول (**ليس الإيمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل**) (1) .

هذا وليعلم شباب الإسلام أن أول مراتب العمل تزكية النفس واستخلاصها من عيوبها وانحرافاتها ثم التواصى بالحق والصبر والدعوة إلى الله والجهاد فى سبيله .

فشباب الإسلام مطالبون ببذل قصارى جهدهم للقيام بتكاليف الدعوة ، وتبليغها إلى الناس ، وتبسيطها لهم ، بحسب مستوياتهم من الفهم والإدراك وهذه الأمانة التى أؤتمنوا عليها ليكونوا ورثة الأنبياء . . ثم ليسمعوا قول الرسول الأعظم (ﷺ) :

(ما من نبى بعثه الله فى أمة قبلى ، إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب ، يأخذون بسنته ، ويقتدون بأمره ، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف ، يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون مالا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهومؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن . وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل)(2) .

وليعلم الشباب أن دعوة الناس إلى الإسلام وإقناعهم به وتهيئتهم للنزول عند أصوله وأحكامه ، من الوسائل التى يتحقق بها إقامة المجتمع المسلم واستئناف الحياة الإسلامية ولن يتأتى ذلك إلا بحركة إيمانية دائبة مبعثها الواجب لا النافلة ، والإيمان لا الكلام ، وهذا هو طريق الجنة يا شباب الاسلام . . عمل متواصل ، وجهاد مستمر ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ .

---

(1) رواه الديلمى فى مسند الفردوس .

(2) رواه مسلم .

مراتب العمل

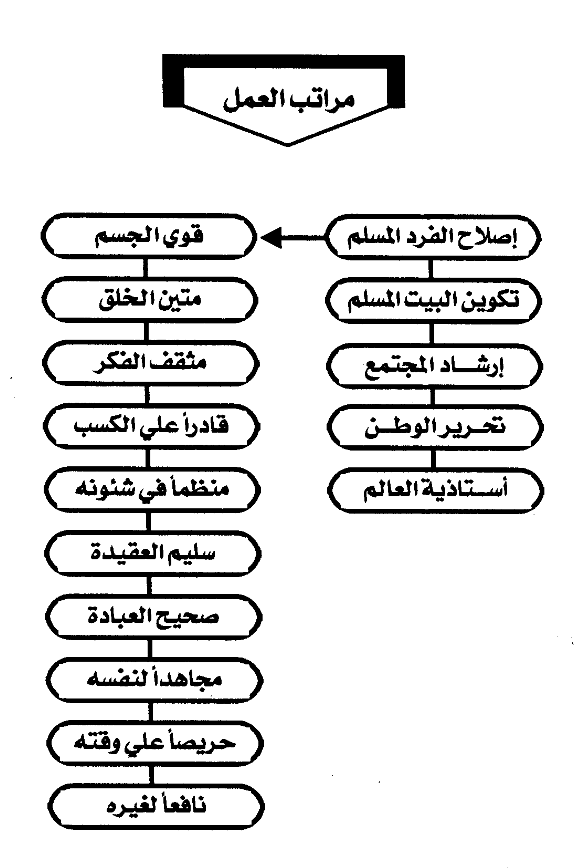
هذا الركن الأصيل من أركان البيعة جعل الإمام الشهيد له مراتب ودرجات كل واحدة منها تعتبر ركيزة لما بعدها ، وإن كانت جميعاً يأخذ بعضها بحجز بعض وتمثل تكاملاً بحيث لا يغنى بعضها عن بعض وهى ، برنامج سباعى الوحدات أو الخطوات يشكل عند تنفيذه أملاً كبيراً عاشت الأمة الإسلامية تنتظره أجيالاً وأجيالاً لكنها كانت تنتظر هذا الأمل دون إعداد له أو استعداد ، وتحسب أنها سوف تحققه ، ولكنها كانت واهمة إذ لا أمل بغير عمل .

والإمام الشهيد أجمل فى رسالة إلى الشباب وفصل وبين فى رسالة التعاليم فخاطب الشباب فى رسالتهم قائلاً : آمنوا ، وتآخوا ، واعملوا . . . وجعل العمل أحد خصائص الشباب وفى رسالة التعاليم وضع مفردات العمل وخطواته وجعله المنهاج فى رسالة إلى الشباب وقال أنه محدود المراحل واضح الخطوات . . عالماً بما يريد بصيراً بالوسيلة لتحقيق هذه الإرادة . . وكان من حقه أن ينتظر تحقيق الأمل انتظار العامل الواثق من فكره وعمله وخطوات هذا العمل ، ولئن قضى الإمام شهيداً فى سبيل الله وفى طريق الدعوة والحركة والتنظيم فإن الصحوة وحركة الإحياء التى تعم العالم الإسلامى اليوم ، لتؤكد لكل ذى بصيرة أن المسلمين بالإسلام وبهذا المنهج دون سواه لابد بالغون الطريق محققون تلك الآمال بإعادة الكيان الدولى للخلافة الإسلامية ، وأستاذية العالم بنشر دعوة الإسلام فى ربوعه .

* ولقد أفرد من هو أجدر منى مئات الصفحات وأسهب فى شرح مفردات ركن العمل ومراتبه ، وحسبى هنا أن أقدم لشبابنا جدولة لهذه المراتب :

(*) لمزيد من التفاصيل انظر ركن العمل د / على عبد الحليم محمود (3) سلسلة فقه الإصلاح والتجديد عند الإمام حسن البنا .

مكتفياً بإلقاء الضوء على مرتبة إصلاح النفس والتى تخص الشباب بالدرجة الأولى مشفعاً ذلك بالواجبات العملية المنبثقة عن مقومات رجل العقيدة وهذا النموذج الذى رمى إليه الإمام الشهيد بعصارة فكره فيما يخص هذه المرتبة وبما يأمله الدعاة فى هذا النموذج لشباب الدعوة .



مرتبة اصلاح النفس

الأهـــــداف	الوســـــائل « الواجبـــــات»
(1) أن يكون قوي الجسم (أداء الواجبات الصحيحة)	(1) الكشف الصحى ، والعلاج ، والوقاية الجسمانية . (2) الابتعاد عن المنبهات والتدخين . (3) الاعتناء بالنظافة « سنن الفطرة » . (4) تجنب الخمر والمسكر والمفتر . (5) الرياضة والتدريب .
(2) أن يكون متين الخلق (أداء الواجبات الأخلاقية)	(1) صادق الكلمة فلا تكذب أبداً . (2) الوفاء بالعهد والكلمة والوعد . (3) الشجاعة في الحقوق والاعتراف بالخطأ . (4) الوقار والجد والفكاهة الرزينة . (5) الحياء والإحساس والتواضع . (6) العدل والإنصاف وامتلاك الغضب . (7) تقديم الخدمات العامة . (8) الرحمة والكرم والسماحة والرفق .
(3) أن يكون مثقف الفكر	(1) الورد اليومي وتلاوة القرآن وتدبره والاستماع إليه . (2) دراسة السيرة وتاريخ السلف . (3) مطالعة الأحاديث ، وحفظ الأربعين نووية . (4) دراسة رسالة في العقائد ، ورسالة في فروع الفقة . (5) تكوين مكتبة خاصة ، تعينك علي الإلمام العام .
(4) أن يكون قـــادراً علـي الكسب (أداء الواجـبـات الماليـة . . والعملية)	(1) مزاولة العمل الحر . (2) عدم الحرص علي الوظيفة الحكومية . (3) إتقان العمل وعدم الغش . (4) حسن التقاضي وأداء حقوق الناس . (5) تجنب رسائل الكسب الحرام .

الأهــــداف	الوســــائل « الواجبـــات »
	(6) الابتعاد عن الربا في كل المعاملات . (7) خدمة الثروة الاسلامية والحرص علي الاقتصاد الوطنى . (8) الاشتراك في الدعوة بجزء من المال الخاص . (9) الادخار للطوارئ والابتعاد عن الكماليات .
(5) **أن يكون سليم العقيدة** (أداء الواجبات العقائدية)	(1) فهم الإسلام أنه نظام شامل لكل مناحي الحياة . (2) الإيمان بآيات الصفات ومنع التأويل والتعطيل . (3) عدم تكفير المسلم الذي أقر بالشهادتين . (4) كيفية الدعاء إلي الله ليست من مسائل العقيدة . (5) إنكار معرفة ادعاء الغيب ومحاربته . (6) زيارة القبور سنة بالكيفية المأثورة . (7) محبة الصالحين والأولياء قربة إلي الله تعالي . (8) محاربة البدع التي ليس لها أصل في دين الله .
(6) **أن يكون صحيح العبادة** (أداء الواجبات التعبدية)	(1) دوام رقابة الله تعالي . (2) إحسان الطهارة والوضوء . (3) أداء الصلاة في أوقاتها . (4) صيام رمضان ، وحج البيت . (5) استصحاب نيه الجهاد . (6) تجديد التوبة والاستغفار . (7) مجاهدة النفس والغرائز .
(7) **أن يكون مجاهداً لنفسه** (أداء واجبات المجاهدة)	(1) التقرب إلي الله بالطاعات . (2) الابتعاد عن المعاصي . (3) تغليب الحسنات علي السيئات (4) الإكثار من العمل الصالح وفعل الخير .
(8) **أن يكون حريصاً علي وقته** (أداء واجبات كفاءة استخدام الوقت)	(1) إنفاق الوقت بما يعود بالخير . (2) إدراك فقه الأولويات . (3) التعود علي تنظيم الوقت وحسن توزيعه . (4) عمل جدول أسبوعي للواجبات المطلوب إنجازها .

الأهـــــداف	الوســـــائل « الواجبـــــات»
(9) **أن يكون منـظمـــا في شئونه** (أداء واجبات كفاءة التنظيم)	(1) تنظيم العمل والمكتب والأوراق . (2) تنظيم العلاقات الأسرية والاجتماعية . (3) تنظيم الاجتماعات والواجبات .
(10) **أن يكون نافعاً لغيره** (أداء واجبات التكافل والنفع للغير)	(1) تأديه حقوق الأخوة من الحب والتقدير والمساعدة والإيثار . (2) الاشتراك في تنمية الثروة الإسلامية بتشجيع المشروعات الإسلامية . (3) التدرب علي الخدمات العامة .

ويجدر بنا أن نختم هذه الأهداف والواجبات بما ختم به الأستاذ البنا قائلاً :

« أيها الأخ الصادق : هذا مجمل لدعوتك ، وبيان موجز لفكرتك ، وتستطيع أن تجمع هذه المبادىء في خمس كلمات : الله غايتنا ، والرسول قدوتنا ، والقرآن شرعتنا ، والجهاد سبيلنا ، والشهادة أمنيتنا ، وأن تجمع مظاهرها في خمس كلمات أخري : البساطة ، والتلاوة ، والصلاة ، والجندية ، والخلق ، فخذ نفسك بشدة بهذه التعاليم ، وإلا ففي صفوف القاعدين متسع للكسالي والعابثين وأعتقد أنك إن عملت بها وجعلتها أمل حياتك وغاية غاياتك ، كان جزاؤك العزة في الدنيا والخير والرضوان في الآخرة »[1].

(1) رسالة التعاليم / مجموعة الرسائل .

لا أمل بغير عمل ..

بعد هذه الآمال العذاب ، والمهام الجسام ، والتبعات الثقال فى برنامجنا سُباعى الخطوات يظل هذا الأمل خيال عريق ، ووهم مسيطر على النفوس إذا لم يحالفه إيمان بهذا المنهاج يعمل لتحقيقه ويكون عدتنا فى ذلك .

(1) إيماناً لا يتزعزع .

(2) وعملاً لا يتوقف .

(3) وأرواحاً أسعد أيامها أن تلقى الله شهيدة فى سبيله .

والآمال التى تترجم إلى أعمال لا فائدة فيها مهما كانت عظام ، وما أدق تعبير شهيد الإسلام (سيد قطب) حين يقول :

« إن الكلمة لتنبعث ميتة وتصل هامدة . مهما كانت طنانة رنانة متحمسة ، إذا هى لم تنبعث من قلب يؤمن بها . ولن يؤمن إنسان بما يقول حتماً إلا أن يضير هو ترجمة حية لما يقول وتجسيماً واقعياً لما ينطق ، عندئذ يؤمن الناس . ويثق الناس فيه ولو لم يكن فى تلك الكلمة طنين أو بريق إنها حينئذ تستمد قوتها من واقعها لا من رنينها . وتستمد جمالها من صدقها لا من بريقها . إنها تستحيل حينئذ دفعة حياة لأنها منبثقة من حياة (والمطابقة بين القول والعمل بين العقيدة والسلوك) ليست مع هذا أمراً هينا ، ولا طريقاً معبداً . إنها فى حاجة إلى رياضة وجهد ومحاولة وإلى صلة بالله ، واستمداد منه ، واستعانة بهديه فملابسات الحياة وضرورياتها واضطراراتها كثيراً ما تنأى بالفرد فى واقعه عما يعتقده فى ضميره أو عما يدعو إليه غيره .

والفرد الفانى ما لم يتصل بالقوة الخالدة ضعيف مهما تكن قوته ، لأن قوى الشر والطغيان أكبر منه . وقد يغالبها مرة ومرة ومرة ولكنه أحياناً لحظة ضعف تنتابه

فيتخاذل ويتهاوى ، ويخسر ماضيه وحاضره ومستقبله . فأما وهو يركن إلى قوة الله عز وجل فهو قوى قوى أقوى من كل قوى[1] .

ولذلك يجب على كل من يتصدى للدعوة إلى الله عز وجل ويسهم فى مشروع نهضة الأمة وإحياء بعثها من جديد أن يترجم الآمال إلى أفعال والأقوال إلى أعمال حذراً من آفة رجال الدين قال فيهم المولى عز وجل :

﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾

(البقرة : 44) .

ويجب عليه أن يكون قدوة حية بعمله وسلوكه وأخلاقه وسيرته وسريرته قبل أن يطلق لسانه بآماله فى الإصلاح والدعوة إلى الله لأن الناس تسمع بأعينهم لا بآذانهم . لذا شعارنا الدائم لا أمل بدون عمل .

ماذا يعني العمل للإسلام ؟!

إن العمل للإسلام يعنى العمل على هدم (المجتمع الجاهلى) فى كل ركن من أركانه وإقامة (المجتمع الإسلامى) فى كل شأن من شئونه . . يعنى استئصال الجاهلية كلها « سواء كانت جاهلية أفكار أم جاهلية نظم أو جاهلية أخلاق . . ويعنى ذلك مواجهة دعاة هذه الجاهلية والمدافعين عنها ، ويعنى أخيراً إقامة حكم الله فى الأرض وهدم حكم الطاغوت . . . »[2] .

إن طريقاً كهذا الطريق الصعب الشاق . . وإن أهدافاً كهذه الأهداف الضخمة الكبيرة . . وإن تكاليف كهذه التكاليف الجسيمة الثقيلة . . ينوء بحملها ضعفاء الإيمان ، ولا يستطيع التصدى لها إلا من وقف حياته للجهاد فى سبيل الله ، وإلا

(1) فى ظلال القرآن جـ 1 / 67 .
(2) كيف ندعو إلى الإسلام ؟ للأستاذ / فتحى يكن / 12 بتصرف .

من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ـ وإلا من استخلص نفسه من الشغف بمتاع الدنيا وشهواتها والإقبال على مفاتنها ومغرياتها ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾(النازعات : 40 ، 41) .

إن شرف العمل للإسلام لا يستحقه دعي بلسانه ، أو متشدق ببيانه ، إنما يستحقه الذين يعيشون للإسلام ويموتون من أجله لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله والجهاد فى سبيله ﴿ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (التوبة : 111) .

لذلك يا شباب فإن طريق الجنة وعر وشاق ، وان سلعة الله غالية لا ينالها إلا من دفع الثمن وسدد الحساب . . وصدق رسول الله (ﷺ) حيث يقول « **من خاف أدلج . . ومن أدلج بلغ المنزل . ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة** »[1] .

والنماذج التى تدل على صدق البيعة مع الله على العمل والتضحية لهذا الدين سطرتها كتب السيرة بمداد من نور وحفظها التاريخ فى ذاكرته الواعية ميراثاً ضخماً تليداً وتاركاً لدعاة الاسلام عبرة وآية وزاداً على الطريق . وتأملوا معى يا شباب هذا النموذج الفذ لرجل من الأعراب جاء إلى النبى (ﷺ) فآمن به واتبعه . فلما كانت غزوة « خيبر » غنم رسول الله (ﷺ) شيئا فقسمه وقسم للأعرابى .

فقال الأعرابى للرسول (ﷺ) : ما على هذا اتبعتك . . ولكن اتبعتك على أن أرمى ها هنا ـ وأشار إلى حلقه بسهم ـ فأموت فأدخل الجنة . فقال : « **إن تصدق الله ليصدقنك الله** » . ثم نهضوا إلى قتال العدو فأتى به وهو مقتول . فقال الرسول (ﷺ) : « **أهو هو** » ؟ قالوا نعم . قال : (**صدق الله فصدقه**) .

هذا هو طريق الجنة يا شباب الإسلام . . عمل متواصل . وجهاد مستمر ،

---

(1) رواه الترمذى والحاكم .

وحرص على الشهادة ، وبيعة صادقة ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ .

فى آفاق ركن العمل .. واجبات للعمل ..

وللأستاذ البنا رؤية فى محاور ركن العمل خاطب بها شباب الدعوة كثيراً قائلاً : « **العمل مع أنفسنا أول واجباتنا** ، فجاهدوا أنفسكم واحملوها على تعاليم الإسلام وأحكامه ، ولا تتهاونوا معها فى ذلك بأى وجه من الوجوه ، أدوا الفرائض ، وأقبلوا على الطاعة ، وفروا من الإثم ، وتطهروا من العصيان ، وصلوا قلوبكم ومشاعركم دائماً بالله الذى له ملك السموات والأرض ، قاوموا العجز والكسل ، ووجهوا شبابكم ومشاعركم وعواطفكم إلى الفضيلة الطاهرة النقية ، وخالفوا نزعات الطيش ومضلات الفتن ، واحرصوا على الوقت ، فلا تصرفوه فى غير فائدة ، وحاسبوا أنفسكم فيه حساباً عسيراً ، واحذروا أن تمر دقيقة واحدة لا تكون لأحدكم فيها عمل طيب وسعى مبروك .

والعمل مع بيوتكم وأسركم أيها الإخوان أقدس واجباتكم ، فالأمة هى مجموع هذه الأسر ، وإذا قويت دعائم الأسرة قوى بناء المجتمع ، واطمأننا على الجيل الجديد كل الاطمئنان ، فتلطفوا مع أهليكم ، وأسركم وأصدقائكم وأقربائكم واحملوهم جميعاً على خطتكم ، واقنعوهم فى أدب ولطف ومنطق وحجة بوجاهة رأيكم ، واعتدال طريقتكم ، وفائدة عملكم ، حتى يكونوا معكم فيما أنتم بصدده من عمل مجيد نبيل .

ووحدتكم أيها الإخوان ، وارتباطكم هو السلاح الأول ، وهو أقوى الأسلحة فى أيديكم ، فاحرصوا على هذه الوحدة ، وكونوا دائماً مع الجماعة ، ولا تخالفوا عن أمر إخوانكم ، ولا تفرقن بينكم المشاغل الزائلة ، ولا الأوهام القاتلة[1] .

---

(1) مجلة الدعوة ـ العدد 82 ـ شوال 1419 هـ ـ يناير / فبراير 1999 م .

انشروا الفكرة فى كل محيط يتصل بكم : فى الحوانيت ، والشوارع ، والبيوت ، والمساجد ، والمقاهى ، والمجالس العامة ، والخاصة ، وفى القرى ، والريف ، وفى المدن ، والعواصم ، وفى المصانع ، والمعامل ، والحقول ، والمدارس ، واجمعوا قلوب الناس جميعاً على كتاب الله وتحت لواء محمد رسول الله (ﷺ) أفضل خلق الله أجمعين ورحمة الله للعالمين ، فلواؤه لواء الحمد ، وشرعته منهاج الرشد ، وهديه أفضل الهدى ، ومن استظل بظله وسار تحت رايته فاز فى الدنيا بالنصر ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ﴾ (الحج : 40) وفاز فى الآخرة بالأجر ﴿يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ (التحريم :8) .

واجعلوا فى كل شارع جماعة إخوانية ، وفى كل قرية كتيبة قرآنية ، وفى كل مدينة راية محمدية ، وفى كل فج من الفجاج أخا يهتف بمبادئكم وينادى بتعاليمكم ويعطى كلمتكم ، ويبايع بيعتكم ، ويجهز نفسه ليظل مكانه فى الصف ، وإن يوم النداء لقريب .

ألفوا الفرق الرياضية بأنواعها فى شُعبكم ، فالقوة شعاركم ، ولا قوة فى جسم ضعيف ضئيل ، ووجهوا عنايتكم إلى « الجوالة » وليكن فى كل شعبة من شعبكم فرقة من شبابها ، فهو الجهاد فى سبيل الله ، وهو ذورة سنام هذا الدين وهو الدرب الذى يضاعف الله فيه الأجر ويجزل المثوبة .

كونوا الكتائب ، فإن جيوش الليل تنزل بالنصر على جيوش النهار ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (آل عمران : 126) .

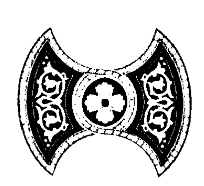
وأنيروا حنادس[1] الظلام بآيات الكتاب الكريم ، وناجوا الله والناس نيام يذل لكم أعداؤكم ، ويبارك فى أعمالكم ، ويرزقكم التأييد والمعونة ، ولله الأمر من قبل ومن بعد .

---

(1) الحندس ـ بالكسر : الليل المظلم [القاموس المحيط مادة : [حندس] والحنادس : ثلاث ليال فى آخر الشهر (المعجم الوسيط : مادة حندس) .

اقتصدوا من أموالكم لإيمانكم ومستقبلكم ، فإنكم لا تدرون ما الموقف غداً ، ولا يصرفكم ذلك عن الثقة بمولاكم ، والاعتماد على بارئكم ، وإنما هو على حد قول النبى الصالح :

﴿ يَا بَنِيَّ لا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ ﴾ (يوسف : 67) .





كل قول لا يبنى عليه عمل فالخوض فيه من التكلف الذي نهينا عنه شرعا

الواجبات أكثر من الأوقات فأعن أخاك على الانتفاع بوقته

المسئولية تكليف لا تشريف

لا يقبل العمل إلا من كان : خالصاً ، صائباً

صواب القول من صواب العمل

العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب

نفسك إن لم تشغلها بالحق .. شغلتك بالباطل

لا اجتهاد مـع النــص

اقتصاد في سنة خير من اجتهاد في بدعة

لا تكتم علماً ولا جهلاً

لا نحب ولا نكره إلا في الله

لا إيثار في الطاعات

إنكار المنكر واجب ولو بالقلب

المسلم لا يسعه إلا العمل الجماعى

نحكم بالظاهر والله يتولي السرائر

التضعيف قبل التوثيق



خير الأعمال أدومها وإن قل

درء المفاسد مقدم علي جلب المصالح

المحنة متوقعة دائماً

التمس لأخيك سبعين عذراً

اعقلها وتوكل

نثق بقيادتنا

نريد دعاة مسلمين لا مسلمين فقط

حسن الظن واجب شرعى

نريد بالمكث .. ما نريد بالحث

دع ما يريبك إلي مالا يريبك

من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه

الانتقاء يقي المصارع

الإيمان يزيد وينقص

لا إفراط ولا تفريط

وزن المسلم بحسناته وأخطائه معاً



لذة في لحظة معصية .. ننال منها عذاباً أليماً أمد الحياة .. أو مشقة في لحظة طاعة ننال منها نعيماً مقيماً أمد الخلود

لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع الإصرار

الإفراط في التورية قد يؤدي إلي الكذب

اختلافاتنا الفقهية لا تؤثر في علاقاتنا الأخوية

نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه

استعينوا علي قضاء حوائجكم بالكتمان

إنما الإعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوي

لكل عمر شره ، ولكل شرَه فترة فمن كان فترته إلي سنتى فقد اهتدي

اعمل عمل رجل يعلم أن الله لا يُصلح عمل المفسدين

لن يضيع امرؤ صواب القول حتي يضيع صواب العمل

إياك وما يفسد عليك عملك فإنما يفسد عليك عملك الرياء

من سام بنفسه فوق ما يُساوي رده الله تعالي إلي قيمته

لا تمضوا في طريق اليأس ، ففي الكون آمال . ولا تتجهوا نحو الظلمات ، ففي الكون شموس .



كم من سراج قد أطفأته الريح وكم من عبادة أفسدها العُجب

العجب أن تستكثر عملك وتستقل عمل غيرك

إنما يتعثر من لم يخلص

كل ما لا يُراد به وجه الله يضمحل

لا خير في طاعة هاوية

ما صلح لسان أحد إلا وصلح عمله

خلّ الطريق لمن يبنى المنار به

نفس تنجيها خير من إمارة لا تحصيها

من سمع بدعة فلا يحكها لجلسائه

تفقهوا قبل أن تسوّدوا

العسكر الذى تسوده البطالة يجيد الشغب

حفت النار بالشهوات وحفت الجنة بالمكاره

لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق

من ذم نفسه أمام الملأ فقد مدحها

نبدأ بالأهم قبل المهم

إياكم وكل هوي يسمي بغير الإسلام

حددوا غايتكم وأهدافكم

الغاية هى النهاية ، وهى أسمى مطلب يسعى إليه الإنسان ، والذى ليس بعده شىء ، وغاية الإنسان فى هذه الحياة لابد أن تكون وفق مراد الله لخلقه والغاية من الخلق هى العبودية « أو العبادة » للخالق تبارك وتعالى مصداقاً لقوله تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات 56) .

والإمام الشهيد يطالب الشباب تحديد الغاية حتى لا تضل بنا الدروب والسُبل فيخيب السعى ، فقال عن الغاية .

إن القرآن حدد غايات الحياة ومقاصد الناس فيها ، فبين أن قوماً همهم الحياة :

(1) الأكل والمتعة :

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾ (محمد : 12)

(2) الزينة والعرض الزائل :

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾

(آل عمران : 14) .

(3) إيقاد الفتن وإحياء الشرور والمفاسد

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴾ (البقرة : 204ـ205) .

يا شباب . . . تلك مقاصد من مقاصد الناس فى الحياة وكلها مقاصد منحرفة

لذا نَزَّهَ عز وجل المؤمنين عنها وبَرأهم منها وكلفهم مهمة أرقى ، وألقى على عاتقهم واجباً أسمى ، ذلك الواجب هو :

هداية البشر إلى الحق ، وإرشاد البشرية جميعا إلى الخير ، وإنارة العالم بشمس الإسلام :

قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ (الحج : 77ـ78) .

وبعد . . . يقول الإمام الشهيد مخاطباً الشباب :

« فبربك يا عزيزى هل فهم المسلمون من كتاب ربهم هذا المعنى ؟

فسمت نفوسهم ورقت أرواحهم

وتحرروا من رق المادة ، وتطهروا من لذة الشهوات والأهواء .

وترفعوا عن سفاسف الأمور ودنايا المقاصد .

ووجهوا وجوههم لله الذى فطر السموات والأرض حنفاء يعلون كلمة الله ويجاهدون فى سبيله .

ينشرون دينه ويذودون عن حياض شريعته » .

وهنا نرى الإمام الشهيد يعرض لآثار وضوح الغاية عند أصحابها وأكد على هذا ، ولكن . . .

لماذا هذا الفهم ؟



حتى لا نستوي مع أسري الشهوات ، وعبيد الأهواء والمطامع الذين كل همهم لقمة لينة ، ومركب فاره ، وحُلة جميلة ، ونومه مريحة ، وامرأة وضيئة ، ومظهر كاذب ، ولقب أجوف .

كما قال الشاعر :

لأنهم رضوا بالأماني ، وابتلوا بحظوظهم . .

وخاضوا بحار الجد دعوى فما ابتلوا

وصدق رسول الله (ﷺ) : « **تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد القطيفة** »[1] .

وبعد هذا العرض لمختلف الغايات والحديث عن غاية الإنسان المسلم نتساءل . . أين إذن تقع غاية المسلم بين هذه الغايات[2] .

* ابتداء . . ينبغى أن نتذكر أن المسلم الحق يختلف عن غيره من الناس فى نظراته وإيمانه بالغيب وما وراء الحياة من حقائق وأحداث وتصوراته حول الحياة الدنيا وحقيقتها .

فالمسلم الحق يوقن أن مصيره ونهايته وحياته لا تنتهى بنهاية الحياة الدنيوية كما يتوهم الماديون السطحيون . . بل يوقن أن الحياة الحقة . . الحياة الأبدية الخالدة . . تبدأ بنهاية هذه الدنيا وزوالها .

---

(1) رسالة إلي أى شيء ندعو الناس .
(2) غايتنا أخطر قضية في حياة المسلم ، عبد الحليم الكناني 33 ـ 38 .

﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (العنكبوت : 64) .

وقد تحددت أمام الإنسان نهايتان لهذه الحياة . . ومصيران لا ثالث لهما . . عليه أن يختار بينهما ، حددهما الرسول الكريم بقوله : « **أما أنه ليس بعد الموت من مستعتب . . وليس بعد الدنيا من دار . . إلا الجنة أو النار** » .

ومن ثم فإن أهم ما يجب أن يشغل تفكير ووجدان المسلم هو مصيره ، بعد هذه الحياة الدنيا . . وإلام ينتهى أمره فيها ؟

* الأمر الثانى أن أعظم غاية وأخطر قضية يجب أن نحياها هى فوزنا فى حياتنا الأخروية . . وأن ننجو من الخسران فيها . . وكيف لا ؟وقد علمنا أنها هى الحياة الأبدية الخالدة التى لا تفنى ولا تنتهى .

وكيف لا . . يا شباب وقد أيقنا سلفاً أن الفوز فى الآخرة . . هو الفوز العظيم . . وأن الخسران فيها هو الخسران المبين والفوز فى الآخرة هو الفوز بدار الخلد والنعيم . . الجنان التى أعدها الله لمن رضى عنه من عباده . . وكفى برضوان الله وجنته فوزاً وغاية . .

والخسران فى الآخرة . . هو الخلود فى دار الهوان . . النار التى أعدها الله للمغضوب عليهم من عباده الضالين وكفى بغضب الله وعذابه خسراناً مبيناً .

ولنعيش تصوير هذا الأمر العظيم الذى صورة الرسول (ﷺ) لنعرف الفرق بين المصيرين . . يقول (ﷺ) :

« **يؤتي بأنعم أهل الدنيا من أهل النار ، فيصبغ في النار صبغة . . ثم يقال له : يا ابن آدم هل رأيت خيرا قط ؟ هل مر بك نعيم قط ؟ فيقول : لا والله يارب . . ويؤتي بأشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ في الجنة صبغة ، فيقال له : يا ابن آدم ، هل رأيت بؤساً قط ؟ هل مر بك شدة قط ؟ فيقول : لا والله يارب ، ما مر بي بؤس قط ، ولا رأيت شدة قط** » .

* فأى فوز يا شباب لمن تمتع فى الدنيا بكل أنواع النعيم . . ثم كانت نهايته النار وأى خسارة لمن فاتته متع الدنيا ولذاتها . . وذاق شدتها وضنكها . . ثم نسى ذلك كله بصبغة واحدة فى الجنان وذلك ما حدده القرآن الكريم . . حيث يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (التوبة : 72)

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴾ (البروج : 11)

﴿ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (المائدة : 119)

﴿لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾

(الحشر : 20)

﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ (آل عمران : 185)

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (٧) جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾

(البينة : 7،8)

﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾

(المؤمنون : 103)

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ﴾ (البقرة : 207)

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء : 114)

وكان رسول الله (ﷺ) ـ يا شباب يكثر من الدعاء ويقول :

« **اللهم إني أسألك رضاك والجنة .. وأعوذ بك من سخطك والنار** » .

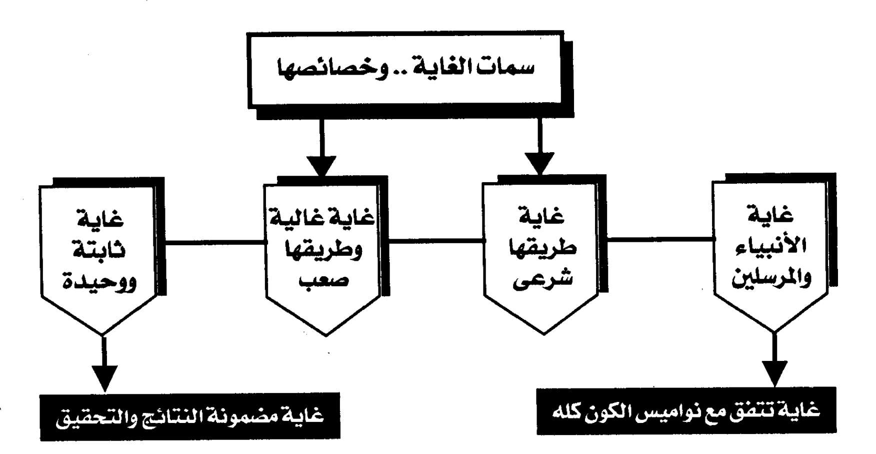
*** يا شباب .. يا اخوتى ..**

« ألا هل من مشُمر للجنة . . إن الجنة لا خطر لها . . هى ورب الكعبة نورٌ يتلألأ . . وريحانة تهتز وقصر مشيد . . ونهرٌ مطرد . . وفاكهة كثيرة نضيجة . . وزوجة حسناء جميلة فى حبرة ونعمة . . فى مقام أبداً ونضرة . . فى دار عالية بهية سليمة » .

. . . .

ومن هذا كله يتبين يا شباب أن غاية المسلم الحقة :

هى الفوز برضا الله وجنته . . والنجاة من غضبه وناره ، فتلك هى الغاية . . وهى قضية القضايا ومنتهى الأهداف . . وأعظم الآمال والطموحات . . ولا شيء غيرها يدانيها . . أو يقارب شأنها ومنزلتها .



هذه الغاية المتفردة يا شباب لها سمات وخصائص متعددة . . تميزها عن غيرها من غايات الماديين القاصرة والمنحرفة .

وأول ما يطالعنا من هذه السمات والخصائص(1) :

(1) غاية الأنبياء والمرسلين :

فما كان للأنبياء والمرسلين غاية غيرها . . وما أهمهم أمر سواها وحسبنا شرفاً يا شباب أن نعمل لغاية عمل لها صفوة خلق الله من الأنبياء والمرسلين . .

فكانوا جميعاً يعلنون لأقوامهم . . لا نسألكم أجراً ولا مالاً . . ولا نبتغي منكم جزاءً ولا شكوراً ، فهذا نوح عليه السلام يخاطب قومه قائلاً :

﴿لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ ﴾ (هود : 29)

* ونبى الله هو عليه السلام قائلاً :

﴿لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي ﴾ (هود : 51)

* وهذا موسى عليه السلام حين دعا ربه . . وواعده جانب الطور الأيمن فسبق قومه متعجلاً لقاء ربه . . كما حكى لنا القرآن الكريم

﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ (٨٣) قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾ (طه 83 ، 84) .

وحياة رسولنا الكريم (ﷺ) خير مثال على ذلك . . فكان من دعائه (ﷺ) :

« إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي »

« اللهم إني أسألك رضاك والجنة . .وأعوذ بك من سخطك والنار »

---

(1) المصدر السابق .

وكان يوصى دائماً . .

« لا تنسوا العظيمتين . . الجنة والنار » .

(2) غاية طريقها شرعى ومحدد :

لا تقبل الوسائل المنحرفة والملتوية ، فليس هناك مجال لمبدأ « الغاية تبرر الوسيلة » وإنما الغاية الشريفة السامية لا تقبل إلا الوسائل الشريفة . . ولا تكون الوسيلة شريفة إلا إذا كانت موافقة للشرع ويبتغى بها الوصول للغاية ألا وهى رضا الله دون أى غرض آخر وذلك هو ما حددته آيات القرآن الكريم :

﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾

(الكهف : 110)

إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً وصواباً .

* **فالعمل الخالص** : هو ما ابتغى به وجه الله عز وجل ورضاه وحده

والصواب : هو ما كان موافقاً للشرع على هدى الرسول (ﷺ) ، ولذلك قال الرسول (ﷺ) :

« إن الله تعالي طيب لا يقبل إلا طيبا ، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يدعو يارب . . يارب . . ومطعمه حرام وملبسه حرام . . وغذي بالحرام . . فأني يستجاب له ؟ » .

وقال عمن بلغه أنها تتصدق من ثمن زناها : « **ليتها لم تزن . . ولم تتصدق** » .

وهذا أمر بديهى فى حقيقة الأمر . .

« فإن الغاية النبيلة لا تحيا إلا فى قلب نبيل غمرته الربانية ، ولا يمكن لهذا القلب أن يستخدم وسيلة خسيسة لتحقيق الغايات النبيلة فالوسيلة الخسيسة تدنس أرواح من يستخدمونها .

لذا فإن المسلم الربانى الذى غايته الله ومرضاته يتحرى الوسائل الطيبة الطاهرة لتحقيق هذه الغاية .

أما الماديون فلأن غاياتهم مادية وتدور حول منافع شخصية ، فإنهم لا يتورعون عن سلوك واستخدام أية وسيلة تبلغهم أهدافهم وإن كانت خسيسة حقيرة » [1] .

(3) غاية غالية وطريقها صعب :

لأن غايتنا مطلبها غال وشريف . . فهى ليست بالأمر الهين . . ولا الغنيمة الباردة . . فلا ينالها إلا من بذل الجهد الجهيد ودفع الثمن . . وبذل نفسه وماله ، بل وحياته كلها فى سبيلها . . لأن من طلب عظيماً خاطر بعظيمته .

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾ (التوبة : 111)

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾

(آل عمران : 142)

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾

(البقرة : 214)

وما دامت غايتنا غالية فإنها سلعة ثمينة ومطلوب أداء الثمن وأحاديث الرسول (ﷺ) تصرح بذلك فى وضوح « **ألا إن سلعة الله غالية .. ألا إن سلعة الله الجنة** » .

وكذلك طريقها صعب مفروش بالأشواك ملىء بالعقبات الكؤد ولا يستعذب طريقها إلا أولو العزم من أصحاب الدعوات وشعارنا فى الطريق (عمل متواصل) لأن على الطريق إشارة تقول « **حفت الجنة بالمكاره .. وحُفَّت النار بالشهوات** » .

---

(1) بين الربانية والمادية للأستاذ / مصطفي مشهور .

فيا شباب الحق لقد فهم أصحاب الدعوات هذا المعنى جيداً وعلموا أن للجنة ثمن فنادى أحدهم فى بيان واضح : يا مغرور ، تريد أن تسكن الجنان . . وتجاور النبيين . . وتتمتع بالحساب بأى شهوة تركتها ؟ بأى غضب كظمته ؟

واسمعوا يا شباب إلى (يحيى بن معاذ) وهو يخبرنا عن قدر هذه الغاية فيقول : « ما أمر الإنسان فى هذه الدار ولو طال إلا كنفس واحد فى جنى عيش الجنة ، ومن ضيع نفساً واحداً يعيش به عيش الأبد : إنه والله من الخاسرين »(1) .

فلنعلم يا شباب أين المقصد ، وليكن الشوق إلى الغاية حادينا ، والسهر راحتنا والنصب لذتنا فليس لنا راحة إلا حين نحط رحالنا تحت شجرة طوبى ولا نكن من ضعفاء العزم فالغاية غالية وطريقها صعب .

واسمعوا لابن القيم يصف الطريق . . محذراً ضعفاء العزم قائلاً :

« يا ضعيف العزم أما تعلم أنك تسير فى طريق ناح فيه نوح . . وألقى فى النار إبراهيم وأضجع للذبح إسماعيل . . وذبح السيد الحصور يحيى ، ونشر بالمنشار زكريا : . ولبث يوسف فى السجن بضع سنين . . ولاقى الأذى والعنت محمد (ﷺ) . .

فطريق غايتنا لا يُعبد إلا بالدماء ، لذا هتف حادينا على الطريق . .

يا سيد الرسل طب نفساً بطائفة

باعوا إلى الله أرواحاً وأبدانا

أعطو ضريبتهم للدين من دمهم

والناس تزعم نصر الدين مجانا

(1) تنبيه المغترين صـ 109 .

اعطوا ضريبتهم صبراً على محن

صاغت بلالاً وعماراً وسلماناً [1]

فياشباب غايتنا الجنة وإنها تبغى ثمناً عز إلا من شرايين الشهيد .

(4) غاية ثابتة ووحيدة :

لأنها غاية تجعل همة المؤمن التقى متعلقة بالآخرة ، لا تتغير بتغير الأحوال والظروف فكل حركة وسكنة تحركه نحو الغاية وكما قالوا :

« همك ما أهمك »

« ألم تر إلى أرباب الصنائع لو دخلوا إلى دار معمورة رأيت البناء ينظر إلى الحائط والنجار ينظر إلى الباب والنوافذ ، والحائك ينظر إلى النسيج فكذلك المؤمن اليقظان : إذا رأى ظلمة ذكر ظلمة القبر ، وإذا شكا ألماً ذكر العقاب ، وإن سمع صوتاً فظيعاً ذكر نفخة الصور ، وإن رأى نياماً ذكر الموتى فى القبور ، وإن رأى لذة ذكر الجنة »[2] .

* هكذا يا شباب نفكر للغاية ، نتحرك لها ، نبسم لها . نحزن ونألم لها هى غاية المؤمن طالباً وعاملاً ، وصانعاً وفقيراً أو غنياً ومعافاً أو مريضاً ، تتضاءل بجانبها كل الأحلام ، لا تزاحمها فى القلب أى أمنية لا يستعبد قلبه سواها . .

فى الرخاء ينطلق بها ولها يسعى ، وفى المحنة يمسك عليها ويصبر ، ويسير فى قافلة الدعاة يردد مع مروان أنشودته العذبة . .

أحـزان قلـبى لا تـزول حـتى أبشـر بالقبـول

وأرى كتـابى باليمـين وتقـر عيـنى بالرسـول

---

(1) نفحات ولفحات د/ يوسف القرضاوي .

(2) صيد الخاطر صـ 321 .

حتى يقول :

القلـــب دومـــاً فى ســـقام ما لـــم يجـــاهد الطـــغام

ســـنطارد الكفـــر الدخـــيل ونعـــيد للأرض الســـلام

وغايتنا كذلك يا شباب لا تقبل الند أو الشريك . . فالله عز وجل لا يقبل عملاً أشرك معه فيه غيره فيقول سبحانه « **أنا أغني الشركاء عن الشرك . . فمن عمل عملا أشرك فيه غيري تركته لشركه** » .

حتى ولو كان جهاداً ، سئل الرسول (ﷺ) عن الرجل يجاهد يبغى الآجر من الله والذكر من الناس ، قال « **لا أجر له** » .

(5) غاية مضمونة التحقيق :

أى أن غايتنا تتحقق بمجرد السعى لها ، فما من ساع فى طريقها إلا حاز شرف القرب ، وذاق حلاوة الوصل ، يكفيه أن يكون عمله خالصاً لله ، ويبغى به رضاه سبحانه وتعالى وحده ، وأن يكون عمله موافقاً للشرع ملتزماً بحدود الدين . . وإن لم يتحقق الهدف ويبصر النتائج ، أو حتى يكون لعمله أثر ونتائج . . ففجر الأجر يلوح من عليين .

والأمثلة على ذلك جَمَّة وكثيرة . .

فأصحاب الأخدود شهداء الساعات القليلة بموتهم قد يبدو لنا انطماس قافلة الإيمان وغياب دولة الحق ولكن لأن المعركة معركة الأرض والسماء ونهاية الطريق الجنة ، وليس الأخدود ، أصبحوا هم الفائزون ، قال عنهم عز وجل :

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ (البروج :11)

انظروا ماتوا فى مشهد رهيب دون نصر أو تمكين ومع ذلك فى الجنان مع الفائزين . . .

وهؤلاء صحابة الرسول (ﷺ) الذين لم يشهدوا نصر الإسلام بأعينهم ، ولم تقر أبصارهم برايات الفتوحات فى مشارق الأرض ومغاربها بلال ، وعمار ، وسمية ، وآلاف سواهم غذيت شجرة الإسلام بدمائهم حتى قال قائل أن كل متر مربع من دولة الإسلام مترامية الأطراف كبد المسلمين ستة من الشهداء . . ومع ذلك كانت لهم البشرى فى الحياة الدنيا والآخرة . . « **صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة** » .

وهذا يا شباب هو ما يميز غايتنا من غاية سوانا من أصحاب المتع والشهوات ، الذى لا تتحقق غايته إلا عندما ينالها ، وعندما لا تتحقق هذا الغايات يكون قد خسر كل شىء . . كمن يطلب كرسى أو منصب أو جاه . . فإن لم يصل إلى غايته . . فهو الخسران المبين رغم كل ما بذله فى سبيلها من كد وتعب .

(6) غاية تتفق مع نواميس الكون كله:

فالكون كله خاضع لله . . مسلم له مسبح بحمده . . متوجه إليه ، يقول الله تعالى : ﴿**سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ (الحديد : 1)

يقول الأستاذ / سيد قطب رحمه الله (1) : تتجاوب أرجاء الوجود كله بالتسبيح لله ، ويهيم كل شىء فى السماوات والأرض ، فيسمعه كل قلب مفتوح غير محجوب بأحجبة الفناء . . كل ما فى السماوات والأرض له روح ، يتوجه بها إلى خالقه بالتسبيح . .

وقد جاء فى القرآن الكريم ﴿ **يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ** ﴾ (سبأ : 10) . . فإذاً الجبال كالطير تؤوب مع داود ! وجاء فى الأثر : أخرج مسلم فى صحيحه عن جابر بن سمرة قال : قال رسول الله (ﷺ) : « **إن بمكة حجرا كان يسلم علي ليالي بعثت إني لأعرفه الآن** » . وروى الترمذى ـ بإسناده ـ عن على بن أبى طالب ـ كرم

(1) الظلال جـ 6 / 3478 بتصرف .

الله وجهه - قال : كنت مع رسول الله بمكة فخرجنا فى بعض نواحيها ، فما استقبله شجر ولا جبل إلا وهو يقول « السلام عليك يا رسول الله » .

انظروا يا شباب حين ينسجم المسلم مع الكون كله ويصير هو الآخر يسير ضمن المعزوفة الرائعة المسبحة للخالق البارىء فى هذا الكون وينضم بكل جوارحه لهذا الكون الخاضع لجناب مولاه . . ويتفق فى حياته وحركته مع حركة التناغم الموجودة فى الكون . . وتصير غايته وغاية الكون كله هى إرضاء المولى عز وجل . . وينضوى تحت لواء قوله تعالى : ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾

(آل عمران : 83) .

وقوله عز وجل : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾

(الإسراء : 44) .

*** العلاقة بين الغاية والوسيلة :**

يقول الإمام الشهيد فى رسالة المؤتمر الخامس : « إن غاية الإخوان تنحصر فى تكوين جيل جديد من المؤمنين بتعاليم الإسلام الصحيح يعمل على صبغ الأمة بالصبغة الإسلامية الكاملة فى كل مظاهر حياتها ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ﴾ (البقرة : 138) وأن وسيلتهم فى ذلك تنحصر فى :

(1) تغيير العرف العام .

(2) تربية أنصار الدعوة على هذه التعاليم حتى يكونوا قدوة لغيرهم فى التمسك بها والحرص عليها والنزول على حكمها .

الطريق إلى هذه الغاية :

يقول الإمام : وأنهم ساروا إلى غايتهم فى حدود وسيلتهم فوصلوا إلى درجة من النجاح يطمئنون إليها ويحمدون الله عليها .

وبعد هذا العرض للإمام الشهيد عن الغاية والإشارة للوسائل نريد أن نجيب عن سؤال هام : هل الغاية تبرر الوسيلة أم لا ؟

ونقول : غلب على الناس فهم خاطىء هو [1] :

أن الأخلاقيين لا تبرر الغاية عندهم الوسيلة ، وغير هؤلاء تبرر الغاية عندهم الوسيلة . . وهذا خطأ ، فليست كل وسيلة مقبولة من أجل غاية ، وليست كل غاية مقبولة أصلاً .

وفى دعوتنا الغاية الإسلامية - وهى المولى عز وجل - تحتاج إلى وسيلتها الإسلامية ، ويجب أن تكون الغاية حقاً والوسيلة حقاً ، فإذا اتضح هذا فإن هناك حالات فى الإسلام بررت الغاية فيها الواسطة ، فمثلاً الكذب فى الإسلام مذموم ، ولكن إذا تعين الكذب للتخلص من ظالم أو لحماية مظلوم يصبح الكذب فى هذه الحالة واجباً ، على أن الفتوى هى التى تحدد ما يجوز وما لا يجوز سواء فى ذلك قضية الغايات أو قضية الوسائل .

نقول هذا يا شباب لتبيان أنه من الخطأ الكبير أن تأسرنا اصطلاحات الآخرين ، أو تقيدنا تصوراتهم ، فنحن مسلمون ، أهدافنا إسلامية ، وغاياتنا إسلامية ووسائلنا إسلامية ، فحيثما أجاز لنا الإسلام أن نتحرك تحركنا ، ولو كانت حركتنا غير مقبولة عند آخرين ، وحيثما حظر علينا الإسلام أن نفعل فلن نفعل ولو كان هذا الفعل يقربنا إلى آخرين .

آثار وضوح الغاية :

ونقصد بوضوح الغاية يا شباب . .

(1) استقرار حقيقتها كمعان فى العقل والفكر ، والمشاعر والوجدان .

(2) أن تحرك المشاعر وتهز الوجدان وتحرك الخطوات - وتهيج الأشواق - وتسيل المدامع .

(3) انتقال الشعور إلى سلوك يهيمن على التصرفات ويحدد الأعمال . . ويتحكم فى الأقول والأفعال .

---

(1) دروس في العمل الاسلامي ، سعيد حوي 53 .

(4) إخلاص النية . . وتجديدها ـ وتنقيتها مع كل حركة وسكنة [1] .

ومن آثار وضوح الغاية أيضا الإخلاص بمعنى أن :

(1) يستوى عنده مدح الناس وذمهم .

(2) استواء العمل فى السر والعلن .

(3) إنكار الذات ، وإخفاء العمل .

(4) الثبات على العمل مهما طال الزمن وتغيرت الظروف والأحوال .

(5) ألا يتأثر العمل والجهد بما يحدث من نتائج .

(6) رفض المطامع والمغانم الدنيوية وإيثار الأجر الأخروى .

(7) الارتباط بالمبادىء لا بالاشخاص .

المحبة والخوف والرجاء ويثمر هذا :

(1) الجد فى الطاعة والعبادة .

(2) الخوف مما بدر من الذنوب ـ والحذر من المعصية .

وأخيراً .. يثمر وضوح الغاية . .

« اليقين والثقة والتوكل » [2] .

الغاية والإيجابية :

يا شباب . .

ليس المسلم الحق من يدعى أنه يشهر سيفه فى وجه الشيطان ويتقوقع على نفسه متوقعاً أن يقفز إلى الجنة بغير حساب ، ولكن المسلم من يتفاعل مع بيئته ومجتمعه بحيوية ليحدث هذا التغيير المطلوب .

---

(1) غايتنا أخطر قضية في حياة المسلم ـ بتصرف .

(2) لمزيد من التفاصيل انظر المصدر السابق للأستاذ / عبد الحليم الكناني .

فليس الإيمان بالتمنى ولا بالتحلى . . المسلم الذى يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير[1] وأحب إلى الله وأعلى درجة ممن يعتزلهم :

﴿وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ﴾ (النجم : 39ـ41) .

إن المسلم يا شباب لا يعيش فى فراغ ، وإنما يتفاعل مع ما حوله بصورة مستمرة حيث أن الشهادة على أعمال البشر ليست لله والرسول فحسب ، ولكن يشهد عليها الآخرون أيضاً ، فما الذى يرفع من درجة المسلم إذا ؟

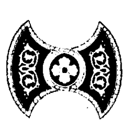
إن حديث رسول الله (ﷺ) واضح فى هذا الصدد إذ يقول :

« الخلق عيال الله أحبهم إليه أنفعهم لعياله » .

فالصلاة والصيام والذكر والتسبيح ليس المعيار الوحيد لتقييم صلاح المسلم ، وهنا تجدر الإشارة إلى القول المأثور **« من لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم »** .

وينبغى أن تثمر العبادات فى حياة المسلم المواصفات الإيجابية التى تؤهله لخدمة بنى الإنسانية . .

وتلك إحدى الغايات من الخلافة فى الأرض لبنى الإنسان .



(1) صحيح مسلم .

آمنوا تآخوا واعملوا

يا شباب الإخوة شعارنا . .

فى كلمات موجزة دفاقة بالإيمان يُرسى الإمام الشهيد دعائم وركائز تقوم عليها الجماعة المسلمة :

« فإن الأخوة شعارنا وشرعة دعوتنا ، وشعارها واسمها ، وميثاقها الذى واثقتنا به ، وكتابها الذى كتبته على نفسها وما زالت تأتى دعوتنا المباركة بصائر جديدة من تجاربها المتكررة ، تسرع بها إلى ابتغاء كل وسيلة إلى هذه الفضيلة ، وتجميع أنصارها إلى الله على التحابب ، والتكافل والتسامح ، ومكملات هذه الرواسى الشامخات ، وكمالها أن ترى من بعده وحدة الرؤية والفكر والخيال والرجاء والمصير . . وحدة القلب والروح » [(1)] .

ولقد أدرك الإمام البنا خطورة هذه الركيزة فجعلها ركناً من أركان البيعة وتحدث عنها فى سرور غامر بهذه الوحدة فقال :

« أيها الإخوان : لا أكتمكم أنى مزهو بهذه الوحدة الإخوانية الصادقة ، فخور بهذا الارتباط الربانى القوى المتين عظيم الأمل فى المستقبل ، وما دمتم كذلك أخوة فى الله متحابين متعاونين ، فاحرصوا على هذه الوحدة فإنها سلاحكم وعدتكم » .

لذا وجه الأستاذ البنا الشباب إلى هذه الرباط الوثيق وهذ العقد الذى ينعقد به الإيمان ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (الحجرات : 10) .

والأخوة فى دعوتنا يا شباب هى القاعدة التى تسوى بها الصفوف تسوية ترد المتقدم إلى مكانه وتقدم المتأخر على أقرانه ، فإذا نشب نزاع أو حدث هرج ومرج

---

(1) ممرات التربية الإسلامية د/ رائد عبد الهادى نقلا عن مقال الأخوة شعار أمتنا للراشد .

طبقت قوانين الإخاء على الكافة ونفذ حكمها « **لا يؤمن أحدكم حتي يحب لأخيه ما يحب نفسه** » .

الأخوة واجبة :

يقول ابن تيمية ـ رحمه الله ـ « فهذه الحقوق واجبة بنفس الإيمان والتزامها بمنزلة الالتزام للصلاة والزكاة والصيام والحج والمعاهدة على ما أوجب الله ورسوله وهذه ثابتة لكل مؤمن على كل مؤمن وإن لم يحصل بينهما عقد مؤاخاة »[1] .

فالأخوة وممارسة حقوقها إذن واجبة ، سواءً كانت مالية أو أخلاقية ، فيحب الداعية أخاه ، ويحسن الظن به ، ويكون صدره سليماً جهته ، ويعينه على نوائب الدهر حتى يجد بأخيه من شدة محنته ومودته كما رُوى فى حادثه تدل على شدة المحبة والألفة بين مُتحابين وذلك بأن :

« اثنان تآخيا فى الله سافرا معاً فى سفينة وقف أحدهما على حافة السفينة فزَلت به قدمه فوقع فى البحر ، فما إن شعر أخوه بهذا الحادث إلا وقد استولت عليه الدهشة ، فوقع وراءه فانتشلهما رجال السفينة . . فلما أفاق الأول ، رأى أخاه مبتلاً من أثر الغرق ، فقال : ما بالك فقال :

لقد فنيت بك عني فظننت أنك أني [2]

الأخوة هى الرابطة :

« فوثق اللهم رابطتها »

فى مفهوم الإمام البنا وهو يوصينا أن نلهج بهذا الدعاء كل مساء أنه ركن من أركان البيعة فسر معناه فقال :

---

(1) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية جـ 1 / 167 نقلا عن حتى لا نقتل الأخوة / آمنة عايد .
(2) حديث الثلاثاء للبنا / 337 .

أن ترتبط القلوب والأرواح برباط العقيدة والعقيدة أوثق الروابط وأعلاها والأخوة أخت الإيمان والتفرق أخو الكفر ، و أقل القوة قوة الوحدة ولا وحدة بغير حب ، وأقل الحب سلامة الصدر وأعلاه مرتبة الإيثار ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (الحشر : 9) .

والأخ الصادق يرى إخوانه أولى به من نفسه ، لأنه إن لم يكن بهم فلن يكون بغيرهم ، وهم إن لم يكونوا به كانوا بغيره ، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية .

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ ﴾ (التوبة : 71) .

وهكذا يجب أن نكون . . .

وكان يقول : دعوتنا تقوم على أركان ثلاثة[1] :

* الفهم الدقيق * الإيمان العميق * الحب الوثيق

وهذا يا شباب ما جاء به الإسلام وعاش فيه الأوائل قال (ﷺ) :

(المرء كثير بإخوانه) فلنعشها كما عاشها أبو أيوب السختياني رضي الله عنه فكان يقول :

(إذا بلغني موت أخ فكأنما سقط عضو مني)

أخاك أخاك إن من لا أخ له كساع إلى الهيجا بغير سلاح

وذلك لأن للأخوة لغة خاصة بها ، لا يعرفها إلا من عاشها وتذوق حلاوتها وقد قيل في ذلك :

(إنه لا يضيق سمّ الخياط على متحابين ولا تسع الدنيا متباغضين)

ومما حفظناه ونقش في صدورنا . .

---

(1) ورد القلوب / جمال ماضي .

وامش ميلاً وعُد مريضاً . .

وامش ميلين وأصلح بين اثنين . .

وامش ثلاثة وزر أخاً فى الله . . .

فما أروع جوها وما أجمل أريجها يا شباب . . وما أجلها من انصهار عضوين فى كيان واحد ، وامتزاج نفسين فى نموذج واحد ، والتقاء روحين فى شخصية واحدة ، وهل تكونت اللبنات الأولى للمجتمع المسلم فى المدينة إلا بهذه الأخوة ؟

وهل تكون القلب الواحد والشعور الواحد والأمل الواحد والألم الواحد إلا برباط الإخوة وعقدها المتين ؟

* عن أنس قال :

(آخى رسول الله (ﷺ) بين سلمان وأبى الدرداء ، وآخى بين عوف بن مالك وبين الصعب بن جثامة) .

سبحان من آخى وجمع بين هذا الشتات بين صهيب الروم وبلال الحبشة وسلمان الفرس لقد كانت هذه الأخوة بل إن شئت قل المنحة القدسية والإشراقة الربانية هى الترنيمة التى تهنأ بها النفوس والواحة التى فى ظلها ترتاح القلوب بعد عناء . . وهذا ما دفع محمد بن واسع إلى قوله :

لم يبق من العيش إلا ثلاث :

* الصلاة فى جماعة .

* وكفاف من معاش .

* وأخ حسن العشرة .

وأصبح الأخ بأخيه كالكف بالمعصم .

لا خير فى الكف مقطوعة ولا خير فى الساعد الأجذم

ورب أخ إخاء خير من أخ ولادة ، ولذلك وضع الصالحون شروطاً للمؤاخاة ، خاطبوا العقلاء وذوى الألباب ليحولوها إلى ممارسة عملية فكان من نصائحهم :

* أن تؤاخى من وافق سره علانيته ، لأن خير الثناء ما كان على أفواه الأخيار .

* أن تؤاخى من خالفك على الهوى وأعانك على الرأى الرشيد .

* ولقد أحسن العباس بن عبيد فى قوله :

كم من أخ لك لم يلده أبوكا وأخ أبوه أبوكا قد يجفوكا

يقول الشهيد (سيد قطب) فى الظلال عن هذه الرابطة « إنها المعجزة التى لا يقدر عليها إلا الله تعالى ، معجزة تحول القلوب المتنافرة إلى كتلة متراصة متآخية ذلول بعضها لبعض ، محب بعضها لبعض تتآلف بعضهم مع بعض » .

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ (الحجر : 47)

وهذه المعجزة تصنعها العقيدة ، إنها حين تخالط القلوب تستحيل إلى مزاج من الحب والألفة ومودات القلوب التى تلين جاسيها وترفق حواشيها وتندى جفافها وتربط بينها برباط وثيق عميق رقيق فإذا نظرة العين ولمسة اليد ونطق الجارحة وخفقة القلب ترانيم من التعارف والتعاطف والولاء والتناصر والسماحة والهوادة لا يعرف سرها إلا من ألف بين هذه القلوب ، ولا تعرف مذاقها إلا هذه القلوب .

*** الأخوة مودة ندعو .. الله أن يُديم وُدَّها :**

هذه المودة والأخوة رزق من المولى عز وجل ، فإذا رزقنا الله مودة أخ فلنحافظ عليها يا شباب ولنمسك بها :

فمشاعرى مع أخى لابد أن تتسم كلها بالمودة . .

فإن صَدَّ عنى أقبل عليه

وإن بعد عنى دنوت منه

وإن حرمنى بذلت له

حتى يصير ركناً من أركانى . .

لأن من أعجز الناس من يظفر بالإخوان ثم لا يحافظ على ودادهم ، فلنحافظ على المودة فإنها ماء الحياة .

ولله در القائل :

عليك . . بالإخوان . . فإنهم زينة فى الرخاء وعدة فى البلاء .

وخرج ابن مسعود يوماً على أصحابه فقال لهم :

« أنتم جلاء حزنى »

فصحبتهم سرور ، ومجالستهم حياة ، وإنهم لخير من كنز الذهب والفضة ، يفنى الكنز وهم كنز لا يفنى .

وهذه المودة تثمر الحب ، ولقد علمنا من رسول الله (ﷺ) أن الله أرسل رسولاً للأخ الذى زار أخاً . . لا لشىء . . إلا لأنه يحبه فى الله . . فقال له الرسول : (**إني رسول الله إليك وإن الله تبارك وتعالي أحبك كما أجببته**)

فأى روعة وجلال فوق هذا ؟ وأى كمال يسمو فوق هذا الكمال ؟

تعرفك السماء وأهلها . . ويحبك الله وملائكته . . وينادى فى الخلائق إنا نحب فلاناً فأحبوه . . إن زُرْتَ أخاً تحبه فقط . . فى الله .

فلنعيش هذه يا شباب هذه المودة في رحاب قول الرسول (ﷺ) :

« **إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخوانا** » .

* في رحاب المودة التي نرجوها . .

ولا ننظر يا شباب إلا لعيوبنا قبل النظر إلى عيب إخواننا

وما خير من تخفى عليه عيوبه ويبدو له العيب الذى لأخيه

ولا نعاتب إلا عند الإساءة ونغفر عند الاعتذار

يقول ابن سيرين : فما أروع ما كان بين أخوين قد تغير ودهما فقال الأول :

مالى أراك كالمعرض عنى ؟

قال : بلغنى عنك شيء كرهته .

فقال الأول : إذاً لا أبالى .

قال : ولم ؟

فقال : لأنه إن كان ذنباً غفرته ، وإن كان باطلاً لم تقبله . . ثم عاد الاثنان إلى المؤانسة وسحرها والأخوة وجمالها . . ويا لله حين يقول فى أخ لأخيه :

مثلى هفا ومثلك عفا

فيجيبه أخوه :

مثلك اعتذر ومثلى اغتفر . .

وينتهى ما لم يبدأ . . لتدوم مودتهما . .

ولقد ربى الإمام البنا رعيل الدعوة الأول على هذه المودة ، فمن المعانى الأساسية أن الاسم لا يحمل إلا هذا المعنى . . الإخوان . .

ومن ثم جعلها مرشدنا ـ الإمام الشهيد ـ أحد أركان البيعة العشرة وكان الأستاذ رحمه الله يبدأ أحاديث الثلاثاء بالمركز العام للجماعة بترغيب ساحر ، فتقوى أواصر الحب بين الإخوان ، يؤيد ذلك بالنصوص ووقائع السلف وكان الإخوان يطلقون عليها : « عاطفة الثلاثاء » وكان دائماً يعلن أنه مزهو بهذه الوحدة الإخوانية وكان من ثمرات التربية الإخوانية للإمام الشهيد هذا الانصهار العجيب الذى يلمسه كل من عرف الإخوان فيكتب (مصطفى أمين)فى عموده فكرة أنه لو عطس أحد الإخوان بالاسكندرية لشمته أخوه فى الصعيد . . واجتمعت نبضات الإخوان الحية فى ترنيمة واحدة لقلب واحد فى عالم رحب لا يعترف بحاجز أو فارق ، وتلتقى عبر الأثير أصدق نبرة فى الوجود : « إنى لأحبك فى الله » (1).

والتى كلما قويت ربى الرعب فى قلوب الأعداء ، فقديماً فى أمسنا الطريف التالد حين ركب المسلمون الأوائل البحر فى رحلة للجهاد وسقط من أحدهم إناؤه فيصرخ : إخوتاه إنائى إنائى !! فيغوص الجميع فى الماء بحثاً عن إناء أخيهم . . فيدب الرعب فى قلوب الروم ويقولون فى شدة وفزع :

انظروا إليهم كيف يصنعون حينما يسقط إناء أحدهم . . فكيف يصنعون بنا حين نقتل أحدهم !! ثم يفرون اليوم أمام جبل الأخوة . . التى من سماتها فى السلم عاطفة وإخاء . . وفى الجد صف وجهاد وهكذا يناشد الإمام الشهيد شباب الدعوة : آمنوا . . تآخوا . . اعملوا . .

---

(1) ورد القلوب أ/ جمال ماضى بتصرف .

اعلموا منزلتكم

* أيها الشباب ..

إن الله قد أعزكم بالنسبة إليه والإيمان به والتنشئة على دينه ، وكتب لكم بذلك مرتبة الصدارة من الدنيا ومنزلة الزعامة من العالمين وكرامة الأستاذ بين تلامذته .

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (آل عمران : 110) .

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ (البقرة : 143)

فى هذه السطور المشرقة من الرسالة يشير الإمام الشهيد إلى مصادر هوية الشباب المسلم وبواعث العزة والافتخار وهى :

(1) نسبتنا إلى الله ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (المنافقون : 8) .

(2) الإيمان بالله .

(3) التنشئة على الإسلام .

* ولما كان ميدان المعركة هو النفس البشرية وهدف أعدائنا هو طمس هوية المسلم وإزالة صبغة الله التى صبغنا بها ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ﴾ (البقرة : 138) وذلك بإفساد تكوين الإنسان المسلم حتى لا يصلح أن يحمل إسلامه يوماً ما . . فمن ثم كان جوهر رسالة الإمام الشهيد التى خاطب بها الشباب هو الحفاظ على الصبغة والهوية الإسلامية عن طريق تمسكنا بمصادر عزتنا لكوننا مسلمين ، مؤمنين بالله ، وأراد بذلك أن يقف الشباب على مرتكزات ثابتة للانطلاق نحو الريادة فيعرف جذوره فيقول :

« لقد ورثنا هذا الإسلام الحنيف واصطبغنا به صبغة ثابتة قوية تغلغلت فى

الضمـــائر والمشـــاعر ولـصقـــت بحنـــايـــا الضلـــوع وشـــغاف القلـــوب » .

وحدد الإمام الشهيد معالم هذه الهوية فى أنها تمثل :

ـ عقيدة وشريعة . ـ قيما وحضارة .

ـ قومية ووطنية . ـ ثقافة وتاريخاً وتراثاً .

وهنا نجد أن الإمام الشهيد أشار إلى الثوابت التى يجب أن تترسخ فى ضمائر الشباب ودعائم اليقظة التى تجعل الشباب يعى ذاته ويتعرف على طريقه بعد أن أخفق كل تجمع غير الإسلام على ذلك ، لذلك فإن هذه اليقظة المرجوة كفيلة بأن تولد تياراً متدفقاً متحركاً مساره الإسلام ووجهته الإسلام ويستمد طاقته من الإيمان فيصبح الشباب رائداً للصحوة عزيزاً بإسلامه لأنه يستمد العزة من الله القوى العزيز الذى انتسب إليه بالإيمان به والتنشئة على دينه .

* ومعالم هذه اليقظة وتلك الصحوة أنها تعبر عن نفسها فى تيار متواضع لكنه أعز من الشم الرواسى لأنه يستمد مصادره من كتاب الله ، كذلك هى صحوة تعبر عن نفسها فى تيار محدود ولكنه أوسع من حدود هذه الأقطار جميعاً لأن الإسلام دين العالمين ، وهى بعد ذلك صحوة بعيدة عن المنافع الشخصية وخالية من المطامع والأهواء ولكن هى صحوة تورث أفرادها السيادة فى الدنيا والجنة فى الآخرة وهذه المعالم ثمرة طبيعية للاعتزاز بالإسلام والعمل على نشره والتبشير به والإيمان بعظمة الرسالة وتطبيقها واقع عملى أمام الناس .

*** والشباب عليه واجبات تجاه هذه الصحوة ، وهذه الواجبات هى :**

(1) توسيعها لتضم كل الناس من العوام إلى الصفوة .

(2) تعميقها لتصبغ كل مظاهر الحياة .

(3) تفعيلها لتكون هى المحرك لفعل الخير ونفع الناس .

* ولكن لابد أن تكون هناك مرجعية عند الحركة بهذه الصحوة حددها الإمام الشهيد مخاطباً الشباب قائلاً :

(وعمادنا فى ذلك كله كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والسنة الصحيحة الثابتة عن رسول الله (ﷺ) والسيرة المطهرة لسلف هذه الأمة ، لا نبغى من وراء ذلك إلا إرضاء الله وأداء الواجب ، وهداية البشر وإرشاد الناس) .

وهذه المرجعية التى أشار إليها الإمام الشهيد مرجعية إسلامية تجمع ما بين (**الوحي**) ومعارفه ، وبين (**الطبيعة**) وعلومها .



أوجب الواجبات

*** عهود ومواثيق على طريق المؤاخاة :**

لما كانت الأخوة روح الإيمان ، ولباب الشعور الفياض تجاه الإخوان ، والآصرة التى تشد الأفراد بعضهم إلى بعض ، كان لابد من عقد عقود وعهود ومواثيق على طريق المؤاخاة ليكون بناء الجماعة راسخاً لا تنال منه الفتن ، ولا تعصف به الأهواء فبالأخوة يصبح الأفراد كأغصان الدوحة الواحدة ، لا تكاد تؤثر فيهم عواصف الأعداء و رياح الأهواء ، إلا كما تنال الرياح اللينة من أغصان الشجر التى تبقى معلقة بالشجرة السامقة الثابتة ، وبهذه الأخوة تظل الجماعة كشجرة طيبة ، أصلها ثابت وفرعها فى السماء ، لأنها متمسكة بأصل التوحيد ، ومرتبطة بخالقها وبارئها .

ولما كانت الأخوة ثمرة اللقاء على العمل فى سبيل الله ، بل إنها أساس له ، ولا يستقيم العمل إلا بها ، فيجب يا شباب أن تكون ولاية الحب معقودة بميثاق متين لله ورسله وللمؤمنين ، ونتيجة الولاء لهذه العقيدة لا لغيرها ، ولهذا كانت النتيجة أن الله تعالى يجازى بالأخوة كأحد أهم الأعمال الصالحة التى يؤجر عليها

« سبعة يظلهم الله في ظله ، يوم لا ظل إلا ظله ..

ورجلان تحابا في الله ، اجتمعا عليه وتفرقا عليه .. »

ولتعلموا يا شباب أن الأخوة فى الله هى طريق إسعاد البشرية بوجه عام بناء على أخوة الإيمان ، ولكنها فوق ذلك يجب أن تكون أقوى وأشد للدعاة بل إنها ملازمة للإيمان ، وهناك قاعدتان أساسيتان ، لابد منهما لكى تستطيع الجماعة المسلمة أن تنهض بالأمانة الضخمة والرسالة العظيمة .

« هاتان القاعدتان المتلازمتان هما : الإيمان والأخوة ، الإيمان بالله وتقواه ومراقبته فى كل لحظة من لحظات الحياة ، والأخوة فى الله تلك التى تجعل من الجماعة المسلمة بنية حية قوية صامدة ، قادرة على أداء دورها العظيم فى الحياة

البشرية ، وفى التاريخ الإنسانى دور الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وإقامة حياة على أساس المعروف وتطهيرها من لوثة المنكر . . . »[1].

*** أولى العهود والمواثيق :**

المؤاخاة بالعهد . .

فلابد للأخوة الإيمانية من رابطة عهدية تزيد الصف ترابطاً ، كما يترابط المسافرون لغرض واحد فى سفر الدنيا ، وهذه الرابطة لها سندها الشرعى ، وأقرها الفقهاء امتداداً لفكرة المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، وهى مؤاخاة على الخير والمعروف ، وهذا حق أخوة المؤمنين ، يزيد هذا الخير بالتعاهد والتواصى عليه كذلك تتضمن عهود هذه المؤاخاة : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ويكون الوفاء بها يا شباب ملزماً كالوفاء ببقية العقود الشرعية ، وأثبت المولى عز وجل ميثاقها فى القرآن فى قوله ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات : 10) .

وأيدها قول الرسول (ﷺ) « **المسلم أخو المسلم** » ، وقوله : « **والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه** » .

فلنتعاهد سوياً على الإخاء بشروط وعهود ، وليكن شروط هذا العقد : التواصى بالحق والصبر ، والتغافر بين الفينة والآخرى ، والقيام بالحاجات مع البشاشة والاستبشار ، والسكوت عن ذكر المعايب ، والتودد باللسان ، والدعاء بظاهر الغيب ، والوفاء والإخلاص ، وعدم الإثقال والتوقير من غير كبر ، وجماع ذلك كله إحسان . . . ولنا فى ذلك بيان . .

*** حقوق ألزمتها العهود ..**

ومن مقتضى العهد الذى قطعناه على أنفسنا ، وارتضينا به الأخوة لنا شعاراً ، وجبت علينا واجبات الصحبة ، وهى مجموعة حقوق بين أهل الأخوة الإيمانية ،

(1) فى ظلال القرآن جـ 1/ 441 .

وتزداد وتتأكد عند رفقة الطريق بأخوة العقد ، والتعاهد على الدعوة فى سبيل الله ومن هذه الحقوق [1] :

* القيام بالحاجات مع البشاشة والاستبشار ، ولها مراتب : أدناها القيام بذلك عند السؤال ، وأوسطها القيام بها دونما سؤال وأعلاها تقديمها على جوانح النفس .

* السكوت عن ذكر المعايب ، والمماراة والجدل المذموم معه ، وعدم سؤاله فيما يحرجه ، وكتمان سره ، وأن لا يقدح فيه ، أو فى أهله وأحبائه .

* السكوت عن كل ما يكرهه ، فالمؤمن يطلب المعاذير ، والمنافق يطلب الزلات مع ترك إساءة الظن ، ، وستر العيوب ، والتغافل عنها .

* التودد باللسان ، وفقد الأحوال ، ويظهر انشغال قلبه به ، ويبدى السرور بما يفرحه ، والثناء عليه عنده غيره ، وذب الغيبة عنه .

* الدعاء للأخ فى حياته ، وبعد موته بكل ما تدعو به لنفسك .

* الوفاء والإخلاص ، والثبات على الحب إلى الموت ، والإحسان لأهله وأصدقائه بعد الموت ، وأن لا يتغير على إخوانه عند حصول نعمة كبيرة له .

* التخفيف وترك التكلف والتكليف ، فلا يكلف أخاه بما يشق عليه ، ولا يكلف التفقد لأحواله والقيام بحقوقه ، ويستأنس بلقائه ، ويقوم بحقوقه .

* التوقيرمن غير كبر ، والتواضع من غير ذلة ، ولقاء الآخرين بوجه الرضا من غير ذل لهم ، ولا خوف منهم .

* الإحسان إلى من يقدر أن يُحسن إليه ما استطاع ، والشفاعة لمن له حاجة عند من عنده منزلة ، والسعى فى قضاء الحوائج .

ونظائر ذلك مما هو مبسوط فى (آداب الأخوة والصحبة) فى كتب المواعظ والرقائق [2] .

---

(1) انظر مسافر فى قطار الدعوة د / عادل الشويخ 164 .

(2) لمزيد من الإطلاع انظر : إحياء علوم الدين جـ 2 / مختصر منهاج القاصدين ، الأخوة ، جاسم المهلهل ، الأخوة الإسلامية د / عبد الله ناصح علوان .

مسئولية الشباب في مدرسة حسن البنا

*** النموذج التجربة :**

أولى الإمام الشهيد حسن البنا الشباب اهتماماً خاصاً ، واهتم بالطلبة اهتماماً شديداً فإذا تخلف طالب من المنتمين إلى الإخوان لأى سبب من مرض أو غضب أو غير ذلك عطل كل أعماله وخف إلى زيارته فى مسكنه مع مجموعة من زملائه الطلبة ويقضى عنده الساعات الطوال ؛ وهو الرجل الذى يضن بالدقائق أن يقضيها فى استقبال زائر مهما علا مقامه ، والرجل الذى كتب على مكتبه هذه العبارة « الوقت هو الحياة » لأنه كان يُخَطِّىء المثل الذى يقول « الوقت من ذهب » ويقول إن الذهب إذا ضاع أمكن استرداده ولكن الوقت إذا ضاع لم يمكن استرداده . وكان شعاره دائماً « الواجبات أكثر من الأوقات » .

كان الإمام الشهيد يرى أن الطالب هو أحق إنسان أن يعتنى به وأن يحرص عليه وأن يبث إليه ما فى العقل والقلب . كان حريصاً على أن تكون أمور الطلبة من اختصاصه هو دون غيره ، وكان انتقاله من الإسماعيلية إلى القاهرة كان أهم دوافعه أن يكون فى الموقع الذى يمكنه من الاتصال بالجامعة التى كانت فى ذلك الوقت وحيدة لا أخت لها فى بلد آخر من بلاد القطر . . وكان رحمه الله يعتبر إقناع طالب واحد فى كلية من الكليات أنفع للدعوة من دخول بلد بأسرها فيها ، وكان يتلمس وسائل هذا الاتصال فعلم ذات مرة أن كلية الحقوق قررت على طلبة السنة الأولى بها دراسة مائة حديث نبوى اختارتها . . فهرع الأستاذ البنا إلى هذه الأحاديث المقررة فشرحها شرحاً رائعاً ونشرها فى مجلة الإخوان وقام الطلبة بعرض هذا العدد من المجلة على طلبة الكلية فأقبلوا عليها وتهافتوا على اقتنائها . وبهذه الوسيلة اكتسبت الدعوة عدداً جديداً من طلبة كلية الحقوق .

*** تركيز الجهود على الطلاب [1] :**

تكوين لجنة الطلبة :

يقول الأستاذ (محمود عبد الحليم) فى الأحداث :

« . . وبعد فترة قصيرة من التحاقى بالدعوة رأى الأستاذ المرشد أن يكون للطلبة مجلس إدارة سماه « لجنة الطلبة » تمثل كل كلية فيها بطالب فكان يمثل كلية الآداب محمد عبد الحميد أحمد ، وكلية الحقوق حسن السيد عثمان ، وكلية الطب إبراهيم أبو النجا ، وكلية العلوم جمال عامر ، وكلية التجارة طاهر عبد المحسن وكنت أمثل كلية الزراعة ، واختار الأستاذ المرشد حسن السيد عثمان رئيساً للجنة واختارنى سكرتيراً لها .

كان تكوين اللجنة عملاً كبيراً فى أثره وإن كان فى مظهره شيئاً تافهاً ، فلجنة مكونة من ستة من شباب صغار فى حجرة صغيرة من شقة متواضعة فى شارع غير مرموق لا يثير شيئاً من الاهتمام ، ولا تبعث فى النفوس آمالاً ترتقب . . ولكن الأستاذ البنا بحاسته التى حباه الله بها ، والتى يرى بها من المستقبل ما لا يراه جيله ، كان يعرف ما سيكون لهذه اللجنة من آثار بعيدة المدى ، فكان يعقد عليها آمالاً عريضة أثبتت الأيام أنه كان على حق فى عقدها .

وإذا كنا نريد أن نعرض لآثار هذه اللجنة فسنقول الكثير ، وسيطول القول ، وسنرى آخر الأمر أن جميع تطورات الدعوة وكل ما قامت به من أعمال وما حققت من آمال وما أخفقت فيه من ذلك . وإن بروز الدعوة على المسرح المصرى وانتشارها فى المجالين العربى والإسلامى ، ومواجهتها للاستعمار الغربى وللغزو الفكرى الروسى منذ سنة 1936 حتى الآن ، كل ذلك من آثار لجنة الطلبة » .

---

(1) الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ جـ 1 أ/ محمود عبد الحليم .

* وكان من ثمار هذه اللجنة[1] .

(1) توزيع مجلة الإخوان فى الوسط الطلابى .

(2) نشر الدعوة داخل الكليات .

(3) نشر الدعوة فى الأقاليم خلال الأجازة الصيفية عن طريق بعثات نشر الدعوة .

(4) أسلمة الجامعة وإنشاء المساجد داخل الكليات .

(5) الوقوف فى وجه حملات التبشير .

(6) تدعيم القضية الفلسطينية وتفعيل الأحداث لايقاظ الروح الإسلامية تجاه قضية القدس .

* ولنعرض لإحدى مسئوليات الشباب فى مدرسة حسن البنا مما ذكرنا آنفاً :

الشباب ونشر الدعوة فى الأقاليم :

كرس الإمام الشهيد جل وقته الثمين لإعداد شباب الإخوان لأنه كان يرى أن فى وثبتهم هى الأمل الفسيح لنشر الدعوة ، وفى هذه الفترة من بداية الدعوة وعلى أثر تكوين لجنة الطلبة . لم تكن الدعوة معروفة إلا فى إقليم القنال وما يتاخمه من بعض بلاد الدقهلية والشرقية وبلاد معينة لأنها موطن أشخاص معينين من السابقين فى الدعوة . . ووجد الأستاذ البنا ثمرة جهود سنة كاملة بين يديه من شباب الجامعة بل من أنضج شبابها قد يصل عدداً إلى المائة يفهمون الدعوة على أوسع دائرة من الفهم ومن أقدر الناس على توضيحها لغيرهم . . » [2]

فكان لابد من استثمار طاقة هؤلاء الشباب وإلقاء المسئولية على عواتقهم « فأعد الأستاذ المرشد فى أواخر العام الدراسى مذكرة من نحو عشرين صفحة شرح

(1) لمزيد من التفاصيل انظر أحداث صنعت التاريخ لمحمود عبد الحليم جـ 1 .
(2) المصدر السابق جـ 1 / 65 (بتصرف) .

فيها طرق الاتصال بالطبقات المختلفة من الناس والأساليب المثلى لمخاطبة كل طبقة وضمنها مجموعة من الآيات والأحاديث التى يستعين بها الداعية . . وقسم الطلبة مجموعات يضم بعضها طالبين وبعضها ثلاث وبعضها أربعة ووزع هذه المذكرات على المجموعات وقسم القطر المصرى على هذه المجموعات . . ولما بدأت الأجازة الصيفية انتشرت هذه المجموعات فى أنحاء القطر . . وإلى هذه البعثات يرجع الفضل فى نقل الدعوة إلى كل مكان فى مصر ، وفى الانتقال بالدعوة من طور إلى طور جديد ، من طور كانت فيه جمعية موضعية تقارن بالجمعيات الإسلامية الأخرى التى كانت موجودة بالقاهرة . . إلى طور آخر زاحمت فيه دعوات دينية كانت منتشرة فى كثير من بلدان القطر مثل الجمعية الشرعية وجمعية أنصار السنة كما بدأت تزاحم أفكاراً سياسية مسيطرة فى كثير من البلدان مما تعود الناس إطلاق اسم الأحزاب عليها .

وكانت المفاجأة المثيرة فى هذه البعثات أن الناس لأول مرة رأوا دعاة إلى الدين من شباب لم يكن يمت إلى الدين بصلة رسمية . . إذ كان طلاب الجامعة ـ وكانوا إذ ذاك عدداً قليلاً ـ يتهمون فى عقيدتهم وينظر إليهم على أنهم أصبحوا غرباء عن بلادهم حتى فى العادات والتقاليد . . فكان غريباً أن يروا من هذا الشباب من يغشى المساجد ومن يتكلم عن الناس كلاماً حلواً جميلاً مطعماً بآيات كريمة من القرآن وبأحاديث شريفة من أحاديث الرسول ويكسو هذا الكلام الجميل روعة وجلالاً وتأثيراً صدوره من قلوب مؤمنة به طاهرة نقية لا تسألهم عليه أجراً .

وتمخضت هذه البعثات عن تكوين شعب فى جميع عواصم المديريات (المحافظات) وفى بعض حواضر بالمراكز . . نعم كان أكثر هذه الشعب يتكون من عدد قليل من الفقراء ومتوسطى الحال إلا أنهم كانوا مؤمنين بالدعوة فقد استجابوا إليها دون طمع فى منصب أو جاه أو مال ودون خوف من بطش ، فأصحاب الدعوة أنفسهم مجردون من ذلك كله حتى إن قائد الدعوة ليس إلا مدرساً فى مدرسة إبتدائية .

جوالة الإخوان وتفجير طاقات الشباب :

اضطرمت فكرة الجوالة فى مخيلة الأستاذ البنا لإبراز حقيقة الدعوة الإسلامية فوجد أن هذه الصورة لا تكتمل إلا بوجود مظهر للقوة البدنية ، ولم يستطع التعبير عن هذا المظهر فى ذلك الوقت كما لم تسعفه الوسائل إلا بتخصيص حجرة من حجرات المركز العام وإن كانت أصغرها لهذا النشاط ووضع على بابها لافته باسم (الجوالة) . . وأراد رحمه الله بفكره الثاقب أن يعبر عن معنى الجهاد فى الفكرة الإسلامية فكلف نجاراً بإرشاد من أحد العسكريين بصناعة أنموذج لبندقية ليتدرب عليها الشباب فى مختلف الظروف والأوضاع بهذا النموذج الخشبى . وطور فريق الرحلات إلى فريق الجوالة . .

والصورة التى رسمها الأستاذ فى ذهنه منذ قام بدعوته فى الإسماعيلية عن هذا الجانب من نشاط الدعوة لم تكن هى فريق الرحلات أو فريق الجوالة ، وإنما كانت فريقاً عسكرياً يحقق فكرة الجهاد فى الإسلام ، إلا أن الرجل وقد آتاه الله الحكمة ﴿ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (البقرة 269) لم يكن يؤمن بالطفرة بل كان يؤمن بالتطور وبأنه قانون الحياة ، **ولابد للدعوات أن تخضع لقوانين الحياة ، إذا هى أرادت أن تشق طريقها** ، ولم يكن الرجل يتجاهل ما حوله ، ولا يتعامى عما بين يديه ، فتدرج بالصورة التى فى خاطره تدرج الأم بمولودها .

*** ويقول صاحب الأحداث** (1) :ـ

« . . إن الإمام الشهيد بثاقب فكرة ، ومرهف حسه ، وبخاصية أودعه الله إياها يتحدث إلى الناس عن أمور يراها هو واقعة لا محالة ، وهى فى خواطرنا شىء من هواجس النفس ، وأوهام الخيال ، فإنه كان يعد من حياطات الحذر من أخطار يتوقعها ولا نكاد نصدق وهو يحذرنا منها . . ثم لا تقع هذه الأخطار إلا بعد

(1) المصدر السابق بتصرف جـ 1 133 .

سنوات . . كان الأستاذ يعلم أن الشباب فى دعوته يتحرقون شوقاً إلى الجهاد ، ولكن الدعوة كانت لا تزال فى مهدها ، ولم تتجاوز طورها الجديد، مرحلة الحبو ، ورأى أن الحكومة المصرية ومن ورائها الإنجليز لابد أنهم متربصون فى يوم ما بالدعوة الدوائر ، لأنها عدوهم الأساسى ، إذن فلابد أن تتحاشى الدعوة فى هذا الطور كل ما يعتبرونه فى عرفهم خروجاً على القانون . . ولم يكن فى مصر إذ ذاك صورة منها رائحة العسكرية مسموح بها إلا جمعية الكشافة الأهلية التى تضم الكشافة للصغار والجوالة للكبار .

وتبنى الإمام الشهيد قانون الكشافة وهو يتمشى مع الفضائل الاجتماعية التى يدعو إليها الإسلام وشرح الإخوان قانون الكشافة بآيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول (ﷺ) .

وانطلق الإخوان يربون الشباب من خلال الجوالة وإقامة المعسكرات المتنوعة من جهادية إلى خدمة عامة لتفجير طاقات الشباب المتحمس ، ولقد كان نظام الجوالة فى الإخوان المسلمين وسيلة لاصلاح الشباب بطريقتين :

*** الطريقة الأولى :**

أن الشباب الذين انتظموا فى سلكه صاغهم - كما قلت - صياغة جديدة بعثت من أعماق نفوسهم ما كان كامناً فيها من طاقات خارقة ، ومواهب باهرة ، وصاروا مثلاً عليا فى الاستقامة والإيثار والتضحية .

*** الطريقة الثانية :**

بما كانت تبعثه جموعها الحاشدة ، وطوابيرها المنظمة ، وخطواتها المتسقة ، وطبولها المثيرة ، وهتافاتها المزلزلة ، وعسكريتها غير المحترفة ، من روح تشعر هذا الشعب بأن للحق قوة تحمية ، فتطمئن قلوب تحب الحق ولكنها كانت خائفة ، وتهتز فرقاً قلوب كانت سادرة فى الباطل فكانت تجاهر بباطلها اعتماداً على أن الطريق أمامها سهل مفتوح ، فلما رأت بعينها قوة الحق انكمشت بباطلها مستخفية مرتجفة .

الهدف التربوى العام للجوالة :

ونصت اللائحة العامة لفرق الرحلات على أن (الغرض من هذه الفرق تربية الروح الرياضية الإسلامية فى نفوس شباب الإخوان ، وشغل أوقاتهم بما يعود عليهم بالفائدة الصحية والخلقية ، وتعويدهم الطاعة والنظام . . الخ)[1] .

ويشير شوقى زكى إلى أن من أهداف الجوالة : تدريب الشباب على تقديم خدمات للمجتمع ، وإعداد أجسام قوية ، وربط الصلة بالله ـ بالحياة الدنيوية . . الخ ، وذكرت مجلة الإخوان أن هدف الجوالة : تدريب شباب الإخوان عملياً على الثقة ، وحمل المسئولية وتعود النظام وتأدية الأعمال على أكمل وجوهها ـ أى تهدف إلى الإصلاح الخلقى .

وقد وضع المنهج الكشفى للشباب أسلوباً كاملاً للتكوين الإيجابى الكامل عقلياً وقلبياً وشعورياً . . وتهدف برامجه إلى تجديد نشاط الفكر والجسم بتنويع العمل ، وصقل حواس الإنسان ، وكسب العمل عن طريق المشاهدة والرحلة ، وإعداد الرجل القوى لتحمل أعباء الجهاد ، ومحاربة الكسل والركود والخنوثة وبعث الرجولة والعزة فى كل شاب مسلم وأن يصطبغ الشاب بالصبغة الإسلامية فيكون مسلماً : بعاداته وتقاليده وتفكيره وسلوكه[2] .

وكانت وسائل الإمام الشهيد لتحقيق هذا الهدف هى :

(1) تأكيد أهمية العمل ـ أياً كان نوعه ـ وضرورة أن يكون كل عضو فيها مزاولاً لعمل ـ مهما كان غنياً ، وأن يقدم على العمل الحر ، يزج بنفسه فيه .

(2) تأكيد قيمة الوقت وضرورة الانتفاع به ، وسرعة الإنجاز ، وعدم هدر الوقت دون عمل نافع .

---

(1) محمد مختار إسماعيل وآخرون : لائحة فرق الرحلات ، جريدة الإخوان المسلمون السنة الثانية عدد 42 .

(2) محمد شوقى زكى : الإخوان المسلمون والمجتمع المصرى صـ 145 .

(3) أوجبت على كل شاب أن يكون مدرباً على الخدمات العامة ، وأن يُسارع دائماً فى الخير وأن يشترك فى جمعيات البر والخدمات العامة والجوالة ليقدم النفع إلى الآخرين [1] .

(4) أوجبت على كل شاب مسئولية العمل لتحقيق أهداف الدعوة بمفرده ، ومن خلال مؤسسات الجماعة نفسها ، وهذه الأهداف هى إصلاح نفسه وأسرته ، وإرشاد المجتمع وتحرير الوطن من كل سلطان أجنبى ، وإصلاح الحكومة حتى تكون إسلامية بحق ، والعمل لإعادة الكيان الدولى للمسلمين ، والعمل لنشر الدعوة الإسلامية فى العالم كله[2] .

ورأى الإمام الشهيد أن هذه الأهداف ـ تتطلب عملاً لا هواده معه ، وجهاداً طويل المدى .

والالتزامات السابقة جميعاً لتفجير طاقات الشباب من خلال الجوالة كإحدى وسائل الحركة فى مدرسة الإخوان هى إجراءات تحقق فاعلية الشباب الإجتماعية بشقيها : القيام بالواجب والإحساس بالمسئولية الإجتماعية .

وهكذا كانت مدرسة حسن البنا محضن تربوى وحركى لتفعيل طاقات الشباب على النحو الذى عرضناه آنفاً ، وهذه الفاعلية التى استخدمها الإمام الشهيد فى تربية الشباب كان يهدف منها إلى :

تحريك طاقات الشباب ، وتوجيهها إلى مستوى الآخرين ، واستخدامها فيما يعود على المجتمع بالنفع ، وهى قضية تتعلق بالقيام بالواجبات ، أى توجيه الشباب لبذل طاقاته قياماً بالواجب ، وخلعه من حالة الركود انتظاراً لحقوقه ، بإشعاره بالمسئولية ، والقلق الناتج عنها ـ الذى يدفعه للقيام بعمل ـ ما ـ .

(1) الإمام الشهيد : رسالة التعاليم « مجلة الإخوان المسلمون » السنة 2 عدد 7/ 23 ربيع 1363 هـ ـ 18 مارس 1994) صـ 15 .

(2) الإمام الشهيد : التعاليم فى مجموعة رسائل البنا صـ 273 ، 274 .


5
الفصل الخامس



شـبهات وردود ..

أخي الشاب :

لا تجعل قلبك للإيرادات والشبـهات مثل السفنجة فيتشربها فلا ينضح إلا بها ولكن إجعله كالزجاجة المصمتة تمر الشبهات بظاهرها ولا تستقر فيها ، فيراها بصفائه ويدفعها بصلابته ، وإلا فإذا أشربت قلبك كل شبهة تمر عليه صار ممراً للشبهات .

واعلم أن من قواعد الشرع والحكمة أيضاً أن من كثرت حسناته وعظمت وكان له فى الإسلام تأثير ظاهر فإنه يحتمل له مالا يحتمل لغيره ويعفى عنه مالا يعفى عن غيره ، فإن المعصية خبث والماء إذا بلغ قلتين لم يحمل الخبث .

نصيحة ابن تيمية لتلميذه ابن القيم .

دعوة لن تموت ..

مدخل :

لا يستطيع أحد أن ينكر أن دعوة الإخوان منذ أن بزغ فجرها وظهر نورها فعم وشمل أنحاء المعمورة . ثم سرى هذا النور بفضل من الله فى قلوب الموات فأحياها ورسخ فى حنايا النفوس فرباها ، أنها تأصلت فى أعماق الأرواح فوحدتها . . ودعوة الإخوان ليست بدعا فى الدعوات فما هى إلا صدى الدعوة الأولى يدوى فى قلوب هؤلاء المؤمنين ويتردد على ألسنتهم ليظهر عملاً فى تصرفاتهم وسلوكهم ولقد صارحت دعوة الإخوان الناس جميعاً بغايتها وجلت أمامهم مناهجها ، وتوجهت إليهم بدعوتها فى غير لبس ولا غموض أضوأ من الشمس وأوضح من فلق الصبح ، وخلفت وراءها الأموال والأغراض ، ومضت قدماً فى الطريق التى يرسمها الحق تبارك وتعالى للداعين إليه :

﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(1) .

ومضت الدعوة بحمد الله قدماً ضاربة فى شعاب الزمن ، لا يضرها من خذلها ولا من تولى عن صفوفها ، ولا من تحامل عليها ، تدعو المذبذبين والمضطربين ، والمترددين بين الدعوات الحائرة والمناهج الفاشلة ، وهى سائحة بعون الله تعالى غير عابئة بقلة ولا بكثرة . .

﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(2) .

وحسبها فخراً ـ والمنة لله ـ أن كانت سبباً فى هداية آلاف الشباب وعصمتهم من الفجور والزيغ وإن لم يدخلوا فى صفوفها لأسباب مختلفة ، وهذا فى ميزان

---

(1) سورة يوسف : 108 .

(2) سورة الأنفال : 10 .

الإسلام عظيم ، وطالما كانت دعوة الإخوان كالواحة فى وسط الصحراء الموحشة المقفرة حين تأوى إليها جموع المسافرين ، فينعمون بظلها ومائها ويأنسون بأهلها ، وكثير عدد أولئك الشباب الذين احتضنتهم دعوة الإخوان فى مراهقتهم ، واجتازت بهم فترة الشباب بسلام وتفيئوا ظلالها وأنسوا ، وإن أقعدهم الترغيب والترهيب بالسوط والدينار عن مواصلة السير معها .

وكم نقلت دعوة الإخوان شاكاً إلى اليقين ، ومؤمناً جاهلاً إلى العلم ، وهذا فى الميزان الشرعى عظيم ، وكم أوضحت الدعوة من شبهة ، وردت من تهمة وأشادت بمناقب وحقوق مظلوم وكل ذلك فى الميزان الشرعى عظيم .

ثم جاء فى آخر المطاف من يستغرب فهمها للإسلام وينكر عليها الجهاد فى سبيل الله ، ويثير حولها الشبهات ويحيطها بظلم الاتهامات ، ويحاول أن يلصق فيها كل نقيصة ، وأن يظهرها لمن حوله فى أبشع صورة .

ورؤية الإمام الشهيد للأحداث ألهمت نظرة ثاقبة واضحة لأبعاد الطريق وتبعاتها ، فلم يكن تفاؤله تواكلاً أو وهماً ، وقد أشار للعقبات فى الطريق كأنما يراها رأى العين فكان مما قاله ـ رحمه الله ـ :

(أحب أن أصارحكم أن دعوتكم لا زالت مجهولة عند كثير من الناس ، ويوم يعرفونها ويدركون مراميها ستلقى منهم خصومة شديدة ، سيقف جهل الشعب بحقيقة الإسلام عقبة فى طريقكم ، وستجدون من أهل التدين ومن العلماء الرسميين من يستغرب فهمكم للإسلام ، وسيحقد عليكم الرؤساء والزعماء وذوو الجاه والسلطان ، وسيثير الجميع حول دعوتكم غبار الشبهات والشهوات وظلم الاتهامات ، وسيحاولون أن يلصقوا بكم كل نقيصة ، وستدخلون فى دور التجربة والامتحان ، فهل أنتم مصرون على أن تكونوا أنصار الله ؟!!) .

وهذا الصنف الذى تحدث عنه الإمام الشهيد الذى يثير غبار الشبهات

والشهوات ندعوه إن قبل الدعوة ، ونناديه إن أجاب النداء ، وندعو الله له سبحانه أهل الرجاء .

لقد أنزل الله على نبيه الكريم فى صنف من الناس :

﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾

(القصص : 56) .

ونقول : إن الكثير من المناوئين لدعوة الإخوان المسلمين مطالبون بأن ينظروا إلى الدعوة نظرة إنصاف ، لأنها دعوة لن تموت ، وهى التى تتقبل أحسن ما عملوا وتتجاوز عن نقصهم . وقد أسرف البعض فى الابتعاد عن هذه النظرة فأحصى ما يظنه من أخطائهم مما صدر عن آحاد دعاة الحركة .

ومما لا شك فيه أن للدعوة من خلال انتشارها مناقب كثيرة . . أقلها :

(1) حفظ الشباب من الانحراف فى المفاسد وإمدادهم بالسكينة الإيمانية والطمأنينة القلبية .

(2) ولها كذلك صحف تدافع عن قضايا الأمة . . وترد على الملحدين ، وكتب منهجية تعين الشباب على فهم الإسلام .

(3) دورها الفعال فى قتال اليهود والمستعمرين فى فلسطين والقنال .

(4) سعيها الحثيث فى خدمة المجتمع وتوعية الأمة نحو قضاياها المختلفة وعلى كل المستويات .

(5) قيامها بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر للطغاة الظالمين . . وبذلت فى سبيل ذلك أرواح ودماء أبنائها فنقش الرصاص صدورهم والتفت الحبال على أعناقهم ولفظت آلاف الأنفاس الكريمة تحت السياط فى غرف التعذيب . . هذا شىء يسير مما فعلوه . . وهذا شىء من تاريخ الجماعة وجزء أصيل من

حاضرهم . . فلماذا يكون التغاضى عن هذه الصور الفاضلة والمفاخر المشرفة . . ؟ ولماذا السعى إلى حصر المسألة فى جملة أخطاء ورصدها . . على فرض أنها أخطاء فعلاً وأن الدعاة ليس لهم فيها رد وتأويل [1] .

وقضية الشبهات وإثارتها فى وجه الدعاة إلى الله أمر قديم مضت به سنة الله فى البلاد والعباد ، وفعل حكيم من رب كريم يُراد به تمحيص القلوب وثباتها وازدياد يقينها كما قال الله ـ عز وجل ـ :

﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلاَّ مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ﴾ (فصلت : 43)

والذى قيل للرسل هو :

﴿مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ (الذاريات 52، 53) .

والدعاة سائرون إلى الله وفق منهج الله ، ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً ، ومن المقرر أن الشبهات لن تتوقف، وحسبى هنا أن أشير إلى رد الأستاذ البنا وإلى أسلوبه فى الرد على الشبهات التى تصدى لها والتى أثيرت حول دعوته ، فأزاح عنها الغبار وبين معالم سمو دعوته . . ولا يسعنا بعد ذلك أن نقول لكل المغرضين أن هذه الدعوة لن تموت .



(1) انظر : للدعاة فقط / دعوة الإخوان . جاسم الياسين دار الدعوة 12/ الكويت بتصرف 87 .

الشبهات والرد عليها *

المراد بالشبهة :

هى ما يثير الشك والارتياب فى صدق الداعى ، وحقيقة ما يدعو إليه ، فتمنع المدعو من رؤية الحق والاستجابة له ، أو تأخير هذه الاستجابة ، كما أنه غالباً ما ترتبط إثارة الشبهة بعادة موروثة ، أو مصلحة قائمة ، أو شهوة دنيوية ، أو حمية جاهلية ، أو سوء ظن ، أو غبش فى الرؤية فتتأثر النفوس الضعيفة المتصلة بهذه الأشياء . . وتجعلها حجة وبرهانا تدفع به الحق . . .

مراد مثيرى الشبهات :

يحتج الكثير ممن يثيرون الشبهات حول الدعوة والدعاة ، أن هذا من قول الحق . . وإنكار المنكر !! وهم فى الغالب ليسوا كذلك ، إذ يقترن بقولهم الحق الذى يزعمون الكثير من المفاسد التى تشير إلى أن هدفهم هو الفضيحة لا النصيحة . . !!

منهجنا فى الرد على الشبهات :

بداية لابد أن نعترف أن تتبع الشبهات والرد عليها أمر يصعب على الدعاة لأمرين :

* **الأمر الأول** : إن أصحاب الدعوة ما داموا يتحركون . . فلابد أن يصدر عنهم الخطأ ، وهذا أمر يدل على الحركة والتوافق مع الطبيعة البشرية التى تنفى العصمة عن بنى البشر سواء بسواء علاوة على ذلك أن الصراع مع الباطل يفرز بعض النقائص نتيجة للاحتكاك به . . وهذا ليس بعيب ولا نقيصه . . بل العيب كل العيب أن تتوقف حركة الدعاة إلى الله خشية الانحراف عن الطريق . . ولا يعلم المسكين أنه بجلوسه يمثل الانحراف ذاته .

* **الأمر الثانى** : إن الذى يبحث عن الشبهات ويقيم كيانه على أعراض الناس ويقتات من لحومهم فى الليل والنهار . . . ، إنما يمثل دور الذباب فى حياة البشر الذى يحوم باحثاً عن القيح الناتج عن الأجزاء المريضة فى الجسم التى هى من

خواص الجسد ، وهذا الصنف من البشر ما دام هذا همه . . فسيجد ما يقتات به حقيقة أو افتعالاً . .

وكل ما نسعى إليه فى هذا الصدد هو إزالة الغبار عن وجه الدعوة المتألق والتى تمثل الشمس فى رابعة النهار . . نحتكم نحن ومخالفينا إلى الأصول ونبين منهجنا فى الرد على الشبهات والتى هى مستقاه من الكتاب والسنة والأدب النبوى الحنيف .

* أما منهجنا فى الرد على الاتهامات والشبهات :

(1) عدم صرف الوقت والجهد فى الرد على الهجمات التى تفوح منها رائحة العصبية والهوى .

(2) الاستفادة من النقد الموضوعى ، والسعى لتجنب الوقوع فى نفس الأخطاء مستقبلاً ، وحتى إن كان من وجه إليها هذا النقد متحاملاً فى ألفاظه .

(3) فتح الحوار الهادىء ، فى شأن الأمور الخلافية الاجتهادية بين الجماعات ، وذلك من خلال جلسات خاصة لتدارس هذه الأمور .

(4) المحاولات المستمرة لتوضيح منهج الدعوة وتبيان غايتها ووسائلها للآخرين حتى يتم حصر أوجه الخلاف ، وتوضيح وجهات النظر ، وتعرية الحاقدين المغرضين من أصحاب الهوى .

(5) النصح فى الله ، وبذل ذلك بدون تجريح لأحد ، وباستخدام أسلوب التعريض ، لمن يتجاوز آداب الحوار وأصول الدين .

(6) العمل على احتواء الخلافات الفرعية ، وتحجيمها ، والالتفاف نحو الخطر الأكبر ، وتوحيد الجهود من أجل ذلك [1] .

(*) هذا الجزء نقلا عن كتاب / دعوة الإخوان حقائق . شبهات . أمنيات / جاسم الياسين 89ـ90 .

(1) انظر / شبهات حول جماعة الإخوان المسلمين / محمد عبد الرحيم صادق 16/ دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع .

وفى هذا المقام . . أريد أن ألفت نظر شباب الدعوة إلى أمر هام وهو عدم وضع الدعوة فى قفص الاتهام والدفاع عنها . . وأن المنهجية الصحيحة هى عرض الدعوة وحقيقتها مع عدم الالتفات إلى أصوات الحاقدين من أشباه البشر ، وهذا ما فعله الإمام الشهيد عليه رحمة الله فقد أجاد فى عرض دعوته فى أدق تفاصيلها بما لا يدع مجالاً لشبهة أو استفسار لمتسائل، ومن الجدير بالذكر هنا أن نشير إلى بعض الأصول التى يجب أن نتفق عليها أولاً :

الأصل الأول :

« الاحتكام إلى الكتاب والسنة : فالأصل الذى يجب ألا يُحاد عنه هو الاحتكام إلى الله عز وجل . لأن الله عز وجل أمرنا بذلك . . فقال تعالى :

﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ (الشوري : 10) .

وقال سبحانه :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾

(النساء : 59)

وهذا ليس أصلاً نتفق عليه فحسب ، بل هو تكليف إلهى بالطاعة التامة والانصياع لله ولرسوله (ﷺ) . . ثم طاعة ولى الأمر فإذا وقع الاختلاف سوآء بيننا وبين ولى الأمر . . أو فيما بيننا فقط . . فلا يكون الرد إلا لله ورسوله .

وبهذا يقول الأستاذ فى أصوله العشرين التى نظمها للفهم وللحركة فنراه يقول فى الأصل الثانى « والقرآن والسنة المطهرة مرجع كل مسلم فى تعرف أحكام الإسلام ، ويفهم القرآن طبقاً لقواعد اللغة العربية من غير تكلف ولا تعسف ، ويرجع فى فهم السنة المطهرة إلى رجال الحديث الثقات » .

الأصل الثانى :

كل إنسان يؤخذ من كلامه ويرد . . إلا المعصوم ـ (ﷺ) ـ وبهذا يقول الأستاذ البنا رحمه الله ـ فى الأصل السادس (وكل أحد يؤخذ من كلامه ويترك إلا المعصوم ـ (ﷺ) ـ وكل ما جاء عن السلف ـ رضوان الله عليهم ـ موافقاً للكتاب والسنة قبلناه . . وإلا فكتاب الله وسنة رسوله أولى بالاتباع . . ولكنا لا نعرض للأشخاص فيما اختلفوا فيه بطعن أو تجريح ونكلهم إلى نياتهم وقد أفضوا إلى ما قدموا » .

وبقى هذا الأصل خطاً أصيلاً يسترشد به السالكين إلى الله ويحتكم إليه الدعاة وبهذا يقول الأستاذ (حسن الهضيبى) رحمه الله : ـ

« وعلى ذلك كل امرىء فيما عدا المعصوم (ﷺ) يؤخذ من قوله ويرد . . فيؤخذ من قوله ما قام البرهان على أنه حق . . ويرد من قوله ما لم يقم عليه ذلك البرهان ، ونحن حين نستشهد بأقوال السابقين من أئمة الفقه واللغة لا يدور فى خلدنا أن الواجب علينا اتباعهم فى أى شىء قالوا . . ولكننا نحتج بفهمهم وهم أئمة الفقه والعاملون بمختلف أساليب الفقه وعلى ذلك لا يجوز الاحتجاج على الإخوان ، لأنه لو جاز ذلك لاستطاع كل إنسان أن يهدم أى دعوة موجودة فى معترك الدعوة والحركة .

الأصل الثالث :

لم يكن الإمام الشهيد حسن البنا ذلك العالم الذى يلقى دروس العلم على طلبة العلم ، ويحقق المسائل العلمية فحسب ، ولكنه كان ذلك الرجل صاحب العقيدة التى أخذت بزمام نفسه ، وملكت عليه منافذ حسه ، فعاش من أجلها أشق عيشه وأقساها ، ومات فى سبيلها أشرف ميتة وأسماها . . وكان ذلك الرجل الذى أبصر تضعضع الأمة وهوانها وتأخرها وبعدها عن دينها . . وجهلها بهذا الدين ، وتسلط الأعداء عليها ، فأراد رحمه الله أن يعيد بناء تقوضت كل أركانه ، ولم

ينهض أحد ليرفع البناء أو حتى يشير بفأس الخلاص فقام يقرع الآذان مشيراً إلى البناء هذا هو الطريق .

شادياً كالعصفور الباكى وكالطائر الحزين الوافد على عالم عجت سماؤه بالصقور والجوارح ، وقل فيها البناؤون وكثر الهادمون . .

قام يقول لاتباعه :

« إن دعوتكم هذه أسمى دعوة عرفتها الإنسانية ، وإنكم ورثة رسول الله (ﷺ) وخلفاؤه على قرآن ربه وأمناؤه على شريعته وعصابته التى وقفت كل شىء على إحياء الإسلام فى وقت تصرفت فيه الأهواء والشهوات ، وضعفت عن العبء الكواهل »[1] .

والبانى - أيها الشباب - فى هذا المجال (ليس كالعالم) الذى يقول كلمة الحق ثم يذهب ولا يهمه الأثر الذى تتركه هذه الكلمة ، البانى يثقله العبء ، ويلاحظ بدقة خطوات البناء ، فهو يسير خطوة خطوة ، وهو يضع المراحل للعمل ، كل مرحلة تقيم البناء إلى مستوى معين ثم تتبعها مرحلة أخرى ، وهو فى ذلك يكدح ويتعامل مع واقع مر ، فالأعوان على البناء قليلون والهادمون فى البناء كثرة وشراذم متكاثرون ، والقادرون على إحسان البناء ثلة أقل من القليل . . والبناء يقام ويشيد وسط عواصف هوجاء ، وسط الخرافة والابتداع والاختلاف ، وكيد الأعداء ، إنه يبنى بناء ، والبناء لا يكتمل فى يوم وليلة ولا فى شهور . . ومواجهة الهادمون تحتاج إلى عناء . . .

إن النقاد الذين جلسوا فى بروجهم العاجية يحاكمون دعوة الإخوان المسلمين يخطئون كثيراً إذا لم يعلموا أهداف الدعوة ولم يحيطوا ببراميها - بعضهم يحاسب الدعوة فى مرحلة من المراحل دون نظرة شاملة للبناء ، وآخرون لا يستطيعون تصور

(1) مذكرات الدعوة والداعية - حسن البنا .

الحركة فيظنون فيها تناقض المواقف لأنهم لا يستوعبون الحركة فى مراحل المختلفة وأبعادها فى أمكنتها وعصورها المتعاقبة .

وآخرون ينظرون إلى الجموع التى تضمها الجماعة ، الجموع التى تتربى فى محاضن الدعوة فيحاسبون دعوة الإخوان المسلمين ظانين أن كل هؤلاء من دعاة الإخوان ، وآخرون يحاسبون الدعوة بناء على سلوك الأفراد ، كما يحاسبنا الكفار على سلوكنا نحن المسلمين لا على المبادىء التى يدعونا إليها هذا الدين .

* ـ أيها الشباب ـ

. . . إن الإمام الشهيد أراد أن يحدث فى الأمة تياراً إيمانياً إسلامياً بعد أن خبا الإيمان فى النفوس ، وأخذ يربط بين الذين تابعوه بعقد فريد هو (الإخوة الإسلامية) . . وأخذ المد الإسلامى يمتد هنا وهناك ، وبهذا المد أراد أن يواجه تمزق الأمة وضياعها ويجمع ويلم شعث هذا الشتات .

* ولم يكن الإمام الشهيد مدرس عقيدة ولا مدرس فقه ولكنه كان يدعو للإسلام ويربى عليه ويوجه إليه ويجمع الناس عليه فهو صاحب فقه التجميع من أجل إعادة كيان الأمة الإسلامية . كان رحمه الله لديه فهم ثاقب وبصيرة نافذة للإسلام فكان يضع المعالم والحدود ولا يقف جامداً عند التفاصيل والجزئيات . . وبهذا الفهم نريد أن يتعامل الآخرون مع حركة الإمام الشهيد .



تفصيل الشبهات والرد عليها

(1) جماعة الإخوان المسلمين جماعة دراويش حصروا أنفسهم فى دائرة ضيقة من العبادات الإسلامية كل همهم صلاة وصوم وذكر وتسبيح (*) .

الرد على الشبهة : يقول الإمام الشهيد ـ رحمه الله ـ :

(1) يخطىء من يظن ذلك لأن الناظر لأحوال جماعة الإخوان يعلم أنهم لم يؤمنوا بالإسلام على هذا النحو ولكنهم آمنوا به **عقيدة وعبادة ، ووطنا وجنسية ، وخلقا ومادة ، وثقافة وقانونا ، وسماحة وقوة .**

(2) كذلك **اعتقدوه نظاما** كلاملاً يفرض نفسه على كل مظاهر الحياة وينظم أمر الدنيا كما ينظم أمر الآخرة .

(3) اعتقد كذلك الإخوان الإسلام نظاماً عملياً وروحياً معاً فهو عندهم **دين ودولة ، ومصحف وسيف .**

(4) كذلك فإن الإخوان لا يهملون أمر عبادتهم ولا يقصرون فى أداء فرائضهم لربهم ، يحاولون إحسان الصلاة ويتلون كتاب الله ، ويذكرون الله تبارك وتعالى على النحو الذى أمر به ، وفى الحدود التى وضعها لهم ، فى غير **غلو ولا سرف ، فلا تنطع ولا تعمق ،** وهم أعرف بقول رسول الله (ﷺ) : **« إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق إن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقي »** .

(5) وهم مع ذلك يأخذون من دنياهم بالنصيب الذى لا يضر بآخرتهم ، ويعلمون قول الله تبارك وتعالى : ﴿ **قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ** ﴾ (الأعراف : 32) فهم بحق رهبان بالليل ، فرسان بالنهار .

(*) ولمزيد من الرد على هذه الشبهة يرجع لكتاب / الإخوان المسلمون والمجتمع المصرى د / محمد شوقى زكى الفصل الثانى ويتناول فيه الخدمات التى يؤديها الإخوان للمجتمع المصرى 141/ 225 لتبيان نظرة الإخوان للدين وعلاقته بالدنيا وأثر ذلك فى حياتهم .

(2) جماعة الإخوان المسلمين يتبرمون بالوطن والوطنية :

الرد على الشبهة : يقول الإمام الشهيد ـ رحمه الله ـ :

(1) المسلمون أشد الناس إخلاصاً لأوطانهم وتفانياً فى خدمة هذه الأوطان واحتراماً لكل من يعمل لها مُخلصاً .

(2) أساس الوطنية عند المسلمين هى العقيدة الإسلامية .

فالإخوان يعملون لوطن مثل مصر ويجاهدون فى سبيله ويفنون فى هذا الجهاد لأن مصر من أرض الإسلام وزعيمة أممه ؛ كما أنهم لا يقفون بهذا الشعور عند حدودها بل يشركون معها فيه كل أرض إسلامية وكل وطن إسلامى .

ولكن : هناك فرق بين وطنية الإخوان المسلمين وغيرهم :

يقول الإمام الشهيد : على حين يقف كل وطنى مجرد عند حدود أمته ولا يشعر بفريضة العمل للوطن إلا عن طريق التقليد أو الظهور أو المباهاه أو المنافع لا عن طريق الفريضة المنزلة من الله على عباده ، وحسبك من وطنية الإخوان المسلمين أنهم يعتقدون عقيدة جازمة لازمة « أن بالتفريط فى أى شبر أرض يقطنه مسلم جريمة لا تغتفر حتى يعيدوه أو يهلكوا دون إعادته ، ولا نجاة لهم من الله إلا بهذا » (1) .

---

(1) لمزيد من تأييد كلام الإمام الشهيد حسن البنا من ذكر فى وثائق الجماعة لتأييد الوحدة العربية ، انظر رسالة دعوتنا ـ رسالة المؤتمر الخامس والشواهد تؤيد وجهة نظر الإخوان للوطنية انظر ركن العمل د / على عبد الحليم محمود تحت عنوان (العمل السياسى والأعمال التى قامت بها الجماعة) 165/ 209 وفيه بيان جهود الجماعة من أجل الوحدة الإسلامية .

(1) فى الشمال الأفريقى (المغرب ـ الجزائر ـ تونس ـ ليبيا) .

(2) جهود الجماعة فى تخليص اليمن من حكم الإمامى المستبد .

(3) جهود الجماعة فى استقلال باكستان .

(4) جهود الجماعة فى دعم استقلال اندونيسيا .

(5) جهود الجماعة من أجل فلسطين .

(3) جماعة الإخوان دعاة كسل وإهمال (*) :

الرد على الشبهة : يقول المؤسس ـ رحمه الله ـ :

الإخوان يعلنون فى كل أوقاتهم أن المسلم لابد أن يكون إماماً فى كل شىء ولا يرضون بغير القيادة والعمل والجهاد والسبق فى كل شىء ، فى العلم وفى القوة وفى الصحة وفى المال . والتأخر فى ناحية من النواحى ضار بفكرتنا مخالف لتعاليم ديننا . .

ويقول الإمام الشهيد :

ونحن مع هذا ننكر على الناس هذه المادية الجارفة التى تجعلهم يريدون أن يعيشوا لأنفسهم فقط وأن ينصرفوا بمواهبهم وأوقاتهم وجهودهم إلى الأنانية الشخصية ، فلا يعمل أحدهم لغيره شيئاً ولا يعنى من أمر أمته شىء .

والنبى (ﷺ) يقول : « **من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم** » .

كما يقول (ﷺ) : « **إن الله كتب الإحسان علي كل شيء** » .

(4) جماعة الإخوان المسلمين دعاة تفريق عنصرى بين طبقات الأمة :

الرد على الشبهة : يقول الإمام الشهيد ـ رحمه الله ـ :

(1) نعلم أن الإسلام عنى أدق العناية باحترام الرابطة الإنسانية العامة بين بنى الإنسان ، فقال الله تعالى :

(*) بربك يا عزيزى الشاب كيف يكون الإخوان دعاة كسل وإهمال والإمام الشهيد جعل من مراتب العمل فيما يخص إصلاح الفرد صفات عشر إذا ما تحققت فى الفرد كان أبعد ما يكون عن الكسل والإهمال لا سيما طلبه من الداعى فى قافلة الإخوان أن يكون (**مجاهداً لنفسه ـ حريصاً علي وقته ـ منظماً في شئونه ـ نافعاً لغيره**) .

ولا نجد رداً على هذه الشبهة أدل من الصفحات التى سجلت المهمات المنوطة بالمرشد العام : انظر كتاب / الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ للأستاذ / محمود عبد الحليم ، والتى أشرنا إليها فى كتابنا هذا فى حديثنا عن العمل .

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (الحجرات : 13)

(2) نعلم الإسلام دين جاء لخير الناس جميعاً ورحمة من الله للعالمين فهو أبعد الأديان عن تفريق القلوب وإيغار الصدور وأكد ذلك قوله تعالى ﴿لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ (المائدة : 285)

(3) حرم الإسلام الاعتداء حتى فى حالات الغضب والخصومة فقال تعالى : ﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (المائدة : 8)

(4) وأوصى الإسلام بالبر والإحسان بين المواطنين وإن اختلفت عقائدهم وأديانهم : ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ (الممتحنة : 8)

هذا ما يعلمه الإخوان المسلمين فلا يدعون إلى فرقة عنصرية ، ولا إلى عصبية طائفية .

* ولكن : إلى جانب هذا لا يشترى الإخوان الوحدة بالإيمان ولا يساومون فى سبيل الوحدة على حساب العقيدة ، ولا يهدرون من أجلها مصالح المسلمين .

ويقول المؤسس : « وإنما نشتريها بالحق والإنصاف والعدالة وكفى فمن حاول غير ذلك أوقفناه عند حده وأبنَّا له خطأ ما ذهب إليه : ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين .

(5) لحساب من يعمل الإخوان المسلمين ؟!

الرد على الشبهة :

يقول المؤسس عن دعوته التى أسس صرحها بكل وضوح كالشمس فى رابعة النهار : ـ

« يخطىء من يظن أن الإخوان المسلمين يعملون لحساب هيئة أو يعتمدون على جماعة من الجماعات . فالإخوان المسلمون يعملون لغايتهم على هدى من ربهم ،

وهى الإسلام وأبناؤه فى كل زمان ومكان ، وينفقون مما رزقهم الله ابتغاء مرضاته ، ويفخرون بأنهم إلى الآن لم يمدوا يدهم إلى أحد ولم يستعينوا بفرد ، ولا هيئة ولا جماعة » (1) .

---

(1) ولا أدل على صدق كلام الأستاذ البنا من هذا الذى سطرته يداه عن خصائص دعوته والتى ذكرت فى رسالة المؤتمر الخامس بعد عشر سنوات من بداية دعوته فقال أن من خصائص دعوته :

(1) البعد عن الهيئات والأحزاب .

(2) البعد عن هيمنة الكبراء والأعيان .

*** فأما فيما يخص البعد عن الهيئات والأحزاب :**

وأما البعد عن الاتصال بالأحزاب والهيئات فلما كان ولا يزال بين هذه الهيئات من التنافر والتناحر الذى لا يتفق مع أخوة الإسلام ، ودعوة الاسلام عامة تجمع ولا تفرق ولا ينهض بها ويعمل لها إلا من تجرد من كل ألوانه وصار لله خالصاً . وقد كان هذا المعنى من قبل عسيراً على النفوس الطامحة ، التى تريد أن تصل عن طريق حزبيتها أو جماعتها إلى ما تريد من جاه ومال . لهذا آثرنا أن نتجنب الجميع وأن نصبر على الحرمان من كثير من العناصر الصالحة حتى ينكشف الغطاء ، ويدرك الناس بعض الحقائق المستورة عنهم فيعودوا إلى الخطة المثلى بعد التجربة وقد امتلأت قلوبهم باليقين والإيمان .

ونحن الآن ـ وقد اشتد ساعد الدعوة وصلب عودها وأصبحت تستطيع أن توجه ولا توجه وأن تؤثر ولا تتأثر ، نهيب بالكبراء والأعيان والهيئات والأحزاب أن ينضموا إلينا ، وأن يسلكوا سبيلنا وأن يعملوا معنا وأن يتركوا هذه المظاهر الفارغة التى لا غناء فيها ، ويتوحدوا تحت لواء القرآن العظيم ويستظلوا براية النبى الكريم ومنهاج الإسلام القويم . فإن أجابوا فهو خيرهم وسعادتهم فى الدنيا والآخرة ، وتستطيع الدعوة بهم أن تختصر الوقت والجهد ، وإن أبوا فلا بأس علينا أن ننتظر قليلاً وأن نلتمس المعونة من الله وحده حتى يحاط بهم ويسقط فى أيديهم ويضطرون إلى العمل للدعوة أذناباً وقد كانوا يستطيعون أن يكونوا رؤساء ، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

*** فيما يخص البعد عن هيمنة الكبراء والأعيان :**

يقول الإمام الشهيد : وأما البعد عن هيمنة الكبراء والأعيان فلانصرافهم عن هذه الدعوات الناشئة المجردة من الغايات والأهواء إلى الدعوات القائمة . التى تستتبع المغانم وتجر المنافع ولو فى ظن الناس لا فى حقيقة الحال ولأننا معشر القائمين بدعوة الإخوان تعمدنا هذا . لأول عهد الدعوة بالظهور ، حتى لا يطمس لونها الصافى لون آخر من ألوان الدعوات التى يروج لها هؤلاء الكبراء ، وحتى لا يحاول أحد منهم أن يستغلها أو يوجهها فى غير الغاية التى تقصد إليها ، وذلك إلى أن كثيراً من العظماء ينقصه الكمال الإسلامى الذى يجب أن يتصف به المسلم العادى فضلاً عن المسلم العظيم الذى يحمل اسم دعوة إسلامية لإرشاد الناس ، وعلى هذا ، فقد ظل هذا الصنف بعيداً عن الإخوان اللهم إلا قليلاً من الأكرمين الفضلاء ، يفهم فكرتهم يعطف على غايتهم ويشارك فى أعمالهم ويتمنى لهم التوفيق.

نداء للشباب

« أيها الخائضون فى الأوحال . . الآكلون كالجراد أعمارهم فى المستنقعات النتنة ، حيث استقر الشيطان وجنده . . لهو ولغو وتهتك وضياع . . إن ربكم لغاضب . . إن بارئكم لساخط . . لأنه عهد إليكم بالأمانة ، ورفعكم بمحمد (ﷺ) فوق جميع الشعوب ، وجعل منكم بالقرآن خير أمة أخرجت للناس . . كل ذلك لتعبدوه وحده ، ولكنكم خُنتم الله ، وخنتم الرسول ، وخنتم الرسالة . . واهاً لأعماركم كيف صرفت . . ؟!

واهاً لحياتكم كيف قضيت . . ؟!

* الأعلام غير الأعلام . .

* الطريق غير الطريق . .

* أيها الزاحفون فى الظلمات . .

لقد دقت . . دقت الساعات الحاسمة لينهض من كان عاثراً . . ليبصر من كان أعمى . . ليرتفع من كان وضيعاً . . كل واد فليمتلىء . . وكل جبل فليتهاوى . . كل درب أعوج فليصر مستقيماً . . كل درب حرج فليعد رحيباً . . وليكن السادة بعزة الله عبيداً . .

وليكن العبيد على نهج الله سادة . . »



ثبت المراجع

(1) القرآن الكريم

(2) الرسائل ـ حسن البنا ـ دار الشهاب .

(3) في ظلال القرآن ـ سيد قطب ـ دار الشروق .

(4) الإخوان المسلمين أحداث صنعت التاريخ ـ محمود عبد الحليم ـ دار الدعوة .

(5) مذكرات الدعوة والداعية ـ حسن البنا ـ دار التوزيع .

(6) وسائل ابن أبي الشخباء الإخوانية ـ د/ علي أبو زيد ـ دار المعارف .

(7) أدب الرسائل في صدر الإسلام ـ د / جابر قميحة ـ دار الفكر العربي .

(8) الإمام الشهيد حسن البنا بين السهام السوداء وعطاء الرسائل د / جابر قميحة .

(9) الشباب ومشكلاته من منظور إسلامي ـ محمد توفيق ـ الندوة العالمية للشباب الإسلامي .

(10) حول أساسيات المشروع الإسلامي لنهضة الأمة ـ د / عبد الحميد الغزالي ـ دار التوزيع .

(11) العقائد الإسلامية ـ سيد سابق .

(12) فهم الإسلام في ظلال الأصول العشرين ـ جمعة أمين ـ دار الدعوة .

(13) إلي الإسلام من جديد ـ العلامة أبو الحسن الندوي ـ كتاب المختار .

(14) جدد حياتك ـ محمد الغزالي .

(15) وحي القلم ـ مصطفي صادق الرافعي ـ دار القلم .

(16) السيرة النبوية ـ أبو الحسن الندوي .

(17) العوائق ـ محمد أحمد الراشد ـ دار المنطلق .

(18) الإخلاص أركانه وآفاته ـ محمد رمضان ـ دار الوفاء .

(19) صيد الخاطر لابن القيم ـ المكتبة التوفيقية .

(20) جامع العلوم والحكم ـ لابن رجب الحنبلي ـ دار الوفاء .

(21) تهذيب مدارج السالكين ـ لابن القيم .

(22) مشكلات الدعوة والداعية ـ فتحي يكن ـ الرسالة .

(23) مائة موقف من حياة المرشدين ـ محمد عبد الحليم الحامد .

(24) أدب الدنيا والدين ـ الماوردي ـ المكتبة التوفيقية .

(25) نجم الدعاة ـ د / توفيق علوان ـ دار الوفاء .

(26) المدخل إلي جماعة الإخوان المسلمين ـ سعيد حوي ـ دار السلام .

(27) طريق الدعوة الإسلامية ـ جاسم الياسين ـ دار الدعوة .

(28) المنهج الحركي للسيرة النبوية ـ منير الغضبان ـ دار الوفاء .

(29) مفاهيم تربوية ـ محمد عبد الله الخطيب جـ 1 / جـ 5 .

(30) المسار ـ محمد أحمد الراشد .

(31) فقه الدعوة جـ 1 ـ علي عبد الحليم محمود ـ دار الوفاء .

(32) مميزات التربية الإسلامية ـ د / رائد عبد الهادي .

(33) للدعاة فقط ـ جاسم الياسين ـ دار الدعوة .

(34) غايتنا أخطر قضية في حياة المسلم ـ عبد الحليم الكناني ـ دار الوفاء .

(35) ورد القلوب ـ جمال ماضي ـ دار الوفاء .

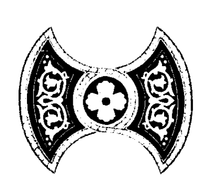
(36) الشباب المسلم بين تجربة الماضي وآفاق المستقبل ـ د عبد الحليم عويس ـ دار الوفاء .

(37) التربية السياسية عند الإخوان ـ د / عبدالمعز رسلان ـ دار التوزيع .

(38) مسافر في قطار الدعوة ـ د / عادل الشويخ ـ دار البشير للثقافة والعلوم .

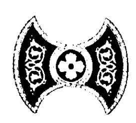
(39) منهج الإمام البنا الثوابت والمتغيرات أ / جمعة أمين ـ دار التوزيع .

(40) الدعوة والداعية ـ د / علي محمد جريشة ـ دار الطباعة والنشر .



الفهرس

الموضوع | رقم الصفحة



مطابع الصقر

ت: ٠١٥/٤١٢٥٥٥ تلفاكس: ٠١٥/٤١٢٧٧٧